الأدب الإسلامي

٩٣

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٩٣) - ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

دروب القراءة النقدية

د. مصطفى عطية جمعة

محمد إقبال الشاعر الإنسان

د. نبيل قصاب باشي

الإبداع في الرؤية الإسلامية

علي القاضي

ثلاثية من ماء زمزم.. قراءة وعرض وتحليل

د. يحيى العبابنة

اللغة الإسلامية في الثلاثية الروائية المترجمة للغة الإنكليزية (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف

د. مطيع عبد السلام السروري

د. منجد مصطفى بهجت

بسم الله الرحمن الرحيم

بدعة إعادة القراءة

أصبحت بدعة «إعادة قراءة النص» أو «إعادة إنتاجه» لعبة مستمرأة لدى بعض الباحثين. ومورس على النصوص - من خلال هذه القراءات الجديدة المدعاة - من التحريف والتزوير وتشويه الحقائق والدلالات ما لا حصر له.

ذلك أن النص في هذه البدعة تتم قراءته بعيداً عن ملابسات إنتاجه، أو حياة مؤلفه، أو ظروف تكوينه. إنه يقطع قطعا تاما عن سياقه التاريخي والمعرفي، ويُفصل عن ظرفه الزماني والمكاني، حتى يبدو وكأنه قد نشأ من الفراغ.

يُصرف النص عن دلالاته الحقيقية، ويؤل تأويلاً قد ينقله من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ذلك أن معاني النص اللغوية، وتعبيره عن عصره وقائله يعد أمراً لا قيمة له، بل أمراً معرقلاً إذا لم يخدم تأويل الناقد.

وهكذا - بحجة موت المؤلف حيناً، ولا نهائية القراءات حيناً آخر - ضاعت حقيقة النص، ومورست لعبة التأويل إلى أبعد مدى، وغدت النصوص - مقدسة، وغير مقدسة- ألعوبة بيد القارئين، ورهينة اتجاهاتهم الفكرية والإيديولوجية.

يقول حسن حنفي في كتابه عن جمال الدين الأفغاني: «إن دراسته تعتمد على منهج إعادة القراءة، وإعادة إنتاج النص، ونقله من ظروف القرن الماضي إلى ظروف هذا القرن، تمثّلاً للأفغاني وروح عمله...».

وأنا لا أدري كيف يكون قلع النص من تربته التي نما فيها، وعصره الذي وجد فيه، ثم زرعه بعد ذلك في تربة أخرى وعصر جديد تمثّلاً للأفغاني وروحه؟ بل إن العكس هو الصحيح. إن منطق العقل يقول: إن إغفال التربة التي نبت فيها النص، وإهمال الزمان والمكان اللذين أوجداه لا بد أن يدخل عليه الحيف والتزوير.

إن ما يسمى «القراءة الجديدة» يعني - بصريح العبارة- إلغاء دلالة النص لتحل محلها دلالة القراءة التي يسقطها القارئ عليه. ويشير علي حرب - وهو من أكبر المتحمسين لهذه البدعة الجديدة - إلى ذلك بقوله في كتابه «نقد النص»: إن «القراءة التي تقول ما يريد المؤلف قوله فلا مبرر لها أصلاً، لأن الأصل هو أولى منها، وما يغني عنها إلا إذا كانت القراءة تدعي أساساً أنها تقول ما لم يحسن المؤلف قوله، وفي هذه الحالة تغني القراءة عن النص، وتصبح أولى منه..».

وهكذا - بهذه البساطة - يصادر القارئ رأي المؤلف، ويُمتهن هذا المؤلف امتهاناً لا مثيل له في التاريخ، إذ يحكم عليه بالموت، أو يقول القارئ - باسمه - ما يريد، ويُنطقه بما يشاء.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٤) العدد (٩٣)
ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ
كانون الثاني (يناير)- آذار (مارس) ٢٠١٧م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. حلمي محمد القاعود

د. مشهود محمود جمبا

د. علي بن محمد الحمود

محمود كحيلة

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد على عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

الدراسات

❖ **الافتتاحية :**

- بدعة إعادة القراءة — مدير التحرير — ١
- دروب القراءة النقدية — د. مصطفى عطية جمعة — ٤
- ثلاثية من ماء زمزم.. قراءة وعرض وتحليل — د. يحيى العبابنة — ١٠
- اللغة الإسلامية في الثلاثية الروائية المترجمة للغة الإنجليزية (مدن الملح) لعبدالرحمن منيف — د. مطيع عبدالسلام السروري. د. منجد مصطفى بهجت — ١٨
- قراءة في ديوان السباعيات للدكتور عيسى ألبي أبو بكر — د. مشهود محمود جمبا — ٣٨
- محمد إقبال الشاعر الإنسان — د. نبيل قصاب باشي — ٤٨
- عبدالرحمن العشماوي.. قصائده مغسولة بالدمع — محمد عبدالشافي القوصي — ٥٦
- قراءة في قصص العددين الحادي والتسعين والثاني والتسعين — د. علي بن محمد الحمود — ٦٦

❖ **الورقة الأخيرة :**

- العربية أيام زمان — زيغريد هونكه — ١١٢

الشعر

- فضل المصطفى صلى الله عليه وسلم — عبدالرحيم الماسخ — ٨
- دمشق — محمد عباس علي داود — ٢٧
- قل للقساة قلوبهم — عبدالسلام كامل — ٤٦
- حفيدي عبدالرحمن بن يمان — د. وليد قصّاب — ٥٥
- في حضرتك — خديجة الطيب دبة — ٦٤
- يخضر ضلعي يا أماه — محمود مفلح — ٦١
- بقيت لي — د. حيدر الغدير — ٧١
- شوق إلى الوطن — بدر الحسين — ٧٩
- أنس الوطن — مصطفى عكرمة — ٩٧

القصة

- القديسة والمرآة — د. آمال لواتي — ١٦
- سناء — عمر فتال — ٣٦
- ملهمتي لذكره – خاطرة — د. رجاء عبيد — ٦٢
- عند الطبيب — علاء سعد حميدة — ٦٥
- ليلة تحت أضواء الشموع — ريح المطر — ٧٢
- من الذي يبدأ؟ — د. محمود الراوي — ٨٠
- موقف جميل – قصة قصيرة جداً — صورية مروشي — ٨١

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد :**

- مع الناقد الدكتور حلمي محمد القاعود — حوار: التحرير — ٢٨

❖ **ثمرات المطابع :**

- الإبداع في الرؤية الإسلامية — علي القاضي — ٧٤

❖ **المسرحية :**

- الساحر الصغير — محمود كحيلة — ٨٢

❖ **رسالة جامعية :**

- شعر حيدر الغدير.. دراسة أسلوبية — محمد فيصل الودعاني — ٩٤

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ٩٨

❖ **بريد الأدب الإسلامي :**

- هذه الرابطة ليست وليدة الساعة — محمد حمادو أحمد — ١١١

للقراءات النقدية دروب ثلاثة؛ أولها: قراءة نص إبداعي مفردا كان أو نصوصا أو كتابا. وثانيها: قراءة مجمل المسيرة الإبداعية كلها، أو على الأقل إلى وقت كتابة الدراسة النقدية عن أعمال المبدع المختار. وثالثها: نقد النقد، أي المناقشة النقدية لما قيل عن الإبداع من نقد.

د.مصطفى عطية جمعة - الكويت

هذه الدروب الثلاثة تأتي على الترتيب، فمن المنطقي أن يقرأ الناقد النص مفردا ويناقشه، ثم ينتقل إلى قراءة الكتاب الحاوي لنصوص عدة، ثم مناقشة مجمل التجربة الإبداعية، ثم تأتي مرحلة النقد على النقد، التي تنطلق من النص أيضا، فسواء اتفقت أو اختلفت مع ما طُرِح من آراء نقدية، فإن حكمها هو النص، أيحتمل ويصدق عليه ما قيل أم لا؟ بجانب مناقشة الفرضيات النقدية المذكورة بالعودة إلى المناهج النقدية ومقولاتها ونظرياتها.

لو تأملنا النهج الأول سنجد أنه يتوقف عند جزء من كل، وفرع من أصل، وملمح من وجه، فمن الصعب أن نصدر حكما تعميميا شاملا على تجربة الشاعر ذاته، لأن الذات الشاعرة متقلبة متبدلة، فقد تبدع في نص وتأتي بجديد فينبهر الناقد بهذا الإبداع، وسرعان ما يحتفي بالمبدع كله، وهو غير واع لتطوره الإبداعي، وقد يكرر المبدع نفسه في نص، ولا ينتبه الدارس إلى هذا التكرار، فيتوقف عند النص، ويدور حوله ويحتفي به، دون أدنى إشارة إلى الإضافة الإبداعية.

وهذا النهج مهم ومطلوب ونحتاجه بشدة، من أجل مناقشة وتقويم النص الأدبي وإرشاد المبدع والقارئ على السواء، وكذلك من

أجل تسليط الضوء على نصوص بعينها، ذات منحى جديد، ورؤية مختلفة، وتقنيات مبتدعَة، فتكون الدراسة هنا أشبه بضوء المصباح عندما يتركز على بقعة معينة من أجل إيضاح تفاصيلها بكل ما فيها.

وبالطبع هذا يصدق على التناول المكتوب المنشور، أو الشفاهي في حوار أو ندوة، ولا يمكن الاستغناء عن ذاك التوجه، بهدف متابعة الجديد في الحياة الإبداعية، واحتياجنا إلى مناقشة أعمال بعينها، فهو مفيد غاية الإفادة إذا أحسنّا تطبيقه، وأقصينا التعميم الفضفاض الذي يرفع أو يخفض التجارب والنصوص دون معايير علمية واضحة، وينبغي البعد بلغتنا النقدية عن الهجوم الحاد الذي يترك آثارا نفسية عند المبدع، يصعب محوها، خاصة إذا كان في سنوات تكوينه الأولى، ويحيل النقاش النقدي إلى صراع شخصي، وعناد فكري.

وفي جميع الأحوال، لابد أن يكون الناقد/الدارس ملما بأعمال المبدع، كي يتلافى أوجه النقص في رؤيته، ويكون حكمه حلقة من حلقات نقدية حول تجربة المبدع.

وللعلم فإن هذا النهج يمكن أن يكون موضوعا لدراسة قصيرة، وأيضا محورا لكتاب أو أطروحة، فكم من الكتب الإبداعية متميزة في إبداعها وإضافتها! خصوصا إذا كانت كبيرة الحجم، عكف المبدع على كتابتها في سنوات، واضعا فيها عصارة خبرته وثقافته ورؤاه، والمثال الأبرز على ذلك ما قاله الروائي الإنجليزي الشهير «جيمس جويس» وهو يؤلف روايته الخالدة «عوليس»:

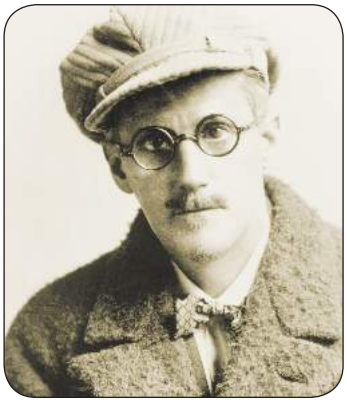

جيمس جويس

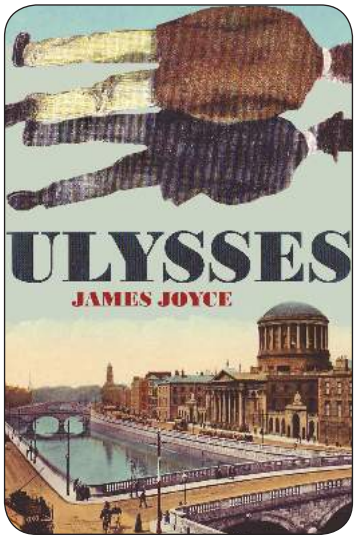

«سأترك كتابا يعكف عليه النقاد قرنا كاملا». وكان على حق في ذلك، فالرواية طويلة، كبيرة الحجم، كثيفة التعبيرات، معقدة في بنائها ورؤاها، واشتملت – فيما اشتملت عليه – على ألفاظ وتعبيرات من عشر لغات، ولا يزال النقاد والأكاديميون عاكفين عليها، وهذا ما نجده في أعمال خالدة أخرى كثيرة، مثل قصيدة الأرض اليباب للشاعر الإنجليزي إليوت، وبعض دواوين أمل دنقل، مثل «أوراق الغرفة ٨».

أما النهج الثاني فهو قراءة مجمل أعمال المبدع، سواء أكان حيا أم متوفى، وهذا مطلوب، بل يحتاج إليه كل سنوات عديدة، لتقديم قراءة حول مسيرته الإبداعية وما حققه من تطورات وإضافات، فيرى نفسه بعين ناقدة، ويرى أصداء مسيرته في عيون النقاد والقراء على السواء.

إن هذه الطريقة تحتاج إلى دربة وصبر من الناقد/الدارس وهو يتأمل مسيرة المبدع، وينظر فيما أبدع، وكيف تطور، وبمن تأثر، وأبرز التيارات التي تفاعل معها، فتكون المحصلة مفيدة للمبدع والقارئ والناقد على السواء، لأنها أشبه بتقديم لوحة نقدية مكتملة.

يقال هذا؛ لأننا – وللأسف – وجدنا مبدعين بدؤوا حياتهم بدايات مبشرة بإبداع كبير، وسرعان ما تجمدوا عند بداياتهم، وثبتت قناعاتهم الجمالية والفكرية عند عقود خلت، بل تحجرت، وصارت جزءا من تركيبتهم النفسية، ونصّبوا أنفسهم حكما على تيارات جديدة جاءت بعدهم، وكأن الإبداع توقف عند جيلهم وحدهم.

وقد ناقشتُ منذ سنوات في القاهرة الأعمال الكاملة لأحد شعراء جيل الستينيات، وقد أصبح صاحبها اسما لامعا في عالم الصحافة الأدبية، وصدرت أعماله الكاملة في طبعة فخمة عن دار نشر حكومية، وكانت الندوة احتفاء بصدورها، وكم كانت المفاجأة، عندما وجدت وأنا أفرّ صفحات الديوان وقصائده؛ أن موضوعات الديوان الأخير ومضامينه بل جمالياته، هي نفسها الموجودة في الديوان الأول! فالتعبيرات والصور متقاربة، مكرورة الألفاظ والدلالات، والأجواء الفكرية واحدة، بالرغم من أن الفارق بينها يزيد على ثلاثة عقود، والأمر نفسه مع سائر الدواوين الأخرى، التي حواها المجلدان الفاخران،

إليوت

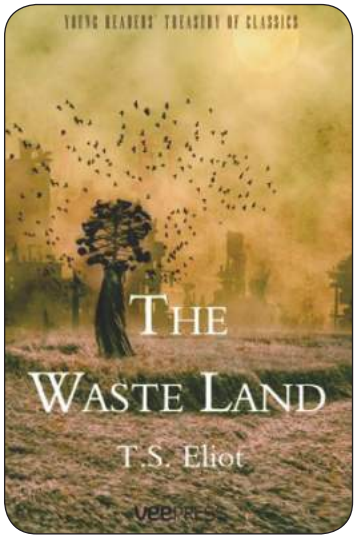

وللأسف فإن بقية المناقشين أمعنوا في المدح.

والسبب في ذلك بسيط، بل في منتهى البساطة، فقد توقف المبدع، وكل من يتوقف سيدور في حلقة مفرغة، يعيد ما كتبه بدون وعي في غالب الأحيان، أو يردد ما أبدعه أبناء جيله، الذين اتبعوا نفس المذهب الأدبي. فالمسؤولية بالطبع تقع على عاتق المبدع الذي لم يجدد نفسه، مثلما تتحملها الحياة الثقافية، وما فيها من مجاملات خصوصا للمبدعين العاملين في المجلات الأدبية والصفحات الثقافية، فهم وسيلة النشر من خلال إقامة علاقة جيدة معهم.

والغريب أن في مثل هذه الحالات، تبدو هناك ظاهرة لافتة للنظر، تتمثل فيما يدور من همس بين النقاد والمناقشين قبل الندوة أو بعدها على المقاهي أو في الجلسات الخاصة، حيث يكون كلامهم على النقيض، فإذا كان النقاش في الندوة احتفائيا، وإن جاءت إشارة بالذم، فهي تأتي عابرة ومغلفة بعشرات الكلمات الرقيقة. أما ما يقال خارج الندوة فهو كلام صريح واضح، وأحيانا يكون حادا قاسيا، يفيد المبدع ذاته لو أنه حرص على سماعه وتحمل قسوة عباراته، بدلا من اختياله أمام عدسات المصورين.

ولازلت أذكر، أن روائيا كبيرا وهو أيضا صحافي شهير، أصدر رواية امتلأت الصفحات الثقافية بالثناء عليها، وقد قرأت الرواية بالفعل وكونت رأيا حولها، وعندما قابلت أحد الكتّاب الشباب من النهمين بمتابعة أعمال هذا الأديب تحديدا، وسألته عن

رأيه في الرواية الجديدة، ابتسم وأقسم أنه لم يقرأها، ولكنه أكّد أن الرواية ستحتوي على كذا وكذا وكذا، فقلت: هذا صحيح، كيف عرفت؟ فقال بكل ثقة – وأيضا بحنق-: لو قرأت مجمل أعمال هذا الروائي، ستعرف أنه مفلس، يكرر نفسه بشكل أو بآخر، مرة يغير المكان والزمان، فتتغير تبعا لذلك الأحداث ويبقى المضمون متشابها، أو يغير الشخصيات الأساسية في أعمارها وطبيعة عملها، وستتغير الأحداث حتما، وتظل الدلالة واحدة، والمحصلة في النهاية أن لا جديد يطرحه، لأنه يحافظ على الرواية الأولى التي يظن أن الشهرة جاءته من مضمونها.

ونصل إلى النهج الثالث، وهو نقد النقد، أو النقد على النقد، ونعني به: مناقشة ما يدور من نقد مطروح، مكتوبا كان أو شفاهيا، وهو من الأهمية بمكان، لأنه إرشاد للناقد ومراجعة لما قال، وإرشاد للمبدع، حتى لا يظن أن ما طُرِح هو حكم نهائي لا خلاف عليه، خصوصا أن كثيرين من المتصدرين للندوات تحت عنوان أنهم نقاد ليسوا نقادا، وإنما متذوقون انطباعيون، يحكمون بقناعاتهم الخاصة، أو ممن لديهم شهوة الكلام والرغبة في الظهور، وفي الحالتين فإن الحكم النقدي غير دقيق. كما أنه نهج مهم لشباب النقاد كي يعرفوا مدى صواب أو خطأ نهوجهم النقدية وآرائهم، وأيضا كي لا تتضخم ذواتهم عندما لا يجدون تعقيبات عليهم.

والغريب في الأمر أن «نقد النقد» يكاد يتوارى في الحياة الثقافية، وإن وُجِد فهو ضعيف في طرحه، فكثيرون من النقاد الحقيقيين – على قلتهم – يؤثرون السلامة، ويفضلون عدم الدخول في مراجعات ونقاشات نقدية، مع شباب صغير ربما لا يفهم توجيهاتهم على محمل صحيح، أو يحبذون توفير أوقاتهم وجهودهم لأعمال أخرى، مما يترك آثارا سلبية على تكوين النقاد، وإيجاد حوار نقدي حقيقي.

ومن حسنات الناقد الكبير د.محمد مندور – رحمه الله – أنه كان يعتني بهذا اللون من النقد، وكان يكتب مقالات يناقش فيها شباب النقاد، بعدما يكون قد قرأ النص الإبداعي بعناية، مبتعدا عن الأستاذية المفتعلة أو العبارات الجارحة، فحرصه على موهبة الناقد الشاب وعلى استمراره أهم بكثير من الانتصار لرأي ما.

ويظل السؤال في ختام المقال: متى يكون لدينا حياة نقدية حقيقية، تتفاعل فيها الدروب الثلاثة، بحوارات عقلانية، تنأى عن الأهواء، وترتفع إلى أخلاق المثقفين المثلى، وتضع نصب عينيها أن النقد هو الجناح الآخر للإبداع؟ فلا إبداع دون نقد، مثلما أنه لا نقد دون إبداع■

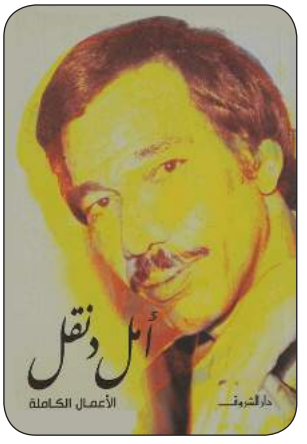

محمد مندور

فضل المصطفى ﷺ

عبد الرحيم الماسخ - مصر

مولد المصطفى أم الصبح لمّا ... شق عن مهده يد الليل تمّا؟

كانت الأرض حولنا الليل فيها ... طول أيامه يطارد حلما

شق عنه الخلاف للجهل دربا ... سالكا للوفاء والصدق أعمى

والنهايات كالبدايات روح ... خائف للممات يحمل جسما

كل سيف عليه سيف عليم ... بالهوى ساهر العيون محمّى

هكذا كلّ يعرب في شتات ... حربهم بينهم تعيش السلما

وأتى النور نور أحمد للكو ... ن من المهد بالفضيلة همّا

فنما صابرا أمينا حكيما ... وعلا طالعا إلى الكون نجما

يا يتيما كفلت كلّ يتيم ... يا فقيرا بفضله الخير عمّا

عزّ أمّيّ استعاذ به العل ... ـم ليستنبت الأمانة علما

عز، والكلّ شاهد كيف يطوي ... مجده اليأس والأسى والغمّا

عز بالله منذ قال له اقرأ ... فأتمّ الكلام صدقا وعزما

عز، والأنبياء في حرم القد ... س يصلّي بهم عليما ملمّا

عـز، والجـهـل لم يـثره ولكن ... زاده فـوق كـلّ حـلـم حلما

عـز، والفـتـح لم يعده غـرورا ... أن يمس الظلام بالنور ظلما

عــز حـتـى كـأنــه قــرآن ... أينـمـا عـاذ بـالإلـه وسـمّـى

عز، قال العدوّ واصفا الصبـ ... ـر به والأمـان صفحا وحزما

هـكـذا اخـتـاره الـعـلـيـم نبيا ... خالصا للختام أعظم نعمى

جمع الـعـرب والأعـاجـم حبّا ... فـيـه لله فـاض، أربـى وعـمّـا

فــإذا زاده المـحـب صـلاة ... وسـلامـا يـزيـده الله فهما

ويـصـبّ الـعـطـاء بـين يديه ... حكمة تحمل الوجود الأعمى

لـيرى الحـقّ أينـمـا سـار حقا ... بارتياب من الضلالة يرمى

حاملا روحه على الكفّ لكن ... لبلوغ الرضا صـلاة وصوما

ليشيد الحياة في النور مبنى ... طالعا لا يصيب بالجهل هدما

إنـه أحـمـد الأمــان مـن النا ... ـر إذا قـامـت الـقـيـامـة حكما

لا تصيب الشفاعة الناس إلا ... حين يرجو لها العظيم الأسمى

وعلى الحوض حوضه ما رواء ... بعده يسبق الجنان العظمى

حـبّـه في الـقـلـوب لله حـبّ ... ومعانيه كم رمـى الله سهما

ما استواء السماء والأرض إلا ... ليضمّا عـطـاءه الـفـذّ ضمّا

فـإذا الـعـالم الـبـراءة والطهـ ... ـر بسرّ الحـيـاة صـفـواً وهمّا

وإذا الـظـالـمـون نـار عليهم ... لا تسوق الهدى وتغشى الرحما

وحكيم السلام أحمد مسعا ... ه شـفـاء يظلّ يـبـرئ سقما

لـيـعـمّ الـعـطـاء بـالحـبّ لكن ... بعدما الليل بالضياء اهتمّا

فسـمـا نـيّـرا بـخـير رسـول ... لافـتـا مـدحـه لـيـطـرد ذمّـا

ما من شكّ أن لقصيدة البردة للبوصيري أثراً كبيراً ظلّ ماثلاً للشعراء على اختلاف منازعهم، فقد استمروا ناظمين ومتأثرين ببهاء موضوعها إلى يومنا هذا، ولا سيما أنّ البوصيري مَزَجَ فيها بين حبّ المسلمين لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وشعائر الدين الإسلامي والأمكنة المقدّسة مزجاً يكاد يصل إلى حدّ الاتّحاد التام، ونحن لا نكاد نجد مسلماً من المسلمين لا يذوب وَجْداً عند هذه العناصر الثلاثة.

ثلاثية من ماء زمزم

قراءة وعرض وتحليل

د. يحيى عبابنة (*) - الأردن

ومن هؤلاء الشعراء الذين صاغوا هذه العناصر الشاعر الدكتور عودة أبو عودة، الذي نظم مطوَّلته التي وصل عدد أبياتها إلى أكثر من ثمانين بيتاً، تعدُّ واحدة من المعارضات الكثيرة للقصيدة الأولى التي تسمى البردة، والصورة المعارضة الأولى التي تسمى: نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقي. ومما لا شكَّ فيه أنَّ قصيدة «نهج البردة» التي مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم
أحلَّ سفكَ دمي في الأشهر الحُرُمِ

قد نالت شهرة واسعة بين مثيلاتها من القصائد التي عارضتها لشهرة قائلها التي طبَّقت الآفاق، وللغة الغنية التي توهّجت فيها النزعة الوجدانية التي وصلت إلى درجة الوله والذوبان، وهي أمور تمكَّن منها أحمد شوقي تمكُّناً كبيراً من تسخير الطاقات الكامنة في اللغة المستعملة.

وقد تمكَّن الشاعر الدكتور عودة أبو عودة من استلهام قصيدتي: البردة، ونهج البردة؛ استدعاء للشكل والمضمون في أثناء موسم الحج لعام

(*) أستاذ اللغويات – جامعة مؤتة – الأردن.

(٤٣٢هـ/٢٠١١م) ونظم قصيدته معارضاً إياهما، واستطاع أن يجد فيها معاني يستظلُ بها ليس بعيداً عن دلالاتهما التي اتّخذها مادة لغوية تعبِّرُ عن عشق خاص لا يبتعد عن عشق البوصيري أو أحمد شوقي، وصاغ ذلك ضمن مباراة شعرية ثلاثية اشترك فيها مع الشاعر حسن الأمراني، والشاعرة نبيلة الخطيب، معارضينَ قصيدةَ البردة للبوصيري أو نهجها لأحمد شوقي، فقد أرسل لهما الشاعر د.عودة مطلع قصيدته:

ماذا وقوفكما في البان والعلم
والناس من كلِّ فجٍّ في ذرى الحَرَمِ

فجاءه رد الأمراني بيتاً من الشعر:

أرسلْ قلوصك تبلغْ منتهى السَّلم
وما قلوصُك غيرُ الدمع في الظُّلَم

وهو ردٌّ يستوحي معناه من الناحية العقدية، دون أن يكون له من معارضة البردة أو نهجها إلا الناحية الفنية، فقد جاء النص موازياً للقصيدتين ولقصيدة عودة أبو عودة من حيث الوزن والقافية مشتركاً معها في حركة الرويّ أيضاً.

كما جاءه رد الشاعرة نبيلة الخطيب ثلاثة أبيات على الوزن نفسه والقافية إياها:

وما ارتحالك فرداً زائر الحرم
وصاحباك على شوقٍ من الضَّرَمِ
أما تواعدت الأرواح ذات ضحى
على الوفاء بعهد غير منفَصِمِ
عهد زرعناه فاخضرت جوانحنا
قد خُطَّ بالدمع لا بالحبر والقلم

ولا يختلف ما يمكن أن نقوله في هذه الأبيات عما قلناه عند الحديث عن بيت حسن الأمراني.

ثمَّ دأب الشعراء على إتمام قصائدهم على هذا الوزن والقافية والموضوع، لتكون ثلاثية أخرى من ضمن الثلاثيات التي كتبها الشعراء، غير أنَّه لم يتسنَّ لي الاطلاع على نصي الشاعرين: الأمراني ونبيلة الخطيب، إلا بما زودني به الشاعر الدكتور عودة أبو عودة

يتخذ الشاعر عودة أبو عودة من مناسك الحج سلسلة من الأحداث التي يوظفها في القصيدة من أجل الخروج بنصٍّ يحمل طابعاً قصصياً يعتمد على سرد الأحداث، ويتمثل بالمناسك التي يؤديها الحاج عند أدائه تلك الفريضة العظيمة، فهو ينتقل بالقارئ من الطواف إلى السعي، وصلاة ركعتين عند مقام إبراهيم، ثم شرب ماء زمزم، ولا ينسى في غمرة هذه المشاعر أن يذكر بعضاً من الترابطات التاريخية والدينية التي ترتبط بتلك المناسك، كقصة سعي «هاجر» بين صخرتي الصفا والمروة بحثاً عن الماء، ثم عند رجوعها إلى صغيرها «إسماعيل» النبي عليه السلام، وجدت ماء زمزم قد انبجس من تحت قدمي سيدنا إسماعيل.

د.عودة أبو عودة

وبعد أن يذكر الشاعر هذه المناسك التي يقوم بها الحاج في أثناء أداء فريضة الحج، يعود بالاعتذار للنبي الكريم هادي هذه الأمة عن تقصير أمته في التمسك بسنته الغراء، فالشاعر يرى أن المسلمين قد تركوا السنة النبوية، ومن هنا فهو يعتذر لهم من النبي الكريم، ويبين أنهم أمة مجيدة، سرعان ما تعود إلى الحق والصراط المستقيم، ولذا هم يطمعون بمغفرة الله تعالى وعفوه.

ويختم الشاعر قصيدته الطويلة التي بلغت ثمانين بيتاً بحثّ المسلمين على العودة إلى طريق الدين القويم، والتمسك بأوامر الله تعالى ورسوله العظيم، والفرار إلى الله تعالى، فهو الذي يثبت القلوب والأقدام عند الجهاد.

بعض الظواهر الفنية في القصيدة:

ومن أبرز الظواهر الفنية التي نلحظها في قصيدة «من ماء زمزم» التناص، سواء أكان هذا التناص مباشراً أم غير مباشر، إذ يمكننا أن نلمس عناصره من خلال عدد ليس قليلاً من أبيات القصيدة، فالشاعر متأثر بالقرآن الكريم في عدد من الأبيات، وهو تأثر متوقع منه، فهو يتحدث عن مناسك عظيمة وهي مناسك الحج، ومن هنا فمن الطبيعي جداً أن يتأثر بعناصر هذا الدين، والقرآن الأصل النصي العقدي لديننا وعقيدتنا، وفيه أوامر ونواهٍ كثيرة تأخذ جوانب متعددة من حياتنا الدينية وأعمالنا اليومية، ويظهر لنا الاقتباس من القرآن الكريم في قول الشاعر:

الأول (الله)، عهداً غير مبتدأ
والآخر (الله)، عهداً غير مختتم

فهذا البيت يحوي تناصاً غير مباشر مع قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، (الحديد: ٣)، ومن المواضع التي يظهر لنا فيها الاقتباس قول الشاعر:

هل (طهّرا بيتي) المقصود، قد فَصَلَتْ
بحكمة الله بين النور والظُّلَم

ولقد جاء الشاعر بهذا البيت في حديثه عن أسرار القدوم إلى الكعبة المشرفة، والطواف حولها، فهو يتساءل هاهنا عن السر العظيم الكامن وراء مجيء

الناس بهذه الأمواج إلى بيت الله الحرام، فهل نسبة البيت إلى الله هو السر؟ يرى الشاعر أن هذا السبب من أعظم الأسباب التي تدعو الناس إلى المجيء إلى الكعبة المشرفة للطواف بها.

والبيت السابق يلتقي مع آية قرآنية، وهي قوله تعالى: ﴿...أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: ١٢٥).

ويظهر لنا أيضاً الاقتباس من القرآن الكريم في قول الشاعر:

إذ يرفع البيت من أدنى قواعده
وابنٌ يسانده بالعزم والهمم

فصدر البيت يلتقي مع نص آية قرآنية كريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(البقرة: ١٢٧)، فالاقتباس في هذه الآية الكريمة اقتباس غير مباشر.

ومن مواضع الاقتباس أيضاً قوله:

إن تنصروا الله ينصركم فإنّ به
عند الجهاد ثبات القلب والقدم

فهذا البيت فيه اقتباس واضح من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، (محمد: ٧)، ولقد بيّن الشاعر في عجز البيت السابق ما يجنيه المؤمن من نصرة الله تعالى، فالله يثبت القلب والقدم عند الجهاد.

ومن مواضع الاقتباس القرآني قول الشاعر في البيت الأخير:

فِرّوا إلى الله إني ناصحٌ لكمُ
فَوحِّدَه الله ربُّ العَرْشِ والقلم

فهذا البيت متأثر بقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾، (الذاريات: ٥٠).

وكما أشرنا من قبل، فإنه من المتوقع من الشاعر أن يتأثر بالقرآن الكريم؛ فهو في مقام يدعوه إلى ذلك، وما يعرفه الناس عنه أنّه يتخذ من الخلق الرفيع جزءاً من العقيدة نفسها، خصوصاً أن القرآن قد ذكر عدداً من مناسك الحج، وذكر كثيراً من الأمور المتعلقة بالبيت الحرام كبناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة المشرفة.

ولا يبتعد الشاعر عن الاقتباس من القرآن الكريم إلا وهو يجعل منه مع الحديث الشريف جزءاً من كلامه، حيث ذكر في قصيدته:

قال اشهدوا يا عبادي قد غفرت لهم

فَهُمْ ضيوفيَ في (بيتي) وفي حرمي

فهذا تأثر بالحديث القدسي الذي يسأل فيه الله تعالى عن سبب مجيء المؤمنين إلى عرفة يوم التاسع من ذي الحجة، فيجيب الملائكة بأنهم جاؤوا من أجل مغفرة الله تعالى، ومن أجل رحمته، فيقول سبحانه: فإني أشهدكم أني قد غفرت لهم، فمن هذا الحديث القدسي الشريف انطلق الشاعر في بيته السابق، حيث جعل من هذا النص طريقاً لبيان الأجر العظيم الذي يناله المسلم بعد وقوفه بعرفة. ومن الاقتباس من الحديث الشريف قول الشاعر:

أيام أكلٍ وشُرْبٍ في صعيد منى

عنوانها نَسَماتُ الودِّ والرُّحَمِ

فهذا الشطر من البيت يلتقي مع نص حديث شريف، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «أيام منى أيام أكل وشرب»، غير أن الشاعر قد أعاد ترتيب الحديث من أجل أن يحافظ على نسق القصيدة الموسيقي، ولا يخرج بها عن جادة الوزن.

ويتعدى الشاعر في اقتباسه من القرآن والحديث الشريف ليتخذ من قصائد المديح النبوي مصدراً للإلهام، ومنبعاً لبعض الصور الشعرية، كما في عجز بيت من قصيدته:

يطّوّفون وعينُ الله ترقبُهُمْ

«ما بين مستلم منهمُ وملتزم»

جعل الشاعر عَجُزَ البيت بين علامتي تنصيص في إشارة منه إلى أنه مأخوذ من قصيدة أخرى، وهي قصيدة «ريم على القاع»، حيث يقول أحمد شوقي فيها:

فكلُّ فضلٍ وإحسانٍ وعارفةٍ

ما بينَ مستلمٍ منهم وملتزم

ولا ينسى الشاعر أن ينتج تناصاً بين قصيدته وقصيدة البردة للبوصيري، وهي القصيدة التي ألهمت الشعراء عبر قرون مضت عناصر شتى في المديح النبوي، إذ يقول الشاعر في بيت من أبياته:

لو اطّلعتَ على أسرار أنفسهمْ

«مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ»

فعَجُزُ البيت يلتقي مع قول البوصيري:

أمن تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمٍ

مزجْتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

وليس أدل على رغبة الشاعر في الإحالة على النص الأصلي مظهراً تقاطعه مع الأصل، أنه جعله بين علامتي تنصيص.

المباراة الثلاثية في الشعر العربي:

لا يسجِّل هذا النوع من المباريات الشعرية الثلاثية حضوراً كبيراً في التراث العربي القائم على الوجدانيات الإيجابية، بل جلُّ ما نجده في مثل هذا الأمر واقع في فن النقائض وإن لم يلتزم المعيار الصارم للقافية الشعرية، كما في هذه النصوص التي كتبها الدكتور عودة

أبو عودة، وحسن الأمراني، ونبيلة الخطيب، حتى في النقائض الثنائية أحياناً، فقد غَيَّرَ جرير من حركة الروي في قصيدته:

لَمن الديار كأنّها لم تحلل
بين الكناس وبين طلح الأعزل
أخزى الذي سَمَكَ السماء مجاشعاً
وبنى بناءك في الحضيض الأسفل

فجاءت حركة الروي مكسورة، وهي القصيدة التي ناقض فيها قول الفرزدق:

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا
بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتًا بناه لنا المَليكُ وما بنى
ملك السَّمَاء فَإنَّهُ لا يُنْقلُ
بيتًا زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ
ومُجَاشِعٌ وأَبُو الفَوارس نهشلُ

وحركة الروي في هذه القصيدة هي الضمّ، ومما يجدر ذكره أنَّ هاتين القصيدين من أول ما أثار معركة النقائض بين الشاعرين الأمويين جرير والفرزدق.

وأما المناظرة الثلاثية، فلا نكاد نعرف لها إلا نظائر محدودة، في النقائض أيضاً، ولعل أهمها ما هجا فيها الأخطلُ جريراً بقوله:

اخسأ كليب إليك إنَّ مجاشعاً
وأبا الفوارس نهشلاً أَخَوان
قوم إذا خطرت عليك قرومهم
تركوك بين كلاكل وجران

فأجابه جرير في نقيضة على الروي نفسه:

لمن الديار ببرقة الريحان
إذ لا نبيع زماننا بزمان

هجا فيها الأخطل والفرزدق معاً، منطلقاً من الناحية الفنية نفسها، ومن المعجم الاستعمالي أيضاً، مما دفع الفرزدق إلى الردِّ عليه مناصراً الأخطل بنقيضته:

يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت
أعناقه وتماحك الخصمان

وأما على مستوى معارضة المعارضة فإنَّ هذه المناسبة تكاد تكون مصنوعة هادفة إلى معارضة ميمية شوقي (نهج البردة):

رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم
لما رنا حدثتني النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

فاتخذ الشعراء الثلاثة من هذه القصيدة قالباً شعرياً ومعجماً رفيع المستوى، واشتركوا معها دون إخلال بالناحية الفنية، فقصائدهم مستقيمة غير مختلة في بيت واحد من أبياتها على مستوى القافية والوزن وحركة الروي، والشكل التراثي الصارم الذي لا يسمح بالانزياحات الحادّة.

وأما الأصل الذي عارضه شوقي، فهو قصيدة البردة، أو قصيدة البُرأة، أو الكواكب الدريّة في مدح خير البرية، إحدى أشهر القصائد في «مديح نبوي» مدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم، كتبها «البوصيري» محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع الهجري، وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة من أفضل ما قيل في هذا الموضوع إن لم تكن أفضلها، حتى قيل: إنها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة، وقد انتشرت هذه القصيدة انتشاراً واسعاً في البلاد الإسلامية، يقرؤها بعض

المسلمين في معظم بلاد الإسلام، وأقاموا لها مجالس عرفت بمجالس «البردة الشريفة»، البردة الشريفة، أو مجالس الصلاة على النبي، فالبوصيري هو الأستاذ الأعظم لهذا الموضوع، على الرغم من أن أحد الشعراء قد خصَّص ديواناً ضخماً لمدح الرسول صلى الله عليه وسلّم، وهو الصرصري.

ومن القصيدة:

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جَرَى من مُقْلة بدم
أمْ هبَّت الريحُ مِنْ تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظَّلْماءِ من إضم
فما لعينيك إن قلت اكْفُفا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم
أيحسب الصبُّ أنَّ الحبَّ منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل
ولا أرقت لذكر البانِ والعلمِ
مولاي صلِّ وسلم دائماً أبدا
على حبيبك خير الخلق كلهم

ومهما يكن من أمر الاختلافات في المعجم اللغوي بين هذه القصائد، فقد استطاع الشعراء الثلاثة بما يملكون من معجم تراثي رائع أن يصنعوا نصاً من النصوص الموازية القائمة على التأثر دون الانسياق إلى أجزاء الأصل المتمثَّل، وهو نهج البردة على الأرجح الذي ارتكز على عبقرية شوقي في معارضته البوصيري، وأنتجوا نصاً يمتاز بالقصدية في إنتاج نصٍّ ثلاثي، وكان الأصل في هذه المعارضة قصيدة الدكتور عودة أبو عودة، وإن كان الثلاثة قد وقعوا تحت تأثير الروح الموجودة في الأصل الذي عارضوه.

وزيادة على ذلك؛ فالنصوص الثلاثة التي عارض كل واحد من الثلاثة صاحبه فيها قد اتبعت الأصل العام في المعاني، فهي نصوص قائمة على المقابلة والاتفاق، لأنّ كل واحد منهم لا يختلف عن الآخر من حيث الدلالة الكلية، فالقصائد تقوم على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والحنين إلى تلك الديار العظيمة، والتهنئة بوصول صاحب النص الأول وهو الشاعر الدكتور عودة أبو عودة حاجاً، كما تعبّر عن فرح عظيم تشع معانيه من مبنى القصيدة ومعانيها، ولمّا كان الأصل في هذا هو الائتلاف، فقد استفزّت هذه القصيدة الشاعر حسن الأمراني والشاعرة نبيلة الخطيب إلى الإجابة بالمعاني نفسها، وبالروح ذاتها، وكان الاختلاف الوحيد بين هذين النصين والنص الأول هو نوع من العتب المحبب الذي هدف إلى إظهار الرغبة الشديدة في ذلك المكان.

وختاماً؛ فإنَّ قصيدة «من ماء زمزم» قصيدة مشبعة بالروحية والرومانسية المرتكزة على شعيرة الحج، وقد عبقت بالمظاهر الروحانية الدينية على الرغم مما يبدو من عنوانها الممتزج بالمادية، فهو يشير إلى بعض الماء الكريم الطاهر (ماء زمزم)، ومعه هذه المادية، فقد استطاع النص أن يحوّله إلى ماء ينبع من وهج الروح بعيداً عن كونه ماء يمكن شربه وإطفاء العطش به، دعا الشاعر شاعرين آخرين، فأجاباه بالنغمة نفسها، متحدثين بقلب واحد، قلب محبي الله سبحانه وتعالى، وقلب من اشتاق لأعظم ما يمكن أن يشتاق المرء إليه، فجاءت هذه الثلاثية الرائعة■

القديسة والمرآة

د. آمال لواتي – الجزائر

اتجهت نحو مرآتها تجر ثوبها الليلي الشفاف، سرحت شعرها، عقدته وراءها بشرائطها الحريرية الملونة.

بهرتها صورتها وكأنها تقف أمامها أول مرة، تأملتها ملياً وهمست في أعماقها: حقا أنا جميلة!!

ابتسمت المرآة، بل كما قال لك: إنك فاتنة!

مر طيفه مسرعاً نحوها، ارتبكت وتلعثمت، حاولت إقصاءه وتجاهله، وقد قبع في زاوية من ذاكرتها.. طفق يكرر عناده وتمرده وجنونه.

تنهدت طويلاً، تنهدت المرآة! لعله ذلك الذي يحاول دائماً أن يروض أنوثتك الساذجة، ويريد أن يمارس هوايات البشر الأزلية.

– لا تذكريني.. إنه دائماً يحاول استفزازي وإغوائي.. عندما يفشل ينعتني بما شاء. فأنا العنيدة والمشاكسة حيناً، والمتعجرفة والمتحجرة حيناً آخر.

– ضحكت المرآة: كم هو ذكي! إنه يستطيع أن يرسم خيوط أعماقك الملتوية حتى تغدو لينة ناعمة.

– امتعضت غيظاً: لن ألين، ولن يستطيع أن يكون فناناً أو عبقرياً في الحب والجمال.

– ماذا تريدين منه إذا؟! اتركيه وشأنه، إنه يرحل!

– لا شيء سوى أني أشعر برغبة شديدة كي أقترب منه ليمنحني ثقة بالحياة، تغمرني ثقة عظمى به ليلهمني أشياء مفقودة، فأنذر نفسي لأن أكون ملهمته الدائمة.

– ألا تخافين عليه؟!

– بلى! إن قلبي يرتعد خوفاً من امرأة أخرى تراوده عني، تفتنه وتقوده إلى حيث يشاء.

– ساعتها أنذريه بأن أصابعها لعنة، وشفتيها لهيب، وجسدها حمأة مسنونة.

– صرخت: بل كم من مرة أنذرته! كم من مرة حاولت أن أهدئ

من روعـه..! مصـورة لـه جمـال المـرأة الحقيقي. كان يصرخ غاضباً قائلاً: متصوف! من قال: إني آخر المتصوفين..! أنا رجل كالآخرين.. بطهارتي، بنذالتي، رجل كالآخرين فيه مزايا الصالحين، ووداعة الأطفال، وقسوة المتوحشين!.

– إنهم الرجال هكذا أمام النساء.. أطفال، ضعاف، أسرى، حيارى.

– بل لئام يخونون، يعبثون، يشتهون كل أنواع النساء، وكل الأشكال، ولا يكادون يؤمنون بواحدة، ولا.. لن يعدلوا!!

– قديستي! أنت امرأة أيضاً، ولابد أن تحسني فنون الفتنة والإغراء.

– إني لا أريد أن أكون مثلهن! أتعلمين أن أكثر النساء في النار!؟ إني أبكي من أجلهن، إني أراهن الآن أمامي عاريات، شرارات حارقة تقذفهن كل آن وآن، معلقات من شعورهن بأظافر نسور سوداء. ومن حواجبهن بدبابيس صدئة. نهودهن مرمية هنا وهناك، متعفنة، مهترئة، تنخرها الديدان الصغيرة. أفاع كبيرة تمتص شفاههن اليابسة الزرقاء. أجنة مشوهة ملطخة بالدماء، تصرخ صراخاً مخيفاً، تتحرك أمامهن، وهن ينهشنها بشهوة وشراهة!!

– ارتجفت المرآة لهول ما سمعت، وكادت تهوي من ذهولها.

– أمسكت بها ساخرة: لن أنغص عليك، لئلا تفقدي صفاءك هذه الليلة. فما أحوجني لأرى نفسي.. لأعرفها!

عبست المرآة في وجهها:

لكنك تخبئين جمالك الآسر بذاك اللباس الرسمي الطويل، كلما خرجت إلى شؤونك ما ظهر منك إلا وجهُك وكفّاك فحسب!

حتى أنت يا مرآتي! أصبحت مثلهم متحاملة علي، وقاسية جداً! ألا تعلمين بأني ألبس ما يوافق فطرة الأرض، وحكمة السماء!؟

– بل أنت القاسية.. ومعه بالذات!

– ترددت! مع من؟

– لا تراوغي.. ذلك الذي يعود كلما رآك محزوناً، مكسور الجناح، مهدم الكبرياء.

– اعلمي، وليعلم هو أيضاً بأني لست مغرورة، ولست مباحة للجميع، بل إني أطبق حدود الله بقناعة وابتهاج. لماذا لا يقتنع بطهارتي واحتشامي.. وأنا مصونة بهذا اللباس الرباني!؟

– حسناً لن أعاند، ولن أشاكس، ولن أعرف أكثر مما عرفت في وصف الجمال والحب!

– لماذا تصرين على إقناعي به يا غافلة؟!

– انظري، تفرسي جيداً في عينيك الحالمتين، ثغرك القرمزي، قوامك الممشوق، جسدك الصارخ، دوري قليلاً.. امشي هناك، افتحي دولابك، تعري، ارتدي ثوبك هذا.. لا.. ذاك، بل ذاك الأبيض الموشى بأحمر العقيق، ضعي عقدك العنبري، أطلقي سراح شعرك، لا تنسي عطرك.. اخرجي.. تمايلي. التفتي إنه هناك! ستذهله المفاجأة!! اقتربي منه.. ابتسمي.. سينتفض.. سيهرع إليك.. سيطوقك بملء ذراعيه...

– ابتعدت عنها، نظرت إليه خلسة، فوجدته مازال قابعاً في مكانه ينظر إليها بعينين هائمتين جامحتين يدعوها، يرجوها أن تأتي إليه، وقد اجتاحته نشوة غير عادية بعد ما سمع صوت المرآة يناديه بكل إغراء وإغواء. فصرخت:

اخرسي أيتها المرآة الأمارة، هوت عليها بيدها المرتجفة، انفجر الدم فائراً محتجاً، وتناثرت إلى شظايا..!■

اللغة الإسلامية في الثلاثية الروائية المترجمة للغة الإنجليزية

«مدن الملح» لعبدالرحمن منيف

رسالة دكتوراه

تحليل سياقي
د. مطيع عبدالسلام السروري
ود. منجد مصطفى بهجت

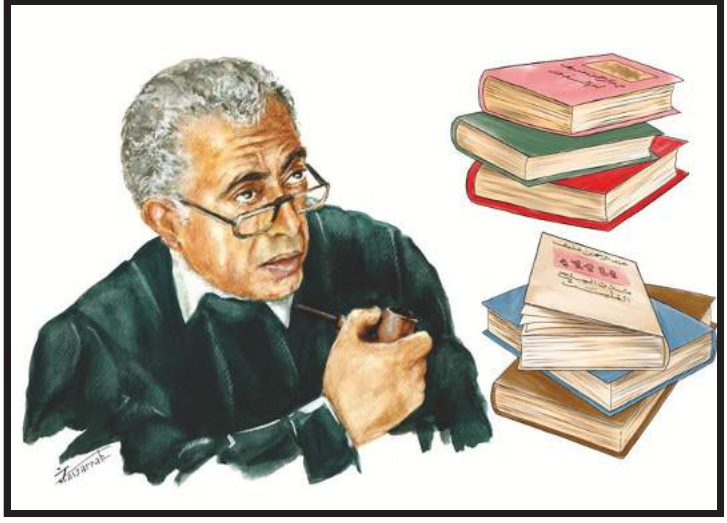

يتناول هذا المقال تعريفاً بالأدب المكتوب باللغة الإنجليزية أو المترجم إليها، مع بعض الأمثلة التحليلية، ويقدم البحث تحليلًا لسياق اللغة الإسلامية ضمن العناصر السردية: الأحداث والشخصيات، للثلاثية الروائية «مدن الملح» المترجمة للغة الإنجليزية.

و«اللغة الإسلامية» مصطلح ربما يكون أول من استخدمه الفيلسوف الماليزي سيد محمد نقيب العطاس للتعبير عن طبيعة كل لغات المسلمين، مثل العربية والماليزية والأوردية، وغيرها، حيث تمتاز هذه اللغات بمفردات أساسية عامة تعبر بالضرورة عن المعنى نفسه للبنى التركيبية المفهومية الإسلامية وشبكات المعنى.

والمقصود «باللغة الإسلامية» الكلمات والتعابير والجمل التي تستخدم بشكل حصري من قبل المسلمين مثل «مسجد»، و«حج»، و«إن شاء الله»، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية. «فاللغة الإسلامية»، بهذا المعنى، تستمد كينونتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولذلك فهي لغة معتقد، عاكسةً بذلك التصور أو الرؤية الإسلامية التي تشكل استخدامها الأساسي.

والثلاثية الروائية «مدن الملح» كتبها الروائي العربي عبدالرحمن منيف في ثمانينيات القرن العشرين الميلادي، وترجمها إلى اللغة الإنجليزية الناقد الأمريكي بيتر ثيورو في بداية التسعينيات. وجاء إطار الدراسة التحليلي معتمدًا على المفاهيم التالية: «أساسي» و«سياق» و«ارتباطي» و«مجال»؛ وهي مفاهيم تحليلية طورها الفيلسوفان الياباني توشيهيكو آيزوتسو، والماليزي سيد محمد نقيب العطاس.

تستخدم الدراسة هذه المفاهيم لتسليط الضوء على اللغة الإسلامية واستخدامها في

الثلاثية المترجمة. وهذه المفاهيم تشير إلى أن الكلمات والتعابير الإسلامية تكتسب استخدامات «ارتباطية» بالإضافة إلى استخداماتها «الأساسية» نتيجة لتأثير «سياق» جديد يعمل على إنتاج «مجالات» لمعنىً جديد. ولذلك؛ فإن السياقات المناسبة مهمة جدا للغة الإسلامية. منهجية الدراسة تركز على عناصر السرد: الأحداث والشخصيات، في ثلاثية «مدن الملح» بوصفها مجالات للغة الإسلامية.

تظهر الدراسة عدم مناسبة سياق الثلاثية الروائية للغة الإسلامية؛ حيث يكشف تحليل السياق بوضوح وجود تناقض بين استخدام اللغة الإسلامية الأساسي واستخدامها الارتباطي الذي أحدثه سياق الثلاثية الروائية.

بالنسبة لعنصر الأحداث، تكشف الدراسة (٤٥) مجالاً، تعمل كلها على انتهاك أو تحدٍ للأسس والمبادئ الإسلامية، وبالتالي فهي مجالات سرد مقللة من اللغة الإسلامية أو مستهزئة بها. والأمر نفسه ينطبق على عنصر الشخصيات؛ فمجالات الشخصيات الروائية الرئيسية محل الدراسة: شخصية ابن نفاع، والحكيم صبحي، والسلطان خريبط، هي أيضا بجانب مجالات السرد، مجالات غير مناسبة للغة الإسلامية؛ وهي نقطة تزداد سلبيتها بغياب كامل للشخصيات الإيجابية التي كان من الممكن أن تعمل «معادلًا» لتلك الشخصيات السلبية؛ حتى تكون اللغة الإسلامية بوجود ذلك المعادل

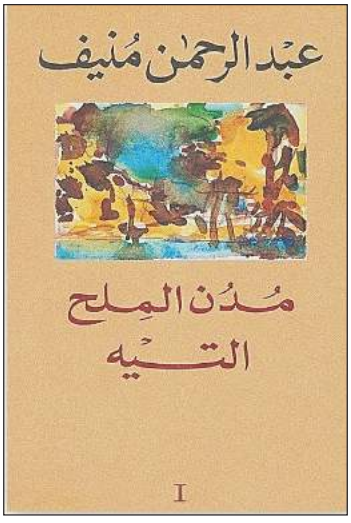

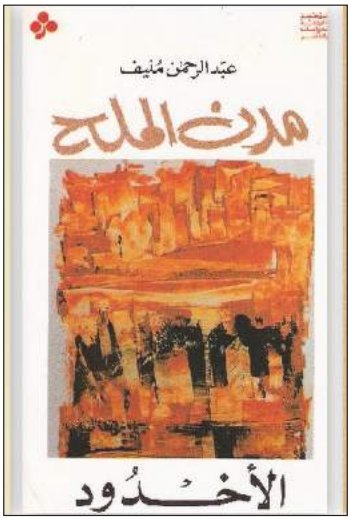

بمنأى من تأثير الشخصيات السلبية في الثلاثية.

تتبين الدراسة والبحث أن عبد الرحمن منيف عمل على بناء ثلاثيته الروائية «مدن الملح» بمجالات سردية عدائية للغة الإسلامية بوصفها لغة معتقد، تستمد كينونتها من الرؤية الإسلامية التي تشكل الاستخدام الإساسي لها.

◁◁ الإطار النظري:

تؤصّل الدراسة لمفهوم «اللسان» في الإسلام، وتبيان الصلة بينه وبين الاعتقاد بالله أو الشرك به، وذلك باختيار مفاهيم ثلاثة هي: «الأسماء» و«أسماء» و«لسان».

وقد حاول الباحث ربط هذه المفاهيم الإسلامية الثلاثة بعضها ببعض، لإبراز الرؤية الإسلامية أو السياق الإسلامي، وصلة ذلك «باللغة الإسلامية» محل الدراسة. فاللغة الإسلامية تعكس الرؤية الإسلامية، ولذلك يجب معاملتها معاملة خاصة لأنها ليست كأي لغة، وفيما يأتي نبذة عن هذه المفاهيم الثلاثة.

المفهوم الأول: «الأسماء» (بأل التعريف)، والمذكورة بالآية القرآنية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، (سورة البقرة، آية:٣١)،

يمكن أخذها على أنها حالة ما قبل «اللسان» (اللغة). وبالتالي، فهي لا تشير إلى أي لسان (لغة) محدد، ولا حتى اللسان العربي نفسه. بعبارة أخرى، مفهوم «الأسماء» يشير إلى أن الأسماء التي علمها الله لآدم تسبق جميع الألسن (اللغات). عندما علم الله آدم «الأسماء»، لم يشر سبحانه وتعالى إلى الكيفية التي علم بها آدم عليه السلام. ولا يوجد ذكر لذلك في السنة النبوية أيضا. وبالتالي فمسألة الكيفية التي علم بها الله سبحانه وتعالى آدم تظل مسألة إيمان بالغيب عند المسلمين، بوصفنا مسلمين نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق آدم وعلمه الأسماء.

وهذا يعني أن آدم عليه السلام لم يكن هو مصدر هذه المعرفة؛ ولم يكن يستطيع أن يحصل عليها بنفسه. وبالتالي، فهذه المعرفة أو العلم شيء موهوب له من الله سبحانه وتعالى. وكيفية حصوله على ذلك العلم أو تلك المعرفة ليست ضمن نطاق قدراته الإنسانية؛ إلا أن عملية تعليم الله لآدم تلك الأسماء لم تكن المرة الوحيدة التي يهبه أو يمنحه الله سبحانه فيها المعرفة الإلهية؛ فالعلم الإلهي أو المعرفة الإلهية

وصلت آدم (الإنسان) من خلال الأنبياء والرسل بعد ذلك هدايةً له من خلال «لسان» كل رسول إلى قومه.

وقد بدأت هذه الهداية لآدم وزوجه عندما كانا ينعمان بنعم الله في الجنة، وعندما أمرهما سبحانه بعدم الأكل من الشجرة المحرمة. ولكن هنا يدخل الشيطان ويغريهما بالأكل من تلك الشجرة، ويهبطان، بأمر الله، نتيجة لذلك، من الجنة، ومعهما الشيطان، كما يخبرنا عنهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.

والقرآن الكريم هو آخر كتاب هداية وإرشاد إلهي للإنسان جاءه عبر رسول الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام «بلسان» عربي مبين. وسبقه في ذلك الأنبياء والرسل إلى أقوامهم، كل رسول «بلسان» قومه، كما يخبرنا القرآن الكريم. وبهذا تكون هي الكيفية الثانية التي علم الله بها آدم المعرفة الإلهية.

المفهوم الثاني: وهو «أسماء»، بدون (أل) التعريف، تشير إلى الكفر أو الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ حيث تشير إلى أي فكر أو شيء من قبل الإنسان نفسه يعبد من دون الله، سواء أكان ذلك شيئا ملموسا أم مجردا. ووردت «أسماء» في القرآن الكريم بدون (أل) التعريف بهذا المعنى في ثلاث آيات، في ثلاث سور وهي: آية (٧١) سورة الأعراف: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا

إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾؛ وآية (٤٠) سورة يوسف: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ وآية (٢٣) سورة النجم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾.

وحتى نفهم معنى الآيات القرآنية الثلاث السابقة وأهميتها، ينبغي أن نتذكر أن المشركين في ذلك الوقت كانوا يعبدون الأصنام كآلهة؛ إلا أن الملاحظ أن الآيات القرآنية تشير إلى أنهم كانوا يعبدون «أسماء»، وليس أصناماً. وتلك الـ«أسماء» هم سموها بأنفسهم، أي: لم ينزل الله بها من سلطان. وعلى عكس «الأسماء» التي تشير للإيمان بالله، والتي علّمها الله لآدم، فإن الـ«أسماء» من ناحية آخرى، هي أسماء يطلقها الإنسان من تلقاء نفسه على ما يعبد من دون الله، وما لم ينزل به الله سلطانا. وهذه الـ«أسماء» التي يطلقها الإنسان على ما يعبد من دون الله تأتي من هوى نفسه الذي يصور له أن يعدّ أي شيء كإله. ولكن ينبغي ألا ننسى أن النفس أيضا مفطورة على التقوى. كما هي أيضاً مفطورة على الفجور. يقول الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (سورة الشمس، آية: ٨)، وهذه المقدرة هي للابتلاء؛ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(سورة الملك، آية ٢).

وهنا، أيضا من المهم جدا أن نلاحظ أن النفس تعبّر عن حالها من خلال «اللسان» في كلتا الحالتين: إيمان أو كفر.

إن «الأسماء» المذكورة في الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، مرحلة سابقة على «الألسن» كلها بما في ذلك «اللسان» العربي، وكيفية تعليم آدم عليه السلام تلك «الأسماء» مسألة إيمان بالغيب.

أما الكيفية الثانية (تعليم الله لآدم إنساناً من خلال الأنبياء والرسل عليهم السلام) فقد بعث الله كل رسول بـ«لسان» قومه؛ والقرآن الكريم «بلسان» عربي مبين. وأيضا تسمية الإنسان لما يعبد (أسماء) من دون الله هي من هوى نفسه، ويعبر عن ذلك بـ«اللسان». بالإضافة إلى المفاهيم الثلاثة المذكورة آنفًا، تستفيض الدراسة أيضا في تبيان الرابط بين اللسان (اللغة)، وتغيير أو تشويه الاعتقاد من خلال عمليتين:

الأولى، التغيير الذي أحدثه الإسلام للاعتقاد الجاهلي بوساطة اللسان العربي نفسه.

والثانية، محاولة الأفكار الغربية إزاحة المعاني الإسلامية.

ويوضح الباحث أيضا كيف أن العلماء المسلمين اعتنوا باللسان العربي منذ بدايات الإسلام الأولى عناية فائقة ودقيقة لأنه لسان القرآن الكريم؛ وكيف أفردوا لذلك المعاجم اللغوية التي تحفظ معاني اللسان العربي كما كانت في صدر الإسلام وحتى يومنا هذا.

حاولت الدراسة أيضا تبيان الصلة بين مفهوم «اللغة الإسلامية»، كما هو مستخدم في هذه الدراسة، وبين الرؤية الإسلامية من خلال إيضاح

استخدام اللغة الإسلامية في حياة المسلمين ومكانتها ودورها وتأثيرها.

إطار الدراسة التحليلي:

استخدم الباحث أربعة مفاهيم وهي «سياق»، و«أساسي»، و«ارتباطي»، و«مجال»؛ وهي مفاهيم تحليلية طورها الفيلسوفان الياباني توشيهيكو آيزوتسو (١٩٦٠م)، والماليزي سيد محمد نقيب العطاس (١٩٧٠م). تستخدم الدراسة هذه المفاهيم لتسليط الضوء على اللغة الإسلامية واستخدامها في الثلاثية المترجمة. وهذه المفاهيم تشير إلى أن الكلمات والتعابير الإسلامية تكتسب استخدامات «ارتباطية»؛ بالإضافة إلى استخداماتها «الأساسية» نتيجة لتأثير «سياق» جديد يعمل على إنتاج «مجالات» دلالية جديدة.

الجدير بالذكر هنا أن هذه المفاهيم التحليلية تستخدم في علم الدلالة (علم المعاني)؛ وبالأخص لدراسة المعاني الارتباطية للكلمات الأساسية في اللغة. استخدمها الياباني آيزوتسو لدراسة مفردات القرآن الكريم الأساسية، ثم تبعه الماليزي العطاس لدراسة المفردات الأساسية في أعمال صوفي ماليزي اسمه حمزة فنصوري.

الدراسة الحالية تستخدم هذه المفاهيم التحليلية بشكل مشابه ولكن مع فارق جوهري؛ إنها تستخدم هذه المفاهيم لدراسة «استخدام» اللغة الإسلامية (كلماتٍ، وتعابيرَ، وجملاً)، وليس لدراسة «معاني» اللغة الإسلامية. والفرق هو فرق في مستوى توظيف تلك المفاهيم. وهذا الفرق هو ما يؤسس لهذه الدراسة.

وفيما يأتي نستعرض مثالين من آيزوتسو والعطاس، ثم نبين توظيف الدراسة الحالية لتلك المفاهيم.

يؤكد آيزوتسو والعطاس على أن الكلمة الأساسية تكتسب معنى ارتباطيا بجانب معناها الأصلي عندما تستخدم في سياق معين. وهذا يحدث عندما يسهل السياق ارتباط الكلمة بكلمات أخرى جديدة مما يؤدي لإنتاج مجال دلالي جديد، والذي بدوره يؤثر على معنى الكلمة الأساسي (أي المجال الدلالي الأساسي).

والجدير بالذكر هنا أن عملية إنتاج مجال دلالي جديد لا تكون عادة ممكنة لو لم يكن السياقان: الجديد والأساسي؛ متشابهين إلى حد ما. مثلا؛ يذكر آيزوتسو أن كلمة «كتاب» والتي أساسا تعني الشيء المادي المعروف سواء وجد في القرآن الكريم أو خارجه. وتحتفظ كلمة «كتاب»، في الاستعمال اليومي، بمعناها الأساسي (أي، الكتاب المادي)، وهو المعنى الذي عادة ما يكون مرتبطا بها، إلا أنها في السياق القرآني تكتسب معنى غير عادي، وهو معنىً ديني خاص جدا.

هذا المعنى الجديد مرتبط تماما بمفاهيم مثل «الله»، و«الوحي»، و«التنزيل»، و«النبي»، و«أهل الكتاب» وغيرها. وهذا يبين بأن كلمة «كتاب» قد اكتسبت قيمة دلالية جديدة نتيجة لارتباطها بتلك المفاهيم. باختصار؛ قيمتها الدلالية الجديدة أصبحت الآن معنىً مجرداً (أي ليس مادياً). لم تعد الآن كلمة «كتاب» تفهم بمعناها العام الأساسي، ولكن بارتباطها بتلك الكلمات والمفاهيم التي تحيط بها. فبينما يكون معنى الكلمة الأساسي مضمنًا في الكلمة نفسها كما يفهمها المجتمع التي تستخدم فيه، فإن معناها الارتباطي هو الذي يرتبط ويضاف لمعناها الأساسي من خلال استخدام الكلمة في مجال معين متصلا بكل الكلمات المهمة في ذلك النظام.

مثال آخر يساعد على توضيح معنى المفاهيم التحليلية الأربعة

المذكورة آنفًا هو استخدام كلمة «تيتا titah» في اللغة الملايوية، والتي تعني «أمر command». في اللغة الملايوية هذه الكلمة كانت أساسا تتعلق بمفهوم «الملكية kingship» قبل دخول الإسلام إلى أرخبيل شبه الجزيرة الملايوية. كانت هذه الكلمة مرتبطة بكلمات أساسية مثل «ملك»، و«إله»، و«عبد» (مواطن)، و«رجل»، و«خيانة»، و«ملكي»، و«قوة»، وغيرها. وارتباط كلمة «تيتا» بهذه الكلمات الأساسية هو مجالها الدلالي ضمن السياق الملايوي، ولكن بعد دخول المعنى الإسلامي «أمر (الأمر الإلهي)» إلى اللغة الملايوية من خلال كلمة «تيتا»، اكتسبت «تيتا» معنيين ارتباطيين إلى جانب معناها الملايوي الأساسي.

المعنى الأول اكتسبته بفضل السياق القرآني، وهو المعنى الارتباطي المتشكل من خلال ارتباطها بالكلمات الأساسية التالية: «الله»، و«رجل»، و«قوة»، و«رسول»، و«نبي»، و«وحي»، و«صلاة»، و«عبد (لله)»، وغيرها.

المعنى الثاني اكتسبته بفضل السياق الصوفي، وهو المعنى الارتباطي المتشكل من خلال ارتباطها بالكلمات الأساسية التالية: «نفس»، و«كن»، و«يخلق»، و«وجود»، و«تجلي»، و«الروح»، و«محمد»، و«نور (محمد)»، وغيرها. وكلا السياقين تفريعان للسياق الإسلامي. وبهذا أصبحت «تيتا» ذات مجالين دلاليين وارتباطيين جديدين؛ إلا أنه نتيجة لعدم ارتباط السياقين: الملايوي والإسلامي بعضهما ببعض، فإن التداخل الظاهر بين المجال الدلالي الأساسي لكلمة «تيتا» من خلال الكلمات «عبد»، و«رجل»، و«قوة» من ناحية، وبين المعنى الارتباطي القرآني من ناحية أخرى هو تداخل وهمي، لأن كل كلمة من تلك الكلمات المتداخلة (في المعنى الارتباطي) ستتأثر بالسياق القرآني الذي يناقض السياق الثقافي الملايوي.

كما تقدم آنفا؛ استخدمت هذه الدراسة المفاهيم التحليلية «سياق»، و«أساسي»، و«ارتباطي»، و«مجال»؛ التي طورهما آيزوتسو والعطاس مع الفرق في مستوى توظيف تلك المفاهيم. ويظهر الفرق بين توظيف آيزوتسو والعطاس لتلك المفاهيم، وقد تم توظيفها في هذه الدراسة في خمسة مظاهر.

أولاً، التوظيف: تم توظيف تلك المفاهيم عند آيزوتسو والعطاس على مستوى المعنى؛ بينما هذه الدراسة توظفها على مستوى الاستخدام.

ثانياً، التركيز: عند آيزوتسو والعطاس على الكلمات الأساسية، وفي هذه الدراسة التركيز هو على الكلمات الأساسية والتعابير والجمل.

ثالثاً، المظهر المتغير: عند آيزوتسو والعطاس هو المعنى، وفي هذه الدراسة المظهر المتغير في الدراسة هو الاستخدام.

رابعاً، المظهر غير المتغير: عند آيزوتسو والعطاس هو اللفظ اللغوي؛ بينما في هذه الدراسة فإن المظهر غير المتغير هو المعنى.

خامساً، الأسلمة: توجه آيزوتسو والعطاس هو الأسلمة؛ بينما هذه الدراسة تركز على اللا «إسلامية» مادة الدراسة، أي: لا إسلامية الثلاثية الروائية فيما يخص استخدام اللغة الإسلامية، كما أثبتته الدراسة.

ونسوق بعض الأمثلة التحليلية في اتجاهين، فيما يخص الأحداث:

حاول البحث حصر اللغة الإسلامية، الكلمات والتعابير والجمل الإسلامية، ضمن ثمانية مفاهيم إسلامية رئيسية وهي: الصلاة، والصيام، والحج، والإيمان بالله، والملائكة، والإيمان بكلام الله (القرآن)، والإيمان بالأنبياء والرسل، والإيمان بالآخرة.

تم تحليل استخدام اللغة الإسلامية في الثلاثية الروائية بناء على هذه المفاهيم. وفيما يأتي مثالان من استخدام اللغة الإسلامية ضمن مفهومي الصلاة والقرآن. بعد إعطاء نبذة وافية عن الصلاة وأهميتها في الإسلام

أولاً: الصلاة، بدأت الرسالة بتقصي استخدام كلمة صلاة، والكلمات والعبارات المتصلة بها في الرواية. وجد الباحث أن

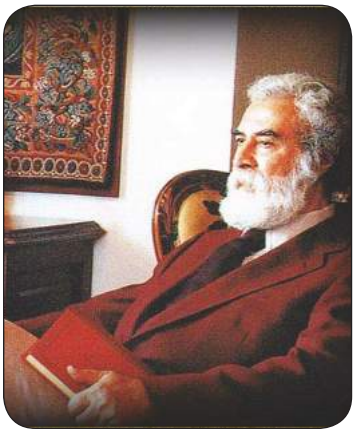

سيد محمد نقيب العطاس

الرواية وظفت «الصلاة» في اثني عشر مجالًا. مثلا، في مجال «موت أم الخوش»؛ يتم توظيف الصلاة بوصفها مظهرًا للغة الإسلامية بشكل غير لائق، في هذا المجال؛ امرأة تدعى أم الخوش تُجَن بسبب غياب ابنها الخوش. في الليلة قبل أن يترك أهل الوادي وادي العيون، تنام أم الخوش وتموت. وهنا تصف الرواية المشهد كالآتي:

«قبل شروق الشمس استيقظ الجميع، عدا أم الخوش، كانت تنام واضعة جبهتها على كومة الملابس، في جلسة أشبه ما تكون بالصلاة، كانت راكعة نصف ركوع، وكأنها مترددة ولم تغسل بعد، وكان شكلها مثل نصف الكرة... (عندما تم تحريكها) مالت بعض الشيء نحو الجانب الأيسر، لكن لم تغير إصرارها على أن تبقى كما هي: غافية، معاندة... أو ربما تواصل صلاتها، رفع أحد أبناء الوادي كتفها قليلاً، كانت حركته بين الشدة والحزم، ارتفع الوجه بمقدار شبر وتغير وضع الجسد، أما حين ارتخت يده فقد عادت أم الخوش إلى وضعها السابق: هوت على كومة الملابس وكأنها تقبلها ولا تقوى على مفارقتها». (التيه: ١١٢-١١٣)

نلاحظ في المجال السابق، أنه تم تشبيه موت أم الخوش بالصلاة، بينما هو ليس كذلك. هنا، تم اختزال الصلاة بمجرد وضع جسدي؛ بينما الصلاة في سياقها الأساسي (الإسلامي) أبعد وأجل من أن توظف في مجال كهذا، في السياق الإسلامي.

أولاً: المرء لا يبقى في وضع ثابت واحد لمدة طويلة، كما هو الحال في موت أم الخوش. وكما يلاحظ أن وضع أم الخوش في موتها وصف بوضع أشبه بالسجود، وهو وضع في الصلاة تكون فيه جبهة المسلم ويداه وركبتاه وأصابع قدميه تلامس الأرض، وما ذكر عنده هو لفظ ركوع، وليس سجوداً، وفرق بينهما؟! لكن السجود هو أقرب إلى وصف الروائي بقرينة (تنام أم الخوش وتموت).

ثانياً: وهو الأهم، السجود أكثر موضع مقدس في الصلاة، لأنه الموضع الذي يكون فيه العبد أقرب ما يكون إلى الله سبحانه. وبالتالي، فإن توظيف الرواية لأم الخوش في موضع أشبه بالسجود هو اختيار مقصود عن عمد للتقليل من موضع ذي أهمية بالغة في الصلاة وهو القرب من الله. بالإضافة إلى جعل هذا الموضع وضعًا لامرأة مجنونة، وبالتالي ربط السجود بالجنون يعد استهانة أو قلة فهم لأهم ركيزة في الإسلام.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الباحث يشدد على أنه لا ينبغي النظر فقط لاستخدام واحد أو بضعة استخدامات فقط للغة الإسلامية في الرواية، وتجاهل حقيقة الاستخدام التراكمي للغة الإسلامية في الثلاثية الروائية للنظر لمدى إساءة الرواية للغة الإسلامية في سياقها.

أما فيما يتعلق بكلام الله عز وجل، وبعد إعطاء نبذة عن القرآن وقدسيته في الإسلام، يذكر الباحث أن هناك أحد عشر موضعاً تم فيه توظيف آيات كتاب الله أو ما له صلة بها في مواضع

توشيهيكو آيزوتسو

لا تليق بكتاب الله سبحانه وتعالى وآياته إطلاقا. مثلا؛ في مجال وصَّفَ له الباحث بعنوان «مجال السفينة الأمريكية»، توظف الرواية جزءًا من آية، وتدمِجه مع تحريف لآية أخرى، من كتاب الله لوصف الأمريكيين والأمريكيات وهن بلباس البحر؛ نازلون من السفينة. يتم وصف المشهد هكذا:

«كان في المركب (الذي نزل من السفينة) رجل واحد وسبع نساء. كان الرجل في وسط المركب بلحيته الكثيفة وصدره المليء بالشعر، والنساء السبع حوله نصف مضطجعات، وهو يدور دورة كاملة، يداعب هذه، يداعب تلك، ينحني فوق واحدة، وينحني فوق أخرى...، ومع وصوله (المركب) ارتفعت أصوات البشر في غناء سريع مرح. قال عبدالله الزامل أحد العمال العرب الذين كانوا يشاهدون من الشاطئ مع أهل المنطقة:

-جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، الجواري والغلمان فيها مخلدون». (التيه ٢٠٦).

أولاً: نلاحظ التحريف الواضح لآيات الله.

ثانياً: بالإضافة لذلك، تم استخدام اللغة الإسلامية المتمثلة في آيات القرآن لوصف المشهد المبتذل وكأنه مشهد الجنة، والأمريكيات شبه العاريات على أنهن حوريات الجنة. وهذا الاستخدام ينتقص من السياق الإسلامي المتمثل أساساً في كلام الله الذي ينهى عن النظر للحرام في الأصل. التركيز هنا هو على

إساءة استخدام الآيات القرآنية بطريقة جاءت في سياق ارتباطي (روائي) غير لائق إسلامياً.

وأما الاتجاه الثاني ففيما يتعلق بالشخصيات:

تم التعامل مع شخصيات الثلاثية للرواية بوصفها مجالات للغة الإسلامية، مثلها مثل مجال الأحداث، لأنها شخصيات تستخدم اللغة الإسلامية في كلامها بكثرة، وبالتالي تم دراسة صفاتها التي تتصف بها لمعرفة نوعها وما إذا كانت مجالًا لائقًا أو غير لائق من حيث اللغة الإسلامية. قام الباحث بتحليل ثلاث شخصيات رئيسة لتمثل في مجملها ثلاثية مدن الملح الروائية. وهي:

ابن نفاع، والحكيم صبحي المحملجي، والسلطان خريبط. بالنسبة لشخصية ابن نفاع في الجزء الأول من الرواية، تتكون شخصيته من كل المواقف التي يكون فيها. وتم حصرها في ثلاثة مواقف رئيسية بناء على صفاته الشخصية. بعض تلك المواقف يتعلق بمشاعره تجاه الناس والأحداث، وبعضها يخص طريقته في التفكير، وبعض آخر يتعلق بسلوكه بشكل عام.

تم تصوير ابن نفاع شخصًا غير طبيعي في مشاعره، فهو دائما غاضب وعدواني وغير منطقي في تفكيره، حيث لا يستخدم عقله أبدا، وأيضا سلوكه يتصف بالفجور والعنصرية.

وجد الباحث أنه لو تم توفير «معادل إيجابي» لمثل هذه الشخصيات، لكانت الرواية قد تجنبت الإساءة للغة الإسلامية التي تنطقها هذه الشخصيات

السلبية. ولكن غياب الشخصيات الإيجابية «المعادل الإيجابي» يجعل الرواية لا تفرق بين اللغة الإسلامية والشخصيات. بوجود المعادل الإيجابي (أي الشخصيات الإيجابية التي تستخدم اللغة الإسلامية في مقابل تلك السلبية)، يدرك القارئ أن هناك شخصيات متزنة، والعيب ليس في استخدام اللغة الإسلامية، فالنوعان الشخصيات السلبية والإيجابية، استخدم اللغة الإسلامية، بقدر ما هو عيب الشخصية السلبية نفسها، ولكن غياب المعادل الإيجابي في الثلاثية الروائية كلها قد جعل الأمر يبدو كأن الإسلام لا يمانع من أن يدعي الإنسان الإسلام، ومشاعره وتفكيره وسلوكه لا يضبطها أيّ ضابط، وذلك عكس ما يظهره سياق اللغة الإسلامية الأساسي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله، الذي يظهر أهمية الأخلاق، والعقل، وحسن السلوك،...

ولعلنا وفقنا فيما نحن بسبيله، من إعطاء فكرة موجزة عن: اللغة الإسلامية في الثلاثية الروائية المترجمة للغة الإنجليزية «مدن الملح» لعبدالرحمن منيف، معتمدين التحليل السياقي منهجًا في بيان أبعاد اللغة الإسلامية في الرواية، الذي هو في أصله رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الوطنية الماليزية، ماليزيا ٢٠١٤م، لمطيع عبدالسلام عزالدين السروري، وشاركه الباحث الثاني د. منجد مصطفى بهجت، في مراجعة البحث وتحريره. والله ولي التوفيق■

دمشق

محمد عباس علي داود - مصر

وحين مررتُ بالأصقاع
والظلماتُ تغشاني
رأيت دمشقَ
خلف جهامة اللحظات تلقاني
بذات شموخ طلعتها
برقتها
تعالج جرحها الدامي
تكافح دمعةً
ثقلت
على القلب الذى يأبى
ركوع الذل للجاني

* * *

وحين مررت
كان الليلُ في الأنحاء
قنديلَ الذي أضحى
بلا قنديلَ أو مأوى
وكان غطاؤه المجدول من قهرٍ يدثره
ويسكب بين أضلعه بحار الدمع والشكوى
وكان الكون لحظتها..
يردد - حاني الكلمات - أبياتاً عن الرحمات
ثم يدوس بالأقدام من يشكو مرار الظلم والقسوة

* * *

وحين مررت كان الكل قد أضحى
يعالج فى الدجى ندماً
ويسأل ليله المكسوف عن جدوى قتال
شقيقه يوما

* * *

وحين مررت بعد الحين والآهات أطويها
رأيت دمشق في الأنحاء والآلام تحصيها
وليس هناك غير الصمت والظلمات تُؤْويها
وجرحٌ في المدى أضحى..
بطول النزف يكويها
وكانت في الدجى تسعى
تناجي الرب يحميها
من العاقِّ الذي أضحى
غريماً جاء يؤذيها
تقول: كفاك ياولدي
يمد الكف يدميها

* * *

وحين مررت بالآفاق
صوت دمشق
حياني
وقال القولَ مشفوعاً بإيمانِ:
وربِّ الكون لن أفنى
فرب الكون يحفظني ويرعاني

* * *

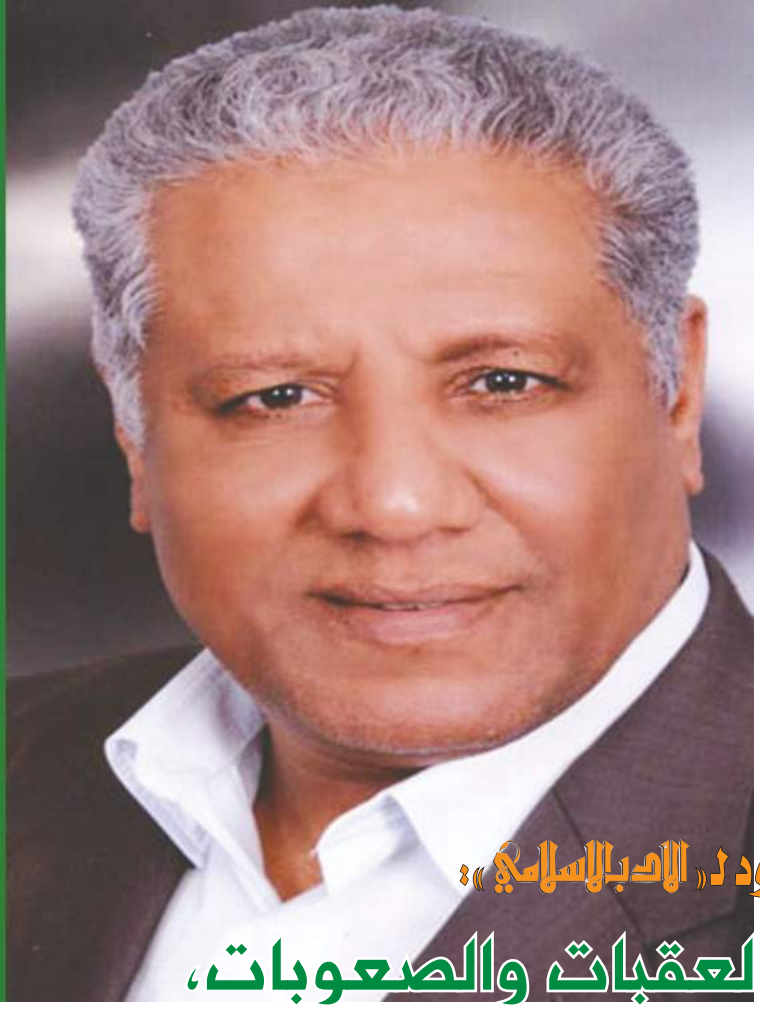

الأستاذ الدكتور حلمي القاعود أكاديمي، ناقد، كاتب، له حضوره الدائم في المجلات الأدبية والثقافية والدعوية المصرية والعربية. أحد رواد الأدب الإسلامي ونقده، وواحد من أبرز أعضاء رابطته العالمية. نشرت مجلة الأدب الإسلامي العديد من نقداته العميقة ودراساته القيمة منذ أعدادها الأولى، ومازالت. ونشرت الرابطة له في إصداراتها كتابا بعنوان: الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني. وفي هذا العدد حاورته مجلة الأدب الإسلامي، في جملة من قضايا الأدب والنقد عامة، والأدب الإسلامي خاصة، فإلى اللقاء.

الناقد الدكتور حلمي محمد القاعود لـ «الأدب الإسلامي»:

أطمح إلى تذليل العقبات والصعوبات، وتقديم الأدب الإسلامي بصورة فعالة

حوار: التحرير

■■ لمحة عن السيرة العلمية والذاتية للدكتور حلمي القاعود.

■ حياتي بسيطة وعادية وليس فيها ما يثير. فقد ولدت بإحدى قرى محافظة البحيرة عام ١٩٤٦م، وحفظت القرآن وأنا في المدرسة الابتدائية، ودخلت الأزهر الشريف لأدرس المرحلة الأولى (الإعدادية الآن) وانتقلت إلى دار المعلمين لأتخرج فيها معلما بعد خمس سنوات، وحصلت على الثانوية العامة وأنا معلم لألتحق بالجامعة وأحصل على الماجستير والدكتوراه، وأعين بجامعة طنطا مدرسا مساعدا، ثم مدرسا، فأستاذا مساعدا، فأستاذا، وهأنذا أستاذ متفرغ بها تجاوز السبعين بحمد الله.

في الستينيات بدأت الكتابة الأدبية والنقدية، ونشرت بعض ما أكتب في الرسالة والثقافة وأنا طالب في دار المعلمين، ثم مجلة الإذاعة والتلفزيون ومجلة سنابل، ولما كانت مساحة الحرية محدودة فقد نشرت كتاباتي في بيروت (الأديب، والآداب) والسعودية (رابطة العالم الإسلامي، والتضامن الإسلامي) وفيما بعد الكويت (البيان)، ودمشق (الموقف الأدبي)، ومجلة كان يصدرها مدحة عكاش نسيت اسمها)، والمغرب (دعوة الحق)،

وليبيا (الثقافة العربية).وتوسع النشر في مصر عقب تغير القيادة عام ١٩٧٠م، وظهور الصحف الحزبية وخاصة في مجال الكتابة حول القضايا العامة، فكتبت في الاعتصام والدعوة والأهرام والأخبار والجمهورية والهلال والزهور والتعاون والأحرار والوفد ومصر، وفي المجلات المتخصصة مثل عالم الفكر وغيرها من دوريات داخل الوطن وخارجه.

في أواخر السبعينيات انتقلت للعمل معارا إلى السعودية فكتبت في الندوة والدعوة بصورة شبه دائمة بالإضافة إلى البلاد والمدينة والرياض والجزيرة واليمامة واقرأ وغيرها، وألقيت بعض المحاضرات في النوادي الأدبية، وشاركت في بعض الندوات، وتعرفت إلى كثير من الأدباء في تلك المرحلة.

بعد العودة إلى مصر بدأ الاهتمام بالأدب الإسلامي، وقد ساعدت رابطة الأدب الحديث في ذلك، وكانت هناك جهود لإنشاء جمعية الأدب الإسلامي في مصر تكللت بالنجاح بعد سنوات طويلة، وقد شاركت في نشاطاتها إلى حد ما بسبب إقامتي بعيدا عن القاهرة.

وقد أخذت على عاتقي شرح الفكرة من خلال مجلة لواء الإسلام التي كنت أحرر صفحاتها الأدبية، وتابع الجهد من بعدي الدكتور عبده زايد.

في آخر الثمانينيات عدت إلى المملكة مرة أخرى للعمل في كلية المعلمين بالرياض لمدة ست سنوات. كانت فترة خصبة ومثمرة وخاصة بالنسبة للأدب

عبده زايد

الإسلامي، فكتبت وشاركت في معظم الأنشطة الأدبية في منتديات الرياض الثقافية، وامتد النشاط لإلقاء عدد من المحاضرات في جيزان وتبوك وبريدة وغيرها.

في هذه الفترة كنت أشارك في تحرير الدعوة السعودية، وأكتب للمجتمع الكويتية باستمرار، وأتابع الكتابة للصحف المصرية..

بعد العودة شغلني الشأن العام وترتب على ذلك بعض المضاعفات، ولكن الذي أزعجني هو المتاعب الصحية التي أخذت في التزايد، ولم يكن الإزعاج بسبب المرض، المزعج هو أن أتعطل عن القراءة والكتابة. وأحمد الله أنني أتغلب على المتاعب بصورة ما، وأعمل في حدود المتاح أيا كان، وأسأله العون.

بفضل الله نشرت حوالي ثمانين كتابا في التخصص وموضوعات أخرى، ولدي أكثر من ثلاثين كتابا معدة للنشر، وكل كتبي باستثناء كتابين؛ نشرت خارج المؤسسة الرسمية التي لا تقبل التوجه الإسلامي بصفة عامة، فضلا عمن لا يخضع لإرادتها.

بالطبع لم أحصل على جوائز المؤسسة الرسمية ولن أحصل. السبب واضح، مع أنني في مطلع شبابي نلت جائزة مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٨م، وجائزة يوم الأرض عن شعر المقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٤م، ومؤخرا جاءتني في شيخوختي جائزة اتحاد الكتاب في النقد الأدبي عام ٢٠١٦م، وهي جائزة رمزية أكثر منها مالية، وكنت قد حصلت في ١٩٩٨م على درع أدباء مصر مع الدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور أسامة الباز - رحمهما الله.

وأمثالي ينتظرون الجوائز من الله، وهو ما قاله لي الأستاذ أنور الجندي رحمه الله؛ حين سألته السؤال نفسه في إحدى المناسبات.

■■ ماذا حقق التنظير للأدب الإسلامي حتى الآن؟ وهل يستطيع ما قدمه أدباء ونقاد هذا الاتجاه أن يتصدى للاتجاهات المنحرفة؟

■ من المؤكد أنك حين تقدم نموذجا أدبيا إسلاميا ناجحا، فسوف يلفت الأنظار، ويترسب في الوجدان العام.

إن الأدب الإسلامي يمثل صورة مبهرة يسعى الآخرون إلى تقليدها واحتضانها. هناك بالطبع أجواء غير مؤاتية، وعناصر رافضة للفكرة الإسلامية بأكملها، وتيارات قوية مدعومة من جهات رسمية وأجنبية لمعارضة أو تشويه أو تحقير أي ظاهرة فيها أثر للإسلام بحكم

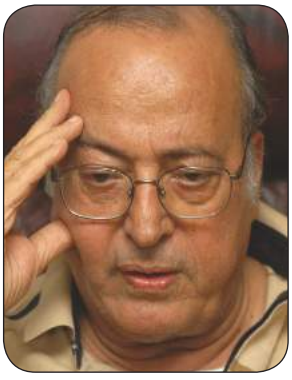

عبدالوهاب المسيري

أنور الجندي

عوامل عديدة منها تقليد المدنية الغالبة أو المستعمر الذي يستبيح كل شيء لديك، ويجعلك تنظر إليه بوصفه المثل الأعلى.. وغير ذلك من سلبيات تفرضها الهزيمة الحضارية.

التنظير للأدب الإسلامي خلّف تراثا ضخما طيبا على تفاوت بين فهم النظرية وتطبيقاتها. هناك من يربط الأدب الإسلامي بالنوايا الحسنة أو المواعظ المنبرية (وهي نوع من الأدب الخطابي) لا ينسحب على الأجناس الأدبية الأساسية (الشعر - القصة - الرواية - المسرح - الملحمة....)، وهذا لا يعبر عن النظرية الإسلامية في الأدب التي تعني حضور التصور الإسلامي أو الرؤية الإسلامية للحياة والآخرة كما يعبر عنها فريق المنظرين الفاهمين للطبيعة الأدبية الإسلامية واشتمالها على التصور الصافي للإسلام، والإتقان الفني الذي ينقل الكتابة من الحالة العادية إلى الحالة الفنية التي تثير أشواق القارئ وتدعوه إلى القراءة بشغف واستمرار والتأثر بالنموذج الذي تطالعه.

ومن المفارقات أنني في عام ١٩٧٧م كتبت في الأهرام مقالا بعنوان (سؤال بلا إجابة) أتساءل فيه: هل لدينا أدب إسلامي؟ وقد رد علي الأستاذ عباس خضر بمقال: نعم؛ لدينا أدب إسلامي، وضرب مثلا بالروايات التاريخية لبعض الأدباء التي تناولت تاريخ الإسلام، وهو مفهوم يختلف إلى حد كبير عما أردته في مقالي. بيد أن هذا المقال

كان بداية تعارف بيني وبين الرجل الذي أسهم في تحرير الرسالة في إصدارها الأول، وكان نائبا للزيات في إصدارها الثاني.

فالأدب ابن صاحبه وتصوراته، وقد كان الأدب منذ البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام أدبا إسلاميا حتى جاء الغزاة الذين شوشوا الأفكار، وزلزلوا الثوابت، وخلطوا الأفكار، وكان لا بد من دعوة تجدد الأدب، وتعيده إلى المسار الطبيعي، وهو مسار الإسلام وتصوراته؛ في إطار الوعي الفني والإبداع فيه.

خذ مثلا الأديب الإسلامي محمد إقبال، واقرأ شعره، وتأمل قدرته الفنية على التعبير عن الرؤية الإسلامية، وجذبه للمتلقي حتى في اللغات التي يترجم إليها.

خذ أيضا نجيب الكيلاني في رواياته وقصصه القصيرة، وهو يستخدم أسلوب السهل الممتنع ليوصّل الرؤية الإسلامية بمهارة فنية وإقناع كامل عبر بناء روائي أو قصصي أو شعري شائق مفعم بروح ندية فياضة.

واقرأ لكثيرين ممن نقلوا التصور الإسلامي في قصصهم وأشعارهم مثل علي أحمد با كثير، وسيد قطب، ومحمود حسن إسماعيل، وعبده بدوي، وآخرين، تجد الفن يختلط بالتصور الإسلامي في مزيج ساحر يأخذ بالألباب، دون أن تلمح صدى لخطابة أو هتاف أو جهارة خشنة.

أمتنا مليئة بالمواهب في الفنون الأدبية كافة، ويمكنها أن تقدم الأدب الإسلامي بصورة جيدة وممتازة، ولكنها محجوبة عن الحركة والإنتاج، فهي لا تجد من يأخذ بيدها، وتواجه بالرفض لأن فيها رائحة الإسلام، وحين أقول: الإسلام، فإني أعني الإسلام الحي الفاعل، وليس إسلام الشكل والدروشة والغش. هذا الإسلام الحي الفاعل يزعج خصوم الإسلام من أصحاب التيارات المعادية، فلا يتيحون له فرصة أو مجالا، ناهيك عن قلة المنابر التي تحتفي بالأدب الإسلامي بصفة عامة، بل إن بعض الدوريات الإسلامية لا تعطي اهتماما للأدب أساسا، وبعضها وهو ما شهدته بعيني لا يعترف بشيء اسمه الأدب أو الثقافة، ومن الطريف أن صحيفة إسلامية ألغت صفحات الأدب والثقافة حين تولى رئيس جديد تحريرها، لأن الرجل لا يعترف بالأدب ولا بالثقافة، ويرى فيهما رأيا لا داعي لذكره!

أضف إلى ما سبق أن وجود الناقد الذي يأخذ بيد المواهب الأدبية الإسلامية يبدو محدودا، هذا وغيره يجعل حركة الروائي والشاعر والمسرحي في السياق الإسلامي غير مرضية..

علينا أن نتذكر أن المبادرة التي قامت بها رابطة الأدب الإسلامي في التسعينيات بإقامة المسابقات في الرواية والقصة وأدب الأطفال كانت ناجحة إلى حد كبير، وكشفت عن موهوبين حقيقيين كتبت عنهم في حينه، وتناولت أعمالهم بالتحليل والتعليق، وقامت جهة أخرى بعمل مسابقة في الرواية، وللأسف لا أعلم عنها شيئا. المهم أن المسابقة وسيلة جيدة للاكتشاف، ولكن المهم هو الاستمرار والدأب.

ويذكر في هذا السياق أن الرابطة قامت بنشر العديد من أعمال الموهوبين المبشرين، كما اهتمت بنشر أعمال أخرى في مجال التنظير والتطبيق.

وإني أرى أن الاهتمام في هذه المرحلة يجب أن ينصرف إلى التطبيق، والبحث عن الموهوبين من الأجيال الجديدة، وتقديمهم للناس.

■■ ما جوانب القصور والعقبات التي ترونها تعترض مسيرة الأدب الإسلامي؟

■ المناخ القائم في العالم الإسلامي كما تعلم يجعل المسلم، حتى لو كان مسلما بشهادة الميلاد

متهما، وعليه أن يدافع عن نفسه حتى يثبت أنه مواطن صالح. لقد نجح الغرب في شيطنة الإسلام أمام مواطنيه أولا، وأمام العالم بالتالي. صار كل مسلم إرهابيا حتى يثبت العكس، ولذا ما إن تقول: «أدب إسلامي»؛ حتى تقوم القيامة لدى النخب الثقافية الموالية للغرب في بلاد المسلمين أو وكلائه في أمة الإسلام.

من اليمين: محمد حسن بريغش، ونجيب الكيلاني، وحلمي القاعود

لقد سمعت وقرأت ورأيت اتهامات ما أنزل الله بها من سلطان للإسلام وللأدب الإسلامي ولأمة المسلمين، وإذا كان هذا يأتي من بني جلدتك فماذا تنتظر من الآخرين؟

ثم إن معظم المؤسسات الثقافية العربية الرسمية في قبضة تيارات بعينها لا تخفي عداءها للإسلام، وتنادي بإحلال العلمانية مكانه، أي تريد صراحة ألا يكون للإسلام وجود أو للمسلمين حضور في أي نشاط ثقافي حتى بمنطق العلمانية المزعوم. تأمل واقع المؤتمرات والندوات والنشر والصحافة الأدبية والجوائز والتفرغ والقيادات.... تجد أن الحضور الإسلامي الحي الفاعل لا أثر له. هناك نماذج تغريبية صرف تسخر من كل ما يمت بصلة إلى الإسلام، وإن كانت تتعاطف مع غيره من الشرائع السماوية والأرضية. وهذه النماذج ليست وليدة التلقائية أو المصادفة المحضة كما تسمى، ولكنها مُعدّة لذلك إعدادا صارما من جهات تعلم أن غايتها هي ضرب الإسلام من داخله في مقتل.

انظر إلى اهتمامهم بتوجيه الشباب الغض وإلحاحهم على زرع أفكارهم في عقله ووجدانه، واصطيادهم لكل من يتوسمون فيه قدرة على الكتابة ولو بمستوى متواضع، وتحريضهم على قراءة النظريات الفاسدة وإبعادهم عن الرؤية الإسلامية وتراث المسلمين، وتوجيههم الوجهة الضالة، من خلال الإغراء بالنشر، والشهرة، والكتابة عنهم ولو كانوا تحت مستوى النقد، وقارن ذلك بما يجري في حالة الأدباء الإسلاميين!

■■ علينا ألا نتجاهل أن أنصار الأدب الإسلامي ضعاف الحركة، وإمكاناتهم المادية قليلة، ألا ترى معي أن الصامدين في حركة الأدب الإسلامي ينتمي معظمهم إلى سن التقاعد؟

■ لعلي أشرت فيما سلف إلى عدم وجود صحافة قوية تهتم بالأدب الإسلامي، أيضا لا توجد دور نشر تحتسب جزءا من نشاطها في سبيل نشر هذا الأدب وتحمل مسؤوليته، كذلك فليست لدى الأدباء الإسلاميين الكوادر الشابة التي تبذل الجهد والنشاط في تجميع الأدباء الإسلاميين والتعريف بهم وتقديمهم للناس. حتى الإعلام المرئي – وما أكثر الفضائيات الإسلامية!- لا تلقي بالا لفكرة الأدب الإسلامي، وإن

كان هناك اهتمام فهو سطحي، ويبدو أحيانا أقرب إلى السذاجة، مع قلة الوقت المتاح لبرامجه ونماذجه!

إني أطمح إلى تذليل العقبات والصعوبات، وتقديم الأدب الإسلامي بصورة فعالة، والاعتماد على الشباب، وتحويل الأعمال السردية الجيدة إلى دراما يشاهدها الناس في تمثيليات ومسلسلات وأفلام تخاطب الجموع الغفيرة التي لا تتعامل مع الكتب والمجلات والصحف..

■■ لا تخفى عليكم – وأنتم المعنيون بالقصة والرواية – ما لهذا الجنس الأدبي في هذا العصر من حضور وتأثير. ما موقع القصة الإسلامية – بأشكالها المختلفة – في خارطة الإبداع المعاصر؟

■ القصة أو الحكاية أو الحدوتة قريبة من الوجدان الإنساني. البشر يحبون الحكايات ويشتاقون إلى معرفة مصائر الأحداث والأشخاص. وغالبية الشباب يجنحون إلى كتابة القصص والروايات ظنا أنها أسهل بالنسبة لهم من قواعد الشعر والقافية. وهذا غير صحيح. ومع أن المنشور من القصص والروايات كثير للغاية فقليل منه جيد يلتزم أصول الكتابة الفنية.

ثمة ملاحظة حول الإنتاج الروائي في العقدين الأخيرين وهو دخول المرأة إلى مجال كتابة الرواية بكثرة، مع رعاية وتشجيع واضحين من بعض الجهات، لدرجة منح بعضهن جائزة الدولة التقديرية وهن لا يحسنّ الكتابة إملائيا أو نحويا فضلا عن أن بعضهن لا يعرفن غير الكتابة باللهجة العامية الدارجة. ناهيك عن خلل الرؤية واضطراب المفاهيم وهامشية الموضوعات المطروحة.

وأذكر أنني تعبت في الإعداد لبحث عن الرواية لدى المرأة في السنوات الماضية، فاكتشفت أنني بصدد أعمال ضعيفة في معظمها؛ لا تستحق الكتابة عنها أو التعريف بها لأنها تحت مستوى النقد والدرس، مع قوة الحملة الراعية والمشجعة لمثل هذا النوع من الكتابات.

لقد أدركت الجهات الموالية للتغريب أهمية الرواية، فألحوا عليها، وخصصوا لها الجوائز الثمينة وما يلحق بها من اهتمام بالفائزين دعاية وترويجا وإغراء وتحفيزا، لدرجة أن بعض الكتّاب بشّر بأننا نعيش زمن الرواية، وهناك من قال: إن الشعر – فن العربية الأول – قد مات! ومع أن مثل هذه المقولات لا يحتاج دحضها إلى تفنيد، فإن موقع القصة الإسلامية محدود، وكتابها قلة، وهو ما يفرض التفكير في طريقة أو طرق للتشجيع على كتابتها، وفي ظني أن إجراء المسابقات من خلال رابطة الأدب الإسلامي من خلال مكتبها الرئيسي في البلاد العربية أو المكاتب الفرعية، أو الجامعات الإسلامية أو المؤسسات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية هو الوسيلة المثلى والأقرب لحفز الكتاب على إنتاج القصة والرواية.

أيضا فإن دور النشر الإسلامية أو المتعاطفة مع الفكرة الإسلامية؛ تستطيع الإسهام بدور مهم لو أعلنت عن استعدادها لنشر الأعمال الجيدة التي تقرها لجان من النقاد المهتمين بالرواية والقصة عموما.

إن الفن القصصي مؤثر للغاية في مشاعر الإنسان وعواطفه وتوجهاته، ولقد أدرك ذلك أصحاب الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية، فجعلوا من الرواية أو القصة وسيلة للتبشير بآرائهم ونظرياتهم وأفكارهم، ولو خالفت الفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية. وأتصور أن عزوف بعض الناس عن الرواية والقصة قد عطل حركة الإنتاج الروائي الإسلامي إلى حد

كبير، وهو ما يستوجب المراجعة، وإدراك أن الفن الروائي يمكن أن يغير أكثر من الخطب والأفكار المباشرة، لأنه يتسلل إلى النفس والروح قبل العقل والفكر.

■■ **أصبحت لغة النقد الأدبي الحديث عند طائفة من أهل الحداثة كأنها الطلاسم. ولم يعد هذا النقد الذي يكتب في هذه الأيام يضيء النصوص أو يعين القارئ على فهمها وتذوقها. هل ترى ذلك؟ وما أسبابه في رأيك؟**

■ النقد الآن يعيش في أزمة متشعبة الأطراف، سواء في لغته أو مفاهيمه أو تطبيقاته أو نشره. نحن نملك تراثا نقديا هائلا لم يتم توظيفه في النقد المعاصر بشكل مناسب، وننقل عن الآخرين نظريات كثيرة، ولم نهضمها ونستخلص منها ما يتفق مع لغتنا وأدبنا. للأسف ننقل عن الآخرين حرفيا بلغة ركيكة مزعجة.

لقد كان نقاد مطالع النهضة الحديثة أكثر نضجا ووعيا من خلفائهم في أواخر القرن العشرين. تأمل مثلا ما نقله نقادنا في أوائل القرن العشرين وحتى منتصفه ، لقد كان العقاد والمازني وشكري مثلا ينقلون عن الكلاسيكيين والرومانتيكيين نقلا ذكيا يختار وينتقي ما يفيد منه أدبنا العربي ويقويه من قبيل التجربة الشعرية والوحدة العضوية في القصيدة والتعبير عن النفس والشعور وغير ذلك.

وكانت أفكار الرومانتيكيين والواقعيين والرمزيين مُوجِّهة لأعمال أدبية كثيرة تلاءمت مع زمانها وأوانها، وهكذا يكون النقل مفيدا وإضافة وليس خصما.

في الفترة اللاحقة أخذ نفر من النقاد ينقلون إلينا نظريات البنيوية والتفكيكية والتاريخانية والنسوية والنقد الثقافي والتلقي وغير ذلك، بلغة متهافتة وتعبير سريالي يدخل القارئ في متاهات يصعب الخروج منها، فضلا عن أن يضيف للقارئ شيئا. إنه النقل السلبي المفعول به لا الفاعل، وهو ما راكم أزمة النقد، وجعل كاتبا كبيرا مثل نجيب محفوظ يقول: إنه لا يفهم ما ينشر في مجلة فصول المتخصصة في النقد الأدبي من موضوعات نقدية!

أضف إلى ذلك أن منابر النشر الأدبي صارت بيد من يتحدثون عما يسمى الحداثة، وهم الرافضون للتقاليد الأدبية العربية والسياق اللغوي العربي، فلا مجال هناك لنشر نقد مفهوم الدلالة، واضح اللغة، محدد السياق. ولك أن ترى أن النقاد الحداثيين (والحداثة مصطلح زئبقي مراوغ، وارجع إلى معناه في بلد المنشأ) يجعلون النصوص جميعا في سياق جامد، لا تعرف جوانبه الإيجابية ولا السلبية. إنه كتلة هلامية تضع صاحبها مهما كان ضعيفا في مصاف الأدباء العظام ولو كان ما يكتبه مجرد تخاريف أو سمادير.

هناك متيمون بالنظريات الغربية المعاصرة، وهذا من حقهم، ولكنهم لم يهضموها أو يدركوا ظروف نشأة معظمها في ظل علم الاجتماع وليس الأدب والنقد، وهو ما يجعل حضورها بصورتها الأصلية في بلادنا وأدبنا أمرا نشازا، فلا نحن أفدنا من العناصر الملائمة، ولا نحن استطعنا أن نضع أيدينا على المتشابه مع تراثنا.

قل لي: كيف أتعامل مع موت الناقد أو موت المؤلف في أمة اقرأ التي لم تعد تقرأ؟ إن أكبر نسبة للأمية الأبجدية والثقافية موجودة في بلادنا العربية!

الأمر نفسه ينطبق على النقد في الجامعات. هناك أبحاث غزيرة تكاد تكون ترجمة حرفية ركيكة لما يجري خارجها. ونادرا ما نعثر على بحث يفي للغة العربية وخصائصها

بما تستحق في التعبير عن رؤية نقدية ناضجة.

بالطبع هناك أسباب وعلل، وحلول وعلاجات، يضيق المجال عن تناولها الآن، ولكنها مرتبطة بإصلاح نظام التعليم، وواقع الحياة الثقافية المعاصرة. وهو أمر ليس في متناول اليد الآن فيما أتصور.

■■ ما آخر إنتاج للدكتور حلمي القاعود؟ وماذا في جعبته من المنتظر؟

■ أنجزت بفضل الله سيرتي الذاتية في ثلاثة أجزاء، نشر منها جزآن، الأول: زمن البراءة – النيل بطعم الجوافة، ويتناول مرحلة الطفولة حتى بداية العمل الوظيفي. الثاني: زمن الهزيمة – النيل لم يعد يجري، ويبدأ من فترة التجنيد في الجيش عقب هزيمة يونيه حتى التفكير في الخروج للعمل خارج مصر. الثالث – زمن الغربة: النيل لا طعم له، ويتناول مرحلة العمل في الخارج والظروف التي عايشتها منذ أواخر السبعينيات حتى وقت كتابته. وهذا الأخير قد يظهر بمشيئة الله في معرض الكتاب (يناير٢٠١٧).

هناك كتاب آخر كنت أفكر فيه منذ زمان بعيد، وشاء الله أن أحتشد له في السنوات الأربع

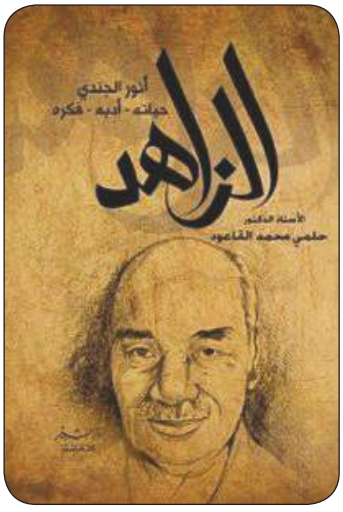

الماضية وأنجزه، وأحقق رغبة كامنة، وهو كتاب «الزاهد – أنور الجندي».

فالأمة مدينة لهذا الرجل بكثير من الفضل والجهد، وللأسف لم يجد مقابلا أو إنصافا، وهو الذي وهب نفسه وما يملك دفاعا عن الإسلام وتعريفا به، واللغة العربية وعطائها، وشرحا للأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، والمؤامرات التي لا تتوقف ضد الإسلام والمسلمين، كما أصدر العديد من الموسوعات، ومئات الكتب التي سبق بها غيره، وحملت رؤية الكاتب المسلم المتوضئ الذي يستشعر ما يراد بأمته، ويحرص على العمل الطيب والإنجاز المفيد لصالح الناس جميعا.

وقد رأى بعض المحبين إعادة نشر روايتي الوحيدة «الحب يأتي مصادفة»، وقد كتبتها عن حرب رمضان التي كان لي شرف المشاركة فيها وظهرت قبل أربعين عاما ضمن روايات الهلال. وسعدت حين قرأتها من جديد، ولعلها تحفزني على كتابة رواية جديدة، ولدي مشروعات روائية عديدة، يصرفني عنها الكتابة في الشأن العام الذي يحتاج إلى التعبير المباشر.

هناك مشروعات عديدة أتمنى أن أنجزها أو أنجز بعضها على الأقل، إن شاء الله ومنحني شيئا من الصحة والعافية والعمر. بعضها يدور في سياق الأدب الإسلامي، وبعضها يدخل في مجال الإنشاء الذي أتوق للعودة إليه. وأسأل الله التوفيق في كل الأحوال■

سناء

عمر فتال - المغرب

سناء.. سناء.. سناء! نادى في شبه همس، وهو يرهف السمع، علّ أذنيه تلتقطان صوت قدميها الصغيرتين تمسان درجات السلم في تتابع؛ غير أن الصمت المطبق ابتلع نداءه ذاك، فتمدد على السرير شارد البال. إذ اعتادت سناء الطفلة النشيطة أن تكون داخل حجرته بالطابق السفلي، قبل أن ينهي نداءه، حتى ولو كان خافتا، فتلبي حينها طلباته المستعجلة، أو تضع يدها في يده، للذهاب إلى المسجد قبل رفع الأذان، أو للالتحاق بأصدقائه في الحديقة التي تتوسط الحي.

هناك يجلس إليهم، فيتجاذب معهم أطراف الحديث إلى حين، فيما تعود سناء إلى المنزل القريب من هاتيك الحديقة، أو تقبل على الركض في مرح وسرور، بين الممرات المحفوفة بالورود والأزهار، أو اللعب بما تحضره معها من لعب عزيزة؛ حتى إذا ناداها؛ وضعت من جديد يدها في يده، وقفلا راجعين إلى المنزل.

مضى الآن على حضورها الدائم إلى جانبه، ما يزيد على ستة أشهر، عندما غرقت عيناه في ظلام دامس، على إثر فشل العملية الجراحية التي خضع لها بغية إنقاذ النور المتبقي في العين السليمة. يومها شمله القريب والبعيد بأرق عبارات التعاطف، وأحلى كلمات الصبر والاحتساب، وأنبل ألفاظ التشجيع والتحدي؛ وحدها سناء التي نابت يداها ورجلاها عن لسانها، فسارعت إلى تلبية طلباته، وهو على سرير المرض. ولما تماثل للشفاء، وغدا قادرا على الحركة، سارعت في نشاط وحيوية إلى لعب دور العصا البيضاء التي أحضرها من العيادة في آخر زيارة للطبيب؛ فقد غدت رفيقته في تنقله من مكان إلى مكان داخل البيت، ومنه إلى المسجد أو إلى الحديقة أو زيارة بعض الجيران، وهي التي تصف له الأشياء القريبة منه في كلمات قليلة، وهي التي تحدد له مكانه في رحاب بيت الله، ولا تخرجه منه إلا إذا خفت حركة المغادرين.

أما في الحديقة، فتأخذ بيده إلى أن يجلس على الكرسي الذي ألف الارتياح فوقه عندما كانت عينه السليمة تشع بصيصا من النور، حتى إذا حضر

زمـلاؤه أنبأته بوصولهم، قبل أن تقفل عائدة من حيث أتت، وغالبا ما تستسلم للركض، أو اللعب داخل الحديقة الغناء، إلى أن يدنو موعد الرجوع به إلى المنزل...

في ذلك اليوم تخلص من قبضة غفوة عابرة، وطفق يتطلع لصوت قدمي سناء على درجات السلم، أو البهو الضيق في الطابق السفلي، غير أن انتظاره طال. نادى من جديد نداء متقطعا: سناء.. سناء.. سناء! لكن لا حركة ولا جواب؛ وما لبث أن ركن إلى الهدوء الذي كان يرين على الحجرة، وما حولها.

كـادت غفـوة عـابـرة أخـرى أن تحكم قبضتها عليه، لما دخلت الصغيرة سناء، وأنفاسها تتلاحق، قبلت جبينه في سـرعـة خـاطـفـة، ثـم أخـذت يـده اليمنى في هدوء، وراحت تقول بصوت متقطع ملؤه الفرح والغبطة: جدي عبد المغيث المس هذه؛ لا.. بل هذا.. وهذا.. وهذه.. أعرفت يا جدي ما هي؟ أراك تضحك.. لقد عرفتها.. بقيت هذه.. المسها آه.. إنها حقيبة صغيرة.. لا لا.. كبيرة.. لونها بني وأصفر.. إنها تفتح من هنا.. المسها.. إنها جميلة.. جميلة.

في تلك اللحظة دخل والدا سناء، وبعد أن ألقيا التحية، قالت الأم في هـدوء: مـا هـذا الـذي فعلت ياسناء؟ ردت الصغيرة في بهجة كاملة: لقد أريت جدي أدواتـي المدرسية؛ فما كان من أبيها إلا أن قال متوجها بالحديث إلى والده عبد المغيث: والدي العزيز لقد سجلت صغيرتي سناء في مدرسة النور، واقتنيت لها كل المستلزمات المدرسـيـة.. ابتسم الجد، وما عتم أن قال في خشوع ضارع: اللهم يا نور السماوات والأرض، نور بصيرتها، واشرح صدرها، ووفقها رحمان يا رحيم في دراستها. أنهى دعاءه ثم مد يده عله يلمسها فيقربها منه، إلا أنها كانت قد جمعت أدواتها المدرسية، وصعدت درجات السلم في موكب أفراح حافل..

بعد حديث قصير، انصرف الأبوان. حينها شعر عبد المغيث، كما لو أنه خرج لتوه من غرفة العمليات؛ الظلام الحالك يكتنفه، والصمت المطبق يلفه. لقد حان موعد اللقاء بالأصدقاء في الحديقة.. تراه ينادي سناء، لتأخذه إليهم؟ أيحرمها من التمتع بأدواتها المدرسية؟ أيتغيب اليوم عن اللقاء بأولئك الأصدقاء؟ أيـرسـلـهـا إلـيـهـم مـعـتـذراً عن الحضور؟ وما تراه يفعل في القادم من الأيـام عندما ينتظم التحاقها بالمدرسة؟ مرت دقائق على تلك الـتـسـاؤلات المـتـرادفـة الـتـي وجد نفسه في لجتها العميقة؛ قبل أن ينتفض، منادياً هذه المرة بصوت أجش، وفي حزم شديد: سناء.. سناء.. سناء! من فضلك أحضري لي عصاي البيضاء!.. قالها، وقد غمرت كيانه بكامله حيوية كبيرة، ممزوجة بإصرار بالغ ■

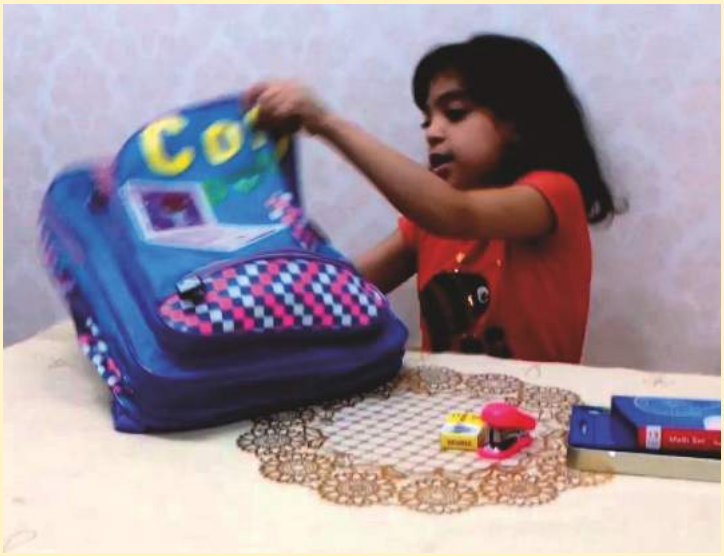

قراءة في ديوان السباعيات
للدكتور عيسى ألبي أبو بكر

د. مشهود محمود جمبا (*) - نيجيريا

ولد الدكتور عيسى ألبي أبو بكر بمدينة كماسي الغانوية لأبوين إلوريين عام ١٩٥٣م. تعلم القرآن الكريم ومبادئ الدراسات العربية والإسلامية على أيدي مشايخ إلورن، وحصل على الشهادتين الإعدادية والتوجيهية بمركز التعليم العربي والإسلامي، أغيغي نيجيريا.

حصل على شهادتي الدبلوم والماجستير في اللغة العربية بجامعة بايرو بكنو، وعلى الليسانس والدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إلورن، والدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود بالرياض.

أوفده المرحوم الشيخ آدم عبد الله الإلوري إلى مدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بمدينة إلورن حيث عمل ردحا من الزمن مدرسا وناظرا. وبين (١٩٨٤- ١٩٩٤م) عمل محاضرا في اللغة العربية وآدابها بجامعة عثمان بن فودي صكتو، ومن (١٩٩٤م) إلى يومنا هذا بجامعة إلورن، وقضى سنة سبتية بجامعة ليغون بدولة غانا، وأخرى بجامعة أبوجا، نيجيريا محاضرا في اللغة العربية.

يعد الدكتور عيسى ألبي أبو بكر فحلا من فحول الشعر العربي في نيجيريا، وفارسا من فرسانه المتحكمين فيه، قال الشعر مذ كان يافعا، وظل مواظبا على قوله وتجويده وتصقيله حتى قويت شوكته وتفجرت ينابيعه، فامتاز شعره بحسن الديباجة، وعلو البلاغة، وقوة المخيلة، والمقدرة الإبداعية النادرة، والوحدة العضوية والموضوعية. وقد نال بالشعر جوائز كثيرة، أعلاها الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة

(*) قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغي، أنيغبا، نيجيريا.

الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام (١٩٩١م)، ووسام التقدير الذي قلدته إياه شعبة اللغة العربية بجامعة ولاية كوارا عام (٢٠١٤م). ونشرت قصائده مجلات علمية في نيجيريا وبلاد العرب.

عيسى الشاعر وعوامل تكوين شاعريته:

هناك عوامل كثيرة ولدت شاعرية عيسى، وسنتعرض لاثنين منها، هما العامل البيئي، والعامل الشخصي. أما البيئي فقد تجسد في ثلاث بيئات كان لها أثر قوي في الشاعر على نحو ما يأتي: بيئة مدرسته بالمركز، أغيغي، وبيئة جامعة عثمان بن فودي بصكتو، وبيئة بلده إلورن. قضى الشاعر بالمركز ما يقرب من عقد من الزمن (١٩٦٥ - ١٩٧١ - / ١٩٧٦ - ١٩٧٩م) في كنف شيخه المرحوم آدم عبد الله الإلوري الذي لقنه العلوم العربية والإسلامية، وخرجه شاعرا، والمركز بيئة مهيأة لتنافس الشعراء، عامرة بالشباب النابغين النشيطين المتأثرين بتوجيه الإلوري وأسلوبه المتميز في إعداد الشعراء[1]، ثم ساقه القدر إلى جامعة عثمان بن فودي بصكتو، نيجيريا، حيث عمل لعشر سنين محاضرا بشعبة الدراسات العربية احتك خلالها بأجلّة الأدباء أرباب البيان الذين نقدوا شعره وقوموه، ثم عاد وضرب أطنابه على موطنه إلورن عام (١٩٩٤م)، وهي زاخرة بتراث الآباء والأجداد بناة الحضارة الإسلامية، وبالشباب المتحمسين للعربية المتفانين في حماية تراثها، فوجد من هنا وهناك دوافع توهج منها شاعريته، وأسعفته على الإنتاج المستمر، والتركيز والالتزام في الاتجاه.

د. عيسى ألبي أبو بكر

وأما العامل الشخصي فيتمثل في الموهبة الفذة والملكة الشعرية الكبيرة التي منح الشاعر إياها، إضافة إلى عكوفه على دواوين الشعراء القدامى والمحدثين، وحفظه لكثير من أشعارهم، وقديما قالت العرب: «احفظ تقل، إن الكلام من الكلام». وفي الديوان أدلة كافية على أنه اطلع على أعمال البحتري، والمتنبي، والحريري، والبارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وأبي القاسم الشابي، وطه حسين، خليل مطران، وفدوى طوقان، ومحمد الفيتوري، ولفيف من شعراء السعودية المعاصرين، ويتمثل العامل أيضا في سعة ثقافته التي اكتسبها عن طريق الاطلاع المكثف على الثقافات العالمية المتنوعة فتجده يتكلم حول الفيتو «حق النقض» في مجلس الأمن بالأمم المتحدة، ومعتقل غوانتانامو، ومؤتمر دول الكومنولث، والعولمة»... إلخ، فهذه العوامل مجتمعة هي التي أذكت جذوة الشاعر، وأشعلت جمرته، وجعلت منه فحلا عملاقا يتربع على أريكة الشعر العربي، لا في نيجيريا فحسب، بل في كافة أفريقيا جنوب الصحراء.

السباعيات في شعر عيسى ألبي أبو بكر:

لا يخامرنا شك في أن الشاعر قد اطلع على نسخة من السباعيات العربية، لكن النظرة الفاحصة تثبت أن سباعياته تمتاز عن غيرها من حيث الشكل، والمضمون، وطريقة العرض، ومن حيث إنها بنات أفكاره فكرة وأسلوبا، على خلاف البستاني وغيره من العمريين الذين يعيدون صياغة أفكار الخيام بأساليبهم الخاصة. وفي السطور التالية نبرز بعض الجوانب الفنية في هذا

الديوان، ولضيق المقام، ليس بوسعنا سوى أن نمر على ذلك مرَّ الكرام من ناحيتين:

◁◁ أولا: من الناحية الموضوعية:

يحتوي هذا الديوان[٢] على مئة وسبعين (١٧٠) سباعية، سجل فيها الشاعر مشاعره وخواطره الشخصية، وانطباعاته حول قضايا الساعة الوطنية والعالمية زهاء عقد من الزمن (١٩٩٤ - ٢٠٠٥)، أمسك خلاله عن الإنتاج سبع سنين (١٩٩٦ - ٢٠٠٢)، وقد تناول حوالي تسعة عشر موضوعا يتصدرها الوصف بنيف وخمسين سباعية، يليه الهجاء والذم، والشكوى، والمدح بحوالي خمس عشرة سباعية لكل منها، فحديث الحب والغرام باثنتي عشرة، وذكريات الماضي بسبع، والفخر والاعتزاز بست، والباقية تتناول النصيحة، والحنين، وتمجيد الله وتوحيده، والحكمة، والرثاء، والشعر الإنساني، والقضايا الوطنية، والترحيب، والفلسفة.

الشيخ آدم الإلوري

وكثرة الوصف مصداق لقول ابن رشيق: «إن الشعر إلا أقله راجع إلى الوصف[٣]، «وقول طه حسين: «من الجائز أن يقال: إن الشعر كله وصف، فالمدح وصف محاسن الناس، والهجاء وصف مساوئهم، والنسيب وصف جمال المرأة وما يثيره في النفس من عاطفة، وهلمَّ جراً»[٤].

ونظرة تأملية في الوصف خلال الديوان تكشف عما يتمتع به الشاعر من قدرة عالية على البيان والتوضيح، إذ معظمه يدور حول المعنويات والروحانيات التي يتطلب التعبير عنها قدرا كبيرا من الجهد والطاقة البيانية، وذلك مثل الروح، والأمنية، والعافية، والعقل، والحب، وتقلبات أحوال الدهر، والحنين، وغطرسة اليهود، وشهر رمضان وعظمة ليلة القدر، وأقله يدور حول الماديات والطبيعيات المرئية مثل الهاتف المحمول، والكتاب، والقمر، والمطر، والمد البحري (تسونامي)، فغلبة الوصف الوجداني على النقلي عند الشاعر آية ناطقة بعلو كعبه في دنيا الشعر، حيث نجح في نقل المعاني من حواسه إلى نفسه وضميره أولاً، ثم إلى القارئ والمستمع، ومتخطيا بها حدود الظاهرة إلى ما وراءها.

وشكوى الشاعر إما من أحوال بلاده، أو أحوال البلاد الإسلامية، أو من حكام نيجيريا أو أفريقيا، أو من أشياء أخرى كألم الفراق والشيخوخة، فما هو بالأناني الذي يشكو من حرمان ذاتي أو لتحقيق أطماع شخصية، بل هو لسان الشعب والمعذبين في الأرض، وصوت الإسلام العالي الشاكي من سوء أحواله.

أما مدحه فلا يبذله رخيصا لذي مال أو جاه، بل يهديه للرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) ومن يستحقونه من الشخصيات العظام، والعلماء الكرام ممن خلد التاريخ آثارهم مثل الخليفة عمر الفاروق، والحريري، والشيخ آدم الإلوري، والشيخ يوسف القرضاوي، وغيرهم.

وهجاء الشاعر وذمه سيف ذو حد واحد بتار موجه صوب الإرهابيين، والعولمة، والفواحش، والعالين في الأرض علوا، وغطرسة اليهود وأمريكا، والأعمال الإجرامية عامة.

أما غرامه فعفيف ترتفع عاطفته فيه إلى قمة

الصفاء والنبل، فما هو من دافع شهوة أو غريزة جنسية، بل نابع من قلب مؤمن طاهر. ومثال حي لذلك السباعية (غادة الحي):

غـادة الحـي قـد أثـرت شعوري
بـحـديـث مـهـذب مـسـحـور
فـذة أنـت في الـصـفـاء فـأذكـيـ
ت لي الـوجـد في قـرار الـصـدور
أنـت ريـحـانـة الـعـيـون فـجـودي
بـقـلـيـل لـدي كـالـمـوفـور
كـيـف لا تـرحـمـين خـفـقـة قـلـب
ذل في الحـب كـالـفـتـى المـأمـور
إن تـقـوى تـأصـلـت هـل لـديـها
قـوة المـنـع مـن ذوات الخـدور؟
لا تـلـومـي ضـراعـتـي وخـشـوعـي
وذهـولي أمـام خـلـق وقـور
فـعـلـى الـشـاعـر المـهـذب أن يـسـ
ـعى بـرغـم الـرقـيـب خـلـف الـبـدور[٥]

وأما فخره فليس بمال أو جاه أو حسب أو نسب أو مكانة اجتماعية، بل بفنه الرفيع وشعره الجميل، فقد قال:

حـيـوا جـهـود مجـيـد لـلـقـريـض رأى
بـين المجـيـدين عـرش الـشـعـر فـاسـتـلـمـا
لا يـنـشـر الـشـعـر إلا بـعـد غـربـلـة
وشـعـره يـحـتـوي الآداب والحـكـمـا
لا يـطـلـب المـجـد إلا في مـواطـنـه
وقـد تـخـير أخـلاق الـعـلـى شـيـمـا[٦]

ثم قال:

شعري طريقي إلى العلياء يرفعني
بـه أنـسـق مـا يـهـدى مـن الحـكـم
هـديـة الله مـن يـحـظـى بـهـا بـطـل
يـصـول مـنـتـصـرا في حـلـبـة الـكـلـم
يـا نـاكـرا هـيـبـتـي في الـشـعـر يـحـسـدنـي
لا يـخـلـق الله أقـوامـا بـلا عـلـم[٧]

وكثيرا ما نرى الشاعر يتدفق من نفس إنسانية سمحة، فيجود للمنكوبين والمعذبين دموعا من قلمه تجري، ودماء من مقلتيه تسيل، وهو يتخطى في ذلك الحدود الجغرافية والعرقية، والفوارق العقدية، فهل يثير شفقة المرء وتحنانه أكثر من قوله في طفلة تدعى (بوسي) غرس المجهولون في يافوخها المسمار وهجروها:

لـو دروا مـا غـرّزوا في رأسـهـا
لـتـمـنـوا جـرعـة مـن بـؤسـهـا
طـفـلـة المـجـهـول في أوسـاطـنـا
سـئـمـت مـظـلـومـة مـن نـفـسـهـا

أي ذنـب قـد جـنـتـه يـا تـرى
فـأرادوا رمـيـهـا في رمـسـهـا؟
هـجـروهـا وتمـنـوا مـوتـهـا
فـوجـدنـا سـعـدهـا في نـحـسـهـا[٨]

لقد تناول الشاعر أغراض الشعر الموروثة، وزاد عليها، وتعرض لقضايا وطنية مثل أزمة الثاني عشر من يونيو، وحوادث يَلْوَ بولاية بلاتو، ولقضايا الساعة

مثل الإرهاب، والعولمة، والحروب والمجازر الأفريقية العديدة، وقضايا إسلامية مثل الحجاب، والمسجد الأقصى، وقضايا فكرية من فلسفة وحكمة، يضع كل ذلك في سباعياته عن طواعية وعن عفو خاطر، مما يدل على أنه شاعر وجداني يتفاعل مع الأحداث، لا شاعر المناسبات الذي يترقب الفرص لقول الشعر، حتى إذا سنحت جادت قريحته، وإلا بخلت.

◁◁ ثانياً - من الناحية الفنية:

لا تعد السباعيات علامة ضعف الشاعر أو قصر نفسه، بل أمارة قوته ونضجه، إذ استطاع أن يصوغ في غضون سبعة أبيات ليس إلا، أفكارا ومشاعر قد يعجز شاعر آخر عن استفراغها في أبيات كثيرة، علما بأن الموقف الذي يستفز الشاعر لأن يؤلف قصيدته - كما قال طه حسين - موقف له أهميته وخطره، فقلما يكفي للتعبير عنه أبيات لا تتجاوز العشرة أو تتجاوزها قليلا.

والنظرة الحصيفة في هذا الديوان تكشف عن تجارب ملؤها أحداث وجدانية وعقلية؛ تجارب نابضة بالحياة صاغها الشاعر من العقل والنفس معا في قصائد كاملة النضج، واضحة المعالم، متميزة الخصائص، ودبجها ديباجة عربية خالصة تترنح لها الأعطاف حتى ليسأل القارئ نفسه: أأعجمي هو أم عربي؟!

وسنوجز الحديث في طائفة من التجربة الشعرية، والقيم الشعورية والتعبيرية في الديوان.

تكمن التجربة الشعرية في تماسك هيكل القصيدة وتناسق أبياتها تناسقا يشعرنا أننا بصدد حدث وجداني واحد يرويه لنا الشاعر في وتيرة موسيقية واحدة منسجمة من أولها إلى آخرها، لا أمام أبيات يستقل كل منها بشعوره وإحساسه، فإذا ضربنا السباعية (المال) مثلا:

قد ملك المال قلوب الورى
وعلَّم الخائف فن السُّرى
وأرغم العائف ذوق الأذى
وأسمع الفاضل ما أنكرا
وجنن التاجر لمعانه
فلم يجد في الليل طعم الكرى
يجعل من يملكه سيدا
وكان عبدا عائلا أفقرا
لحبه ينسى الفتى أفقه
لأجله أصحر أو أبحرا
يجند الثوار أن يعتدوا
على رئيس دون أن يغدرا
يحول العابد إن ناله
إلى شقي دون أن يشعرا[٩]

رأينا لوحة فنية للمال وهو يملك، ويرغم، ويجنن، ويجند، ويحول، فأحاسيس الشاعر ومشاعره تجاه المال متناسقة ومتسلسلة من البداية إلى النهاية، فمن يملك فإن له حق الإرغام، والإسماع، والتجنيد، والتحويل، فهذا منتهى الوحدة العضوية، وغاية الوحدة الموضوعية، ولاشك أن قلة عدد الأبيات قد أسعفت إسعافا كبيرا على إحكام السيطرة على القصيدة ودقة بناء هيكلها وفقا لهوى الشاعر.

أما القيم الشعورية في الديوان فتتميز بطابع شخصية الشاعر، وهو ينقل إلينا شعوره كما يرد عليه عفوا دونما أي تكلف، ويصور علاقته الشخصية مع العالم الواسع والكون الفسيح، ومع الأحداث والحوادث المستجدة في مختلف الأزمنة، وهذا الشعور متعدد تعدد الأحداث ؛ هادئ لطيف إذا وصف، وثائر متموج إذا هجا أو شكا، ولذيذ مليح إذا عشق، وإنساني شفوق إذا تعرض لقضية إنسانية، وخير نموذج لذلك السباعية «لا تقلقوا المريخ»

استعمروا الأرض فعم الفساد
واعتزموا المريخ بعد العناد

مـــاذا يـريـد بـاحـث ضـائـع
في كـوكـب يـهـدأ فـيـه الجسـاد
مـاذا أفـادوا الأرض مـن حكمهم
سـوى دمـار مـرعـب لـلـعـبـاد
الأرض مـثـواهـم فـمـا غـرهـم
بـالـعـالم الـعـلـوي بـعـد الـلـداد[١٠]

فعلى الرغم من أن نزول الإنسان على سطح القمر وشموس أخرى يعد إنجازا علميا يعود بالخير على البشرية إلا أن الشاعر نجح في إقناعنا بأنه مجرد

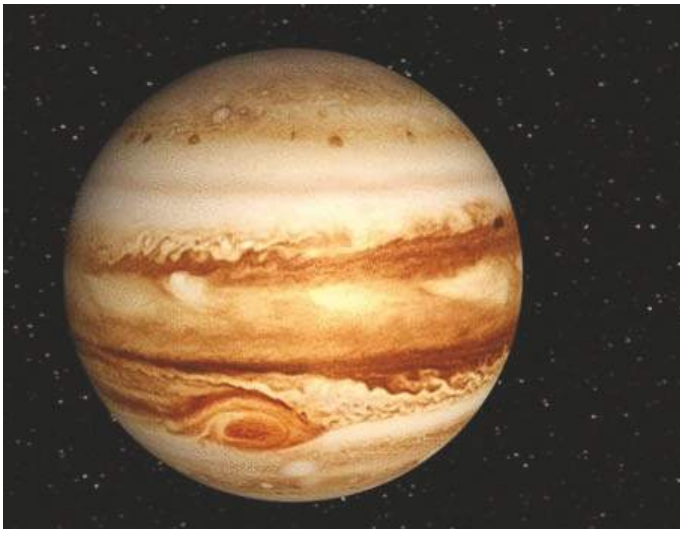

مغامرة لا طائل وراءها. وإذا قرأنا السباعية «دمل الإست» وجدنا أنفسنا مضطرين إلى مشاطرة الشاعر ألمه ووجعه حين أصابه دمل باسته (بواسير) نغص عليه الحياة، وفيها يقول:

مـنـع الأكـل والمـنـام فـأصـبـحـ
ـت صـبـيـا مـعـوّلا بـالـشـكـايـا

إلى أن قال:

لا جـثـوٌّ لا جـلـسـةٌ لا قـيـامٌ
لا كـلام حـتـى لـرد الـتـحـايـا
دمـل نـغـص الحـيـاة عـلـيَّ
هـو كـاف لمحو كـل الخـطـايـا[١١]

وأما القيم التعبيرية فأول ما يستوقف النظر منها تخير الشاعر للألفاظ الموحية المتناغمة مع انفعاله، ونضرب لذلك مثلا السباعيتين «الوفاء» و «الشرار»:

أحـسـن الخـلـق في الحـيـاة وفـاء
لـثـبـوت وعـزة إيمـاء
كـل شـيء يـكـون أولـه قـو
لا ويـتـلـوه فـعـلـه فـوفـاء
فـإذا مـا وعـدت وعـدا فـلا تنـ
ـقـصُـه فـيـه سـلامـة وعـلاء
لا تكن ناكصا عن الوعد ما دمـ
ـت كريماً يأتي إليك الثناء[١٢]

ويقول في سباعية «الشرار»:

إن الشـرار وإن طـال امتطاؤهم
مـتـون شـر وتـضـلـيـل وعـصـيـان
أو شـوهـوا الخـير تشويها بلا مهل
أو بـدلـوه بـلا رفـق وإيمـان
وأدخـلـوا الـنـاس في ظلمائهم طربا
وضـرمـوهـم كـمـا شـاؤوا بـنـيران
وصـيـروهـم حـيـارى لا تـرى أحـدا
إلا كـشـارب خـمـر جـد سـكـران[١٣]

فنجد الأولى محفوفة بألفاظ مثل: أحسن، وإيمان، ووفاء، وسلامة، وعلاء، والثناء، وحبا، وأمناء وغيرها من الكلمات الشريفة الخفيفة على اللسان، الفصيحة الثقيلة في الميزان، التي تناسب مقام الوفاء ودرجاته. أما الأخيرة فملؤها: الشرار، وشر، وتضليل، والتشويه، وضرموهم، وعصيان، ونيران، وسكران...إلخ، ولا شك أن ثقل الألفاظ في النطق وفظاعتها في المعنى مما يناسب طبائع الشرار، أضف إلى ذلك ما يوحيه إلينا حركة روي الأولى (همزة مرفوعة) من العلو والرفعة، وروي الأخيرة

(نون مكسورة) من الكسر والسقوط والسفلة، فالتجانس بين اللفظ والمعنى، وما يصاحبه من الموسيقى الداخلية التي تؤثر في شعور السامع والقارئ من أقوى مزايا هذه السباعيات وأجل سماتها الفنية.

خيال الشاعر في سباعياته:

ومن أبرز خصائص الديوان أيضا ما وشى به الشاعر عباراته من الخيال النابض المبدع - وقد رزق منه الكثير - جانحا إلى التشخيص، والتجسيد، والتصوير بالبصر والسمع واللمس، وما يصوغه بضروب من التشابيه والمجازات والاستعارات، فنراه مثلا يثب بخياله وثبة تتراءى في مثل وصف العجوز:

هرم يداخلنا ويضعف خلسة
أقوى الرجال ويوهن الفولاذا
ويحيل أظهرنا عراجين الفلا
لا تستطيع من الرياح ملاذا
ضيف يلم بنا ونكره وجهه
أنعوذ من هذا النزيل عياذا؟[١٤]

وفي مثل وصف الهاتف المحمول:

آلة مثل علبة الكبريت
صوتها مثل رنة العفريت
هاتف العصر ناعم وجميل
خف حتى حكى ذبالة زيت
قرب البعد للأنام ويأتي
لك بصوت ممَّن تحب حميت[١٥]

ومن الرؤى الخيالية ما ورد في سباعية «يا قلب»

وإن الحزن كالليل الـ
ـبهيم تراه قد وقبا
إذا ما جاء نور الصبـ
ـر يُلْفِي الليل قد وثبا[١٦]

وما جاء في سباعية وصف حوادث الثاني عشر من يونيو ١٩٩٣ في نيجيريا:

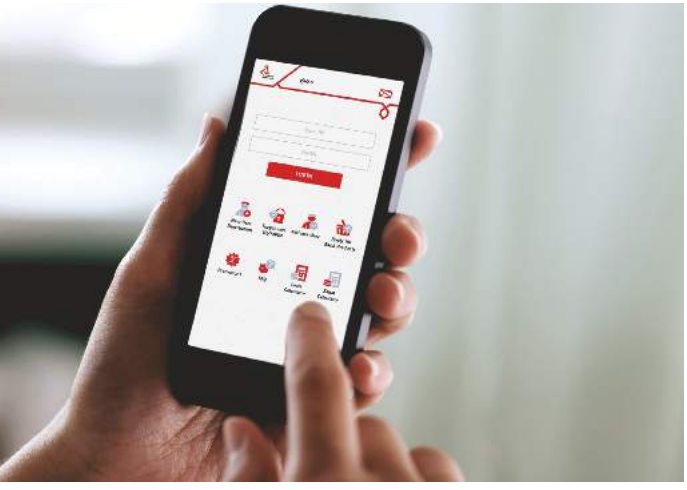

ورموه في جب المنية بعدما
رفعوه حسب مكانه محمودا
في يونيو انتخبوا رئيسا عرشه
قعر السجون وكبلوه قيودا[١٧]

وخلب مظهر السواد خيال الشاعر فصوره تاجا في سباعية (الفيتوري شاعر أفريقيا):

تاج على رأس الشباب إذا اختفى
جاء البياض كداخل محظور[١٨]

الاقتباس في الديوان

ومما ينفث الروح في هذه القصائد كثرة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كالذي

ورد في سباعية (لبيك اللهم لبيك):

يفيض حيث أفاض الناس في وله

قد فاز من شفه بالحب مغناكا[١٩]

وفي سباعية (العالم بعد صدام):

التفت الساق بالساق في اللظى من راق[٢٠]

وفي سباعية (عيد الأضحى):

تَلَّ بالعزم للجبين كبيرا

نجله يبتغي به الدرجات[٢١]

ويمثل هذا إحدى طرق الشاعر للتأثير بالنفوس، علاوة على استخدام الصيغة الطلبية خاصة الاستفهام المبعثر في ثمانين سباعية من الديوان، وكذلك قوة المحجة وبراعة الاستهلال الواضحتان في الديوان وضوح الشمس في رابعة النهار.

الخاتمة:

هذا الديوان عصارة فكر شاعر علمته الحوادث، وحنكته التجارب، واطلع على العلوم والمعارف، والحضارات المختلفة، والطبائع البشرية المتباينة، وصهرها في بوتقة شعر جميل ذي معان سامية، وأخيلة سامقة وقواف مرقصة، إنه عمل حافل بحقائق الكون وأسراره، وأحداث الدهر وحوادثه، وبعلاقات الناس مع خالقهم، ثم مع بعضهم بعضا، ينظم الشاعر كل ذلك شعرا سباعيا كما يقع في نفسه، ويخطر بباله، وكأنه قطعة من مهجة نفسه.

لقد قلد الشاعر وجدد في آن واحد، ولم يناقض نفسه قط، بل جعل الثاني وليد الأول، فليس تقليده تقليد الأعمى الهائم الضليل، بل تقليد الحاذق البصير المستنير. أما تجديده فكامن في الشكل، والمضمون، والأسلوب على النحو الذي نلمسه في سباعياته.

وبهذا الإبداع خطا الشاعر بالشعر العربي خطوة واسعة إلى الأمام، وفتح صفحة جديدة في سفر الأدب العربي في هذه البلاد ذات التاريخ الإسلامي التليد المجيد. وهذا العمل الجبار الذي نعده تحفة يمثل الفكر النيجيري الجديد، ومستوى الثقافة لدى الجيل الجديد من شعراء المسلمين الشباب، وهو يشهد أن صاحبه حامل لواء الشعر العربي المعاصر، وإمامه في أفريقيا جنوب الصحراء، خليق بأن يكون موضع اهتمام الباحثين من العرب والعجم دراسة وترجمة ■

الهوامش:

(١) انظر: عبد اللطيف إبراهيم أونيريتي: «نظام الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تعليم التأليف باللغة العربية في: مجلة إجو، إصدار كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن، (العدد ٤) ٢٠٠١، ص: ٥٣.

(٢) صدر الديوان عن المركز النيجيري للبحوث العربية، سلسلة إنتاج المستعربين الأفارقة برقم (١)، ط ١، ٢٠٠٨ م، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(٣) لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف، (ص٣)، القاهرة، دار المعارف (بدون التاريخ)، ص: ٥.

(٤) د. طه حسين وآخرون: التوجيه الأدبي، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، ١٩٥٤م، ص: ١٨١.

(٥) الديوان، ص ٣٥.

(٦) الديوان، ص ١٥٣.

(٧) الديوان، ص ١١٤.

(٨) الديوان، ص ٥٣.

(٩) الديوان، ص ١٤٣.

(١٠) الديوان، ص ١١٩.

(١١) الديوان، ص ١٠١.

(١٢) الديوان، ص ٤٠.

(١٣) الديوان، ص ٤١.

(١٤) الديوان، ص ٤٨.

(١٥) الديوان، ص ٨٦، وحَميت: الخالص الصادق والشديد.

(١٦) الديوان، ص ٤٧.

(١٧) الديوان، ص ٧٢.

(١٨) الديوان، ص ٨١.

(١٩) الديوان، ص ١٢٦.

(٢٠) الديوان، ص ١٣٧.

(٢١) الديوان، ص ١٩٥.

قل للقساة قلوبهم

عبد السلام كامل – السودان

تاقت لحُسنكَ أعْينُ العبّاد ... وبقيت وحْدَك قِبلة لفؤادِي

يا مُصْطفى يا مرتضى يا مُجتبى ... ومحمداً سميت في الميلاد

قد كنتَ للرسُل الكرام إمامهم ... وظللت بعدُ تحاطُ بالأمجَاد

معك النجوم المهتدون وكلُّهم ... بدر ينيرُ وملتقى القصَاد

والمبطِنون الحقدَ طارَ صوابُهم ... إذ ذاعَ ذكرُك في مدَى الآباد

شمْسُ الحقائق أشرقت أنوارُها ... ومضت تطارد ظلمة الإلحاد

زمرٌ إلى زُمرٍ تفيءُ لربِّها ... من بعد ما انتصرت على الإلحاد

وهناك من خلفِ الحنادس أبصرت ... مُقَلٌ وألبابٌ دروبَ رشاد

فسعَت إلى دينِ النبيِّ المُصطفَى ... يروِي بكوثرِه السَّقيمَ الصادي

قد قالها: (عِفّوا تعفَّ نساؤكم) ... وحمَى المحارم أعين الصيَّاد

دينٌ به عِرضُ الجميعِ محصَّنٌ ... من كل غاوٍ فاسقٍ متمادي

دينٌ يعيدُ إلى الأنام شعُورها ... بالأمن بينَ حواضرٍ وبوادي

لا خوفَ إلا منْ إله واحِدٍ ... فله الوجوه عنَتْ مدَى الآباد

إن يشرحِ اللهُ الصدُور لنورِه ... من ذا يحاولُ غمرها بسواد؟

قل للقُساةِ قلوبُهم عن ذكرِه ... ويلٌ لهم من ثابتِ الميعاد

تصطكّ آذانٌ وتشخصُ أعينٌ ... ويفرّ آباءٌ عنِ الأولاد

زاغُوا عن الدرب القويم سفاهة ... في آسنٍ من بِركة الأحقاد

ودّوا لَوَ انّ الكلَّ يضحِي مثلَهم ... لمْ لا يزيغُ بقية العبّاد؟

هيهاتَ! لا ينقاد عبدٌ مؤمِنٌ ... لمضلّلٍ غرٍّ عديمِ قِياد

هيهات يلتفت الزمانُ لشاتمٍ ... هدْيَ الرسُولِ بصورةٍ ومداد

ما صورةٌ مرسومَةٌ في فِعلها ... بجوار قولِ الله عُقْبَى (صاد)؟

يا باحثينَ عن الخنا في وصفه ... لا تلتقي بالفذّ مِن أضْداد

إن الرسولَ جِماعُ كلِّ فضيلةٍ ... وكمالُ حسنِ خلائقِ الزُّهَّاد

إن تأته تأتِ المكَارم والنَّدى ... وفيُوضه جلّت عن التَّعداد

كالبحرِ يُعطِي درّه مُرتاده ... والسُّحبُ ترسِلُ ماءهَا بغوادِ

يا من رميْتم عرضه بمقالةٍ ... إفكاً، حَمَاه من السَّماء الهادي

قُلْ للَّذين تمرَّغُوا في وحْلِهم ... أينالُ خنزيرٌ من الآساد؟

من يقذفِ الشمسَ المضيئَةَ بالحَصا ... يلقَ الحَصا يرتدّ رغم سَداد

والْوعلُ إن نطَحَ الصُّخورَ بغيظِه ... يكسِرْ كِلا القَرْنين دون مَفاد

تالله ما نالوا الرسول بما جنوْا ... لكنَّهم آبُوا بشرّ حصاد

ما زعزعُوا إيمانَ عبدٍ مؤمنٍ ... بل حرَّكُوا النيرانَ تحت رماد

(إلا رسولَ الله)! هذِي صرخَةٌ ... من تونسٍ دوّت إلى بغداد

(إلا رَسولَ الله) دوّت حُرةً ... فانشقَّ منْها أكبُد الحُسّاد

(إلا رسُولَ الله) نادت طِفْلةٌ ... نشرت ذوائبها بحيْدرَابَاد

لَبيك يا مختارُ!.. من أعماقنا ... من أرضِ سوداني ثرى الأجْداد

إن يبْتغِ الإلحادُ غفْرَ فضِيلَةٍ ... فنَدَى الفضيلةِ غافرُ الإلْحاد

أو جاءتِ الأفعَى لتنفث سمّها ... فالرَّأسُ يقطَعه قوِيّ أيَادي

إيهٍ رسولَ الله شافِعَنا الذي ... نرجوه إن حُشرُوا إلى المِيعاد

أهْديكَ أنضرَ أحرفٍ عربيةٍ ... تُزجَى إليك جميلةَ الإنْشاد

بالله فاشدُد من عُراي برحمة ... ألقَى بها في الخلد خيرَ معاد

وعليك صلَّى الله ما يشْدُو امرؤ ... (تاقت لحُسنكَ أعيُنُ العبّاد)

ينتمي الشاعر الفيلسوف محمد إقبال (١٨٧٣-١٩٣٨م) إلى أسرة عريقة من إقليم البنجاب. وقد ولد في بلدة سيالكوت زمن الاحتلال البريطاني.

كان أجداد إقبال ينحدرون من سلالة البراهمة الوثنية، التي جعلت لنفسها منزلة ألوهية، ترى البشر دونها عبيداً، يجوز استغلالهم بموجب القانون المدني البراهمي، الذي يقسم المجتمع الهندي إلى أربع طبقات، أعلاها البراهمة، وأدناها العبيد المنبوذون، الذين كانوا في نظرهم أدنى من الكلاب والقطط. وينبهر أجداد إقبال بجلال الإسلام وعدالته، فيتخلون عن امتيازاتهم، وحقهم الإلهي المزعوم، ويعتنقون الإسلام الذي لا يفرق بين أسود وأبيض، ولا بين سيد ومسود؛ فتهذبت فطرته، وصقلها بعقيدة الإسلام التي كرمت بني آدم، وجعلتهم إخوةً محكومين بالأخوّةِ والمحبة.

محمد إقبال الشاعر الإنسان

د.نبيل قصاب باشي -الإمارات

يقول إقبال مخاطباً العالم أجمع: «إن مقاصد الفطرة الأولى، ورمزَ الإسلام الحقيقي: هي أن تملك العالمَ بالأخوّة، وتحكمه بالمحبة».[١]

ويقول أيضاً:

لم ألقَ في هذا الوجودِ سعادةً
كمودّةِ الإنسانِ للإنسانِ
لما سكرتُ بخمرِها القدسيّ، لم
أحتجْ إلى تلك التي في الحانِ[٢]

وتميل نفس إقبال إلى حب الفلسفة، ويزمع أن يهجر الشعر، لكنّ أستاذه الفيلسوف المستشرق «توماس أرنولد» الذي عشق زهد الإسلام، أقنعه أن يواصل

إنتاجه الشعري، الذي جنح إلى العمق الفلسفي الضارب في سبحات الخيال، والباحث عن حقائق العلم، وأهمية الذات الفردية، التي جعل منها إقبال جوهرَ الكون، وأساسَ نظامه وسرَّ الحياة فيه.

يقول إقبال:

تعال أيُّها الساقي وارفع النقابَ عن الوجه، فقد انسكبَ دمُ القلبِ من عيني، وبلحنٍ لا هو شرقيٌ ولا هو غربي، اعزفْ أغنيةً من مقام «لا تخفْ»[٣]

ويشير إقبال هنا إلى التعبير القرآني في قول الله تعالى: ﴿شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ وقوله: (لا تخفْ) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿لا تخفْ إنَّك أنت الأعلى﴾.

ويدلنا إقبال على تحقيق إنسانيتنا، من خلال اختيارنا للتمسك والاستحكام بالذات؛ ويفرد لهذه الفلسفة ديواناً من الشعر تحت عنوان «أسرار الذاتية» الذي ترجمه الدكتور «نكلسون» إلى اللغة الإنكليزية، وفيه يدعو إقبال الإنسان المسلم إلى مصدر الحركة فيه، ومركز إنسانيته، وهو العودة إلى الذات، التي تُعَدُّ في رؤية إقبال أُسَّ كل تغيير، وبداية كل بداية؛ وإن إهمالها هو الجهل الحقيقي، وأصل الداء والبلاء.

يقول إقبال:

المسلم العارفُ بذاته إنسانٌ كامل، الذاتُ في ترابه حاكمةٌ محكومة، لو تعرفُ أنَّ الذاتَ متاعُكَ، فحرامٌ أن تعقدَ على سواها اهتمامَك[٤]

ثم يقول:

إن المسلمين الذين أروا ذاتَهم جليَّةً، استراحوا كالجوهرِ في كل بحرٍ نزلوهُ، لو أنَّهم هربوا من الذات في هذا الدَّيْرِ، قسماً بروحِكَ لاشتروْا موتَهمْ[٥]

وحين حاز إقبال درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ في ألمانيا، كان قد صقل ثقافته بقراءة فلاسفة الغرب، أمثال نيتشه وغوته وهيجل وشوبنهاور، إلى جانب معرفته بفلاسفة الشرق أمثال ابن سينا وابن رشد وابن عربي والشيرازي، في إطار هذا التلاقح بين فلسفة الغرب والشرق، ووعيه الفاهم للمدنية الحديثة؛ أدرك إقبال مثالب الحضارة الغربية، وراح يناقش قضايا الإنسان فيها، كاشفاً عن امتهانها لحقوقه، من خلال تعرية أهدافها الاستعمارية الجائرة، التي تلحق الشر بالإنسان. يقول إقبال مخاطباً الغربيين:

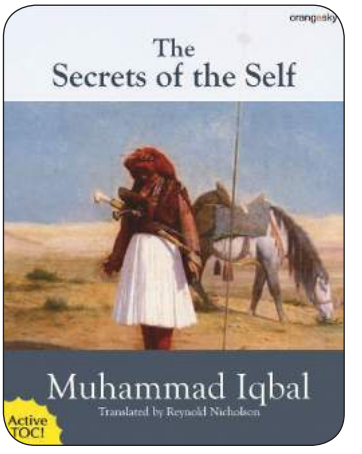

«إن حضارتَكم سوف تقتل نفسَها بخنجرها... إنّ العُشَّ لا يثبتُ على غصنٍ رطيب ضعيف مضطرب»[٦].

ويركز إقبال في فلسفته الشعرية على عاملين رئيسين، أفسدا إنسان هذا العالم في الغرب والشرق.

العامل الأول: هو فساد الحضارة الروحية الغربية، وسياساتها المدنية الحديثة، في التعسف واللصوصية العالمية، والغزو الاقتصادي للأمم المغلوبة. وثاني العاملين هو فساد المسلمين، الذين يعمهون في الغفلة والجهالة، حتى تلوّثت عقائدهم بفعل الكائدين، وعبث المتزمتين، فأصبحوا محكومين مستعبدين. يقول:

«إنّ الأصنام ما زال المسلمون يعبدونها حتى اليوم، وإن ادعوا الإيمان بالله، وإنَّ لهذه الأصنام صوراً عديدة، وألواناً شتى»[٧]. وفي ذلك يقول:

تَلَوَّنُ في كل ثوب «مَنَاةُ»
وشابَ بنو الدهر وهي فتاةُ
فهذا السجودُ الذي تجتويه
به من ألوف السجود نجاةُ[٨]

إن هذا السجود عند إقبال لا ينبغي أن يكون إلا لله وحده، لا للغرب ولا لخوف الحكام، الذي صار ضرباً من ضروب العبودية، ضلّت به النفوس وصارت «أشدَّ طغياناً من الجاهلية الأولى» التي كانت من حجر، أما الأصنام الحديثة فمن لحم ودم»[٩].

ويرى إقبال أنَّ محور الخلاص من هذه العبودية، هو الاعتقاد الجازم بالاختيار لا بالجبرية، وأنّ إيمان المسلم كائن بين الجبر والاختيار، ولكي يصبح مطلق الاختيار، أستاذاً في قيادة العالم، لا بد أن يربي ذاته، وينطلق من فرديته، متدرجاً من الجبر إلى الاختيار. يقول إقبال:

«أنا لا أنكر عظمةَ العبد، لكن ما يُقبل هو تكبيراتُ الحُرّ، كيف يعرف الحكيم سرَّ نغماتي، وأنَّ تدابيرَ أهل الجنون فينا وراءَ العقل، أنا الذي لا أُقلعُ عن الكلام الصريح، خوفاً من وشيهمْ بيْ لدى السلطان»[١٠].

إن الحريةَ عند إقبال ليست بتحطيم الفضائل باسم الديمقراطية، وليست بنشر الرذائل والعبودية، ولا باستعمار الشعوب الغالبة للشعوب المغلوبة، وليست بنهب خيرات الشعوب وقهر حرياتها. إن الحرية رسالة إنسانية أخلاقية، محكومة بقيود الخير والنفع، ومؤطّرة بإطار العلم والعقل. يقول إقبال:

بحرّيةِ الأفكارِ هَلْكُ جماعة
إذا لم يكنْ فيها تدبّرُ عالمِ
فحريةُ الأفكارِ في رأسِ جاهلِ
طريقٌ لردّ الناسِ مثلَ البهائمِ[١١].

ويدعو إقبال الإنسان للثورة، على كل مستعمر غربي، أزمع نشر الفساد والغثّ في أرجاء البسيطة المسلمة، ولقد سخّر الله المسلم شعلة يحرق بها هذا الغث، لكن هذه الشعلة أصبحت خاضعة اليوم

للغرب، فلم تعد قادرة على نسف هذا الغث الغربي وعيوبه. يقول إقبال مخاطباً إنسان الشرق:

«يأتي صوتٌ من العرش الأعلى ذاتَ صباحٍ، يهتفُ:

كيف ضاعَ جوهرُ إدْراكك؟
كيف أصبحَ مشرطُ التحقيق لديك كالّاً؟
لماذا لا تستطيعُ أن تُمزّقَ أكبادَ النجوم؟
لقد كنتَ جديراً بخلافة الظاهر والباطن!!
هل تكونُ الشعلةُ أسيرةً للأعشاب الجافّة!؟
لماذا لا تُخضعُ لكَ الشمسَ والقمرَ؟
لماذا لا ترتجفُ الأفلاكُ من أنظاركَ؟
مع أنَّ الدمَ يجري في عروقكَ، لكنَّك لا تملكُ حميّةَ الأفكار، ولا الفكرَ الجريءَ. العينُ التي تخلو من النظرِ الطّاهر
تكونُ مضيئةً لكنَّها لا تَرَى العالمَ»[١٢]

إن إنسانية الإنسان التي يقتلها الغرب باسم حقوق الإنسان، ويعمّيها بالشعارات الزائفة، ويزج أبناء البشر في حيرة وزيغ، لا يمكن أن تسطع حقيقتها، إلا بأضواء الإسلام؛ وإن سفينة الحق الضائعة، لا يمكن أن تجد ربّانها إلا في رسالة المسلم الحق. يقول إقبال:

إن هذا العصرَ ليلٌ فأنرْ
أيُّها المسلمُ ليل الحائرينْ
وسفينُ الحق في لُجّ الهوى
لا يرى غير رُبّانِ السفين[١٣]

ويؤكد إقبال هذا المعنى في ديوانه: «ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق؟» ذاهباً إلى أنّ حرية الإنسان مسلوبة، ما دامت أمم الغرب تسعى إلى نهب ثروات الشعوب المستضعفة. يقول إقبال:

«دولة ترعى في مراعي دولة أخرى، ودولة تزرع الحَبَّ الذي يحصده غيرها. وتعلمنا الفلسفةُ أن الخبزَ يُسرق من يد الضعيف»[١٤]

إن محمد إقبال بنظرته السياسية الإنسانية الثاقبة، كان يقرأ مستقبل الشرق الذي استعمر قبل الحربين العالميتين وبعدهما، والذي مازال يعاني الاستعمار الغربي بمختلف أشكاله وأساليبه، وهذا «العراق» اليوم يُسرَق رغيفه باسم الحرب على الإرهاب، وتحت شعارات الدفاع عن الحرية والديمقراطية. يقول إقبال:

«إن مارد الاستغلال يرقص في حلّة النظام الجمهوري، وعليك أن تتخيلَ أنها حسناءُ الحرية:

المؤسساتُ، الإصلاحاتُ، الامتيازاتُ، الحقوقُ
هي المخدّراتُ الحلوةُ في الطبّ الغربي»[١٥]

هذه هي سياسة الغرب منذ عهد إقبال، تدّعي الدفاع عن حرية الإنسان، وهي التي تقمع الشعوب المستضعفة، وتمعن في تجويعها وتخلّفها.

وهي المتهم الأول بالإرهاب والتمييز العنصري، ويرى إقبال أن هذه السياسة هي العدو الأول للجنس البشري، والعقبة الكأداء في وجه العولمة الإنسانية، وأن الإسلام في فلسفة إقبال هو الحل الحتمي الأمثل لقهر هذا العدو، واحترام حرية الإنسان وكرامته، وصون ممتلكاته وثرواته. يقول إقبال في إحدى مقالاته: «الإسلام والتمييز العنصري متناقضان تماماً، وفكرة التفوق العنصري هي أكبر عدو للجنس البشري»[١٦].

وإقبال لا يضع يده على جروح المشرق وأمراضه فحسب! وإنما ينشد البرء والعافية لأمم الغرب وأمم الأرض جميعاً، تقديساً منه لحرية الإنسان وسعادته، واحتراماً لكرامته وإنسانيته. يقول إقبال:

علةُ الشرقِ ذلةٌ واقتداءُ
ونظامُ الجمهورِ في الغربِ داءُ
مرضُ القلبِ والبصيرةِ فاشٍ
ما بشرقٍ ولا بغربٍ شفاءُ[١٧]

إنه الشاعر الفيلسوف الثائر، الذي ناصر قضايا الحرية في الشرق والغرب، ناعياً ضياع الأخلاق عند المارقين المنحلين من الغربيين، وعند الخانعين اليائسين من الشرقيين. ولكن خلاص هذا العالم في إطار المفارقة بين الشرق والغرب لن يكون في رأي إقبال إلا على يد الشرقيين من دعاة الإسلام والسلام، «ولقد سأله أحد زملائه في جامعة (كمبردج) قائلاً:

لماذا يُبعَثُ الأنبياء ومؤسسو الديانات في آسيا دون أوربا؟

فأجابه إقبال: لأن العالم مقسم بين الله والشيطان، ولما كانت آسيا من نصيب الله؛ كانت أوربا من نصيب الشيطان.

فرد أحدهم قائلاً: قد عرفنا رسل الله فأين رسل الشيطان؟

فأجاب إقبال على الفور: إنهم زعماء سياسة الخداع والمكر في أوربا.»[١٨].

لقد كشف إقبال فشل السياسة الموسولينية، ومغزى الحكم الدكتاتوري، وحذّر من اليهود سماسرة السياسة الذين يخططون لاستغلال الشعوب، وبلبلة معتقداتهم وقهر طموحاتهم، وتنبّأ بويلات الحرب العالمية الثانية، وما جرته على البشرية من خسارة كبرى لحرية الإنسان وكرامته.

ورأى إقبال منذ عهد مبكر فشل المعتقدات الشيوعية، وفلسفتها المادية الإلحادية التي كانت امتداداً لحركة «مزدك» الذي ظهر في إيران في القرن الخامس الميلادي؛ ونظر نظرة الخبير المتبصّر في أبيقورية الحضارات المدنية المادية، ورُواقية الأفكار الروحانية المتطرفة، فلم يجد الخلاص الحقيقي للإنسان من زوبعة هذا الضياع الروحي قديمه وحديثه، إلا في هذا التوازن بين المادية والروحانية، وهو الوسطية التي يمثلها الإسلام، وهو ما ارتآه أيضاً كل من «برنارد شو، وتولستوي» وغيرهما من الفلاسفة.

في الرد على شيطانية هذه الفلسفات المضلّة الضالة، وتلك الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية، وما فيهما من خداع ومدنيّة مادية أخطأت فطرة الإنسان، وكانت سبباً في قتل أمنياته يقول إقبال:

هذه الألاعيبُ القديمةُ للعناصر، وهذه الدنيا الوضيعةُ، كانت سبباً في قتل أمنيات ساكني العرشِ الأعظم

ثم يخاطب إبليس قائلاً:

عرضتَ على الإفرنج حُلُمَ الملوكية،
وحطمتَ سحرَ المسجد والمعبد والكنيسة،
وأعطيتَ الغنيَّ جنونَ الرأسمالية[١٩]

ويقول في موضع آخر:

حين صار الإنسانُ مدبراً ومفكراً إلى حدّ ما، ألبسنا الحكم الاستبدادي لباسَ الجمهورية. والحقيقة أن السلطانَ هو من تكونُ عيونُه على زرعِ الغير، أما رأيتَ أن النظامَ الجمهوريَّ الغربي؛
له وجهٌ مضيء لكنَّه من الداخلِ أحلكُ منْ «جنكيز»[٢٠]

ذلكم هو إقبال الذي فلسف فطرة الإنسان، وانتصر لما يسعدها روحاً وعقلاً، ففنّد كل الفلسفات التي جانبت ميول هذه الفطرة، وأشواقها للسعادة الإنسانية المنشودة؛ ورأى

بحكم ثقافته الفلسفية والسياسية: أن إنسان هذا العصر زُجَّ في ضياع دامس، جرّاءَ الأفكار الإبليسية، التي شوهت فطرته، وأضاعت إنسانيته. ولهذا خصص إقبال فصلاً شعرياً كاملاً في ديوانه «هدية الحجاز» تحت عنوان: «مجلس شورى إبليس» عام ١٩٣٦م؛ خاطب فيه إبليس الذي كان وراء هذه الفلسفات المادية، وكان الإنسان ضحيتها أولاً وأخيراً؛ يقول إقبال مخاطباً إبليس في (المستشار الخامس):

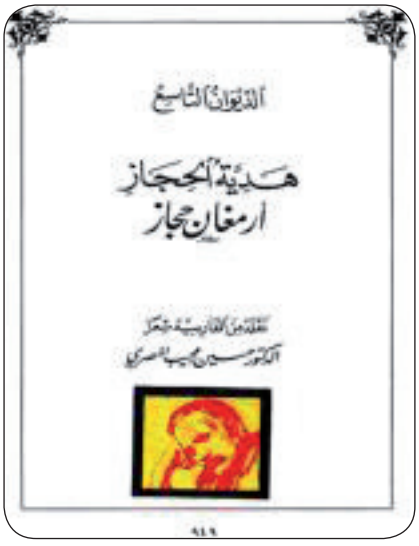

«يا مَنْ أمورُ العالم قائمةٌ بأنفاسك المحرقة، أنتَ الذي أظهرتَ كلَّ مختفٍ حين شئت، صار الماءُ والطينُ (يعني الدنيا) من حرارتك عالماً مليئاً بالحرقة والغناء، وصار أبلهُ الجنة (يعني الإنسان في شخص آدم) بتعليمك عالماً بالأمور هو ليس أعلم منك بسر الفطرة»[٢١].

ثم يقول:

«ومع أن سحرةَ الإفرنج جميعاً من مريديك كنتُ لا أعتمد على فراستهم. ذلك اليهوديُّ (يقصد كارل ماركس) المثيرُ للفتن الذي هو ظهورٌ لروح مَزْدَك. إن هيبةَ فتنةَ الغد قد وصلتْ إلى درجة أنَّ الجبالَ والسهولَ والهضابَ والأنهارَ كلُّها ترتعدُ، وهذا العالم الذي لم يكنْ يُدارُ إلا بسيطرتكَ؛ أوشكَ – يا مولاي – أن يضربَ فيصبحَ أعلاهُ أسفلَه»[٢٢].

إن الإنسان في رؤية إقبال الإنسانية، لا يمكن أن يحقق ذاته، ويدرك فرديته، إلا من خلال العقيدة الإسلامية؛ فالإنسان في الإسلام إنسانٌ وكفى! سواء أكان غربياً أم شرقياً، وسواء أكان عربياً أم أعجمياً، إنه فوق الأهواء والألوان والأجناس؛ وإذا كانت أنغام إقبال هندية، وكان صوته عدنانياً، وكأسه أعجمياً، فإن شرابه – في كل الأحوال – حجازي المنبع، نهل من معين الإسلام، دين الله في الأرض، إنه في كل الحالات إنسان مسلم وحسب! لا تحده الأجناس ولا تميزه الألوان:

أنا أعجمي الدّن لكنْ خمرتي
صنْعُ الحجاز وكرمها الفينانِ
إن كان لي نغمُ الهنود ولحنهم
لكنَّ هذا الصوتَ من عدنانِ[٢٣]

ويقول في قصيدة أخرى:

إلى عصبات الغُرْب ما أنا منتم
ولست بهنديّ ولا أنا أعجمي
فقد علمتني الذاتُ تحليقَ نافرٍ
يمرُّ على الدارين غيرَ محّومِ[٢٤]

إنه شاعر الثورة والتمرد على كل دعوة عنصرية، تمتهن كرامة الإنسان وحريته، لكنه عاقل في ثورته وتمرّده؛ إنه الشاعر الإنسان الذي ألزم نفسه بالدفاع عن حقوق الإنسان، وأطلق العنان لفلسفته الإنسانية كي تتماشى مع سنن

الحياة، فهو حاذق في تحرره، ومجدد في أسلوب دعوته، لكنه لا يتنكر لفضل قديمه، يأخذ منه ما يريد، ويترك منه ما لا يريد.

إن إقبالاً الذي تخرج من جامعة كمبردج وميونيخ ولندن؛ عرف كيف يهضم الأفكار المستحدثة، ويسخّرها في بناء العقل وصقل الروح، واستطاع أن «يناقش وينقد ويبتكر، ويقدم إنتاجه في ثوب رائع قشيب.. حتى أصبح ذا فلسفة جديدة، ومذهب مستحدث وآراء عميقة، يتناقلها الكتاب والفلاسفة، من قطر إلى قطر، ومن جامعة إلى جامعة، في إيران وأفغانستان ومصر وألمانيا وإنجلترا وإيطاليا وروسيا.

رحم الله إقبالاً الذي أسمع العالم أجمع صوت إنسانه الصاخب في أعماقه، وصوت ضميره المختلج في مشاعره، رحمه الله حين قال:

اليوم أُسمعُكَ احتدامَ مشاعري
وصـراخَ إيمـاني وصـوتَ مُنايا
المستحيلُ بدا لعينيَ ممكناً
سأري الخليقةَ ما رأتْ عينايا»[٢٥]

هذا هو نتاج «الزهرة التي يحييها نسيم ربيع المصطفى»، كما قال له أبوه من قبل، وهذا هو إقبال الذي يوقد «شموع القلوب» بعد أن غرقت في بيداء الظلمات»[٢٦] ■

الهوامش:

(١) د.نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر ص/ط٣/مؤسسة الرسالة بيروت، ص١٩٨٠.
(٢) المصدر السابق، ص١٨.
(٣) د. محمد إقبال. هدية الحجاز، ص٨١. ترجمة سمير عبدالحميد ابراهيم ط١. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ٢٠٠٢.
(٤) المصدر السابق، ص ٨١ – ٨٢.
(٥) المصدر السابق، ص ٨٢.
(٦) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر، ص ٣٣.
(٧) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٨) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٩) المصدر السابق، ص ٤٣.
(١٠) د. محمد إقبال. هدية الحجاز، ص٢٣٦ – ٢٣٧.
(١١) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر، ص ٩٦.
(١٢) د. إقبال. هدية الحجاز، ص ٢١٥.
(١٣) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر، ص ٣٤.
(١٤) عبدالفتاح قلعه جي. شاعر الشرق محمد إقبال. الأسبوع الأدبي. اتحاد الكتاب العرب دمشق. العدد ٨٧٦. بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٢٧.
(١٥) المصدر السابق. العدد ٨٧٦.
(١٦) المصدر السابق. العدد ٨٧٦.
(١٧) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر، ص ١٢٩.
(١٨) المصدر السابق، ص ١١٦.
(١٩) محمد إقبال. هدية الحجاز، ص ١٨٠.
(٢٠) المصدر السابق، ص ١٨٣.
(٢١) المصدر السابق، ص ١٨٧.
(٢٢) المصدر السابق، ص ١٨٨.
(٢٣) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر، ص ١٣٠.
(٢٤) المصدر السابق، ص ١٣٠.
(٢٥، ٢٦) المصدر السابق، ص ١٨.

حفيدي عبد الرحمن بن يمان

د. وليد قصّاب

بابن اليمانِ يزورُنا السّعْدُ ... ينمو على صحرائنا الوردُ
وبه سيشرقُ نجمُ فرحتنا ... ويضمُّنا في بهجةٍ بُردُ
طال انتظارُك يا حفيدُ، وكم ... في القلبِ أضرمَ نارَه الوجْدُ
كم طال منا الشوقُ يا ولدي ... كم طال حتى نالنا السّهدُ!
اليوم تأتي حاملاً وعدًا ... وعلى يديْك سيصدقُ الوعدُ
فيكونُ فجرٌ مشرقٌ أَلِقٌ ... ويزولُ ليلٌ راحَ يمتدّ
قد طال حتى نابَنا وجعٌ ... والضُّر والبأساءُ والجُهدُ
هذا زمانٌ لا نُسَرُّ به ... وبه علا أعناقَنا وغدُ
لكنْ بأيدي فتيةٍ نُجُبٍ ... وكأنّهم يومَ الوغى أُسْدُ
سيعودُ فجرُ الحقِّ منتصرًا ... حتى يُعانقَ أرضَنا المجدُ
ونعودَ أكرمَ أمّةٍ عُرِفتْ ... ولها على هامِ السُّها مهْدُ

* * *

هذا الحفيدُ كأنّه ملَكٌ ... وبهاؤه في القلبِ ممتدُّ
إنّ الذي سوّاه خالقُنا ... وهو القديرُ الصّانعُ الفردُ
سبحان ربي منعمٌ أبدًا ... لا يُحْصَى في نعمائِه العدُّ
بدرٌ وقد كملتْ ملامحُه ... يحلو به من شهدِه الشهدُ
هبةٌ من الرّحمنِ رائعةٌ ... فلربّيَ الشكرانُ والحمدُ
من بهجةِ الدّنيا وزينتِها ... المالُ والأهلونَ والوُلدُ

* * *

اليوم عمّ الفَرَحُ منزلَنا: ... العمُّ، والأخوالُ، والجدُّ
ما مثلُ هذا اليومِ من يوم ... أو مِثْلُه في عمرِنا نِدُّ
وبعبد رحمانٍ يصيرُ أبًا ... ذاك اليمانُ ويكمُلُ العِقدُ
يجري الزّمانُ كأنه سِنَةٌ ... إنّ الزمانَ بأهلِه يعدو
والعُمرُ مثلُ الحُلم تقطعُه ... وتروحُ، ثمّ –وبغتةً– تغدو
قد صرتَ يا هذا اليَمانُ أبًا ... ومضى لعهدِ عُزُوبةٍ عهدُ
وغدوتَ ذا زوجٍ وعائلةٍ ... كم ناء من أعبائها جلّدُ!
إنّ الأمانةَ حملُها عسِرٌ ... ما كان من حملٍ لها بُدُّ
لكن إذا ما رُحتَ تحفظُها ... فجزاءُ حافظِها هو الخُلدُ

* * *

حفِظتْك عينُ اللهِ يا ولدي ... ما كان حفظُ اللهِ يرتدُّ
ودعوت ربّي أنْ يُسَدّدَه ... ليحوطَه التوفيقُ والرُّشْدُ
لا حفّ دربَ مسيرِه كمَدٌ ... أو عاقَه حسدٌ ولا حِقْدُ

عبد الرحمن العشماوي

أشعاره تقطر دماً وقصائده مغسولة بالدمع

محمد عبد الشافي القوصي- مصر

لعلّ من أبرز ما يميز المبدعين الحقيقيين، أنهم عندما يقفون أمام حدث من الأحداث، أو مناسبة من المناسبات الدينية، يربطونها بالواقع.. ويوظفونها أحسن توظيف، ويستلهمونها للتذكير بالعودة إلى المنابع الصافية والجذور الأولى... فأغلب قصائدهم تحضّ على التمسك بالدين، وتدعو إلى الوحدة والتضامن، ونبذ الفرقة والشتات، وكثيراً ما يشخّصون الواقع تشخيصاً دقيقاً، فيكتشفون العلل والأمراض التي حلّت به، ويصفون الدواء وصفاً صحيحاً.. ولعل هذا هو اللون الأدبي؛ المعني في الحديث النبوي الشريف: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة».

ومن الشعراء الذين فاضت قرائحهم بأجمل قوافي الشجن الحزين، في تشخيص أمراض الأمة وعللها؛ عبد الرحمن صالح العشماوي؛ الذي سكب دموعه مدراراً، وبحّتْ حنجرته، عبر مئات القصائد النارية التي أطلقها يميناً وشمالاً!

لا ينسى المتتبع لرحلة العشماوي الشعرية؛ قصيدته الطويلة (مِن ها هنا مرَّ تاريخي) التي صوَّر من خلالها مناسبة الحج بأحسن ما يكون التعبير الأدبي.. فقد تناول الحدث واستلهم المناسبة بطريقة مغايرة.. ولكن قبل الحديث عن تلكم المناسبة، نعرّج معه على جانب من مسيرته الإبداعية، من أجل فض مغاليق عالمه الشعري، وسبر أغواره الإبداعية.

لقد امتطى (العشماوي) جواد الشعر، فأطلق له العنان، وتخطى به اليابس والماء، فاستطاع أن يعبِّر عن مشاعر المسلمين في كل مكان –آلاماً

وآمـالاً- فمن أول سماعك أو قراءتك لأشعاره ترتعد فرائصك، وتتصبّب عرقاً.. مما رسمه لك من لوحات ومناظر حزينة حيناً، وشجية حيناً آخر!

يصدر «العشماوي» عن تجربة شاعر معايش للهمّ العربي والإسلامي، يوماً بيوم.. من هنا جاءت أشعاره تقطر دماً، وصارت قصائده مغسولة بالدمع! وعندما تسأل عبد الرحمن العشماوي عن هذا... يقول لك: اسأل الشعر ذاته، فالشعر يكتبني!

الشعر يكتبني ويعزفني على
وتر الأسى ويهزّ جزع خيالي
والشعر يعرف ما يعاني خاطري
فيفيض بالآلام والآمالِ
فلكمْ أتى شعري كأنفاس الصِّبا
حيناً، وحيناً جاء كالزلزالِ!

كما يلحظ المتتبع لمسيرة العشماوي، مدى التدفق الشعري الذي صاحبه خلال تلك الرحلة، ولعلّ مأساة فلسطين وأهوالها كان لها الحظ الأوفر من هذه البحور والقوافي والأوزان المتنوعة، فلا يكتفي -شاعرنا- بما سطره عنها من قصائد ودواوين خاصة بها، بل يجعلها قاسماً مشتركاً في سائر موضوعاته ورؤاه الإبداعية، فهي ملازمة له عندما يكتب عن الصومال أو الشيشان أو البلقان أو غير ذلك من المحن والأزمات التي أصابت الأمة... فيقول في قصيدته «من القدس إلى سراييفو»:

يرحل الشعر بي إلى القدس، لكن
كُسرتْ عند بابهِ الأوزانُ
آه يا قدسنا تنكّر قومٌ
وأباحوكِ للعدوّ وخانوا
صنعوا قهوة الخضوع، فلما
أتقنوها تبرّأ «الفنجانُ»

بلْ استمع إليه -مغتبطاً ومشجعاً- وهو ينادي على الفتى الفلسطيني الذي يرمي بالحجر، قائلاً له:

عطر البطولة في طريقك ينثر
وإليكَ أهداب المفاخر تنظرُ
شرفت بك الأرض التي أمهرتها
دمكَ الكريم، وقدسها بك يفخرُ
والمسجد الأقصى على محرابه
أملٌ، بكفكَ والحصى، يستبشرُ
إني رأيتك في مواجهة الردى
جبلاً بهامته السحائبُ تبهَرُ
من أين جئتَ؟ أكاد أحلف أنني
أبصرتُ أنّ سواكَ عندكَ يصغُرُ
يا فارس الحجر الأشمّ، عيونُنا
صارت بعينكَ في الحوادث تبصرُ

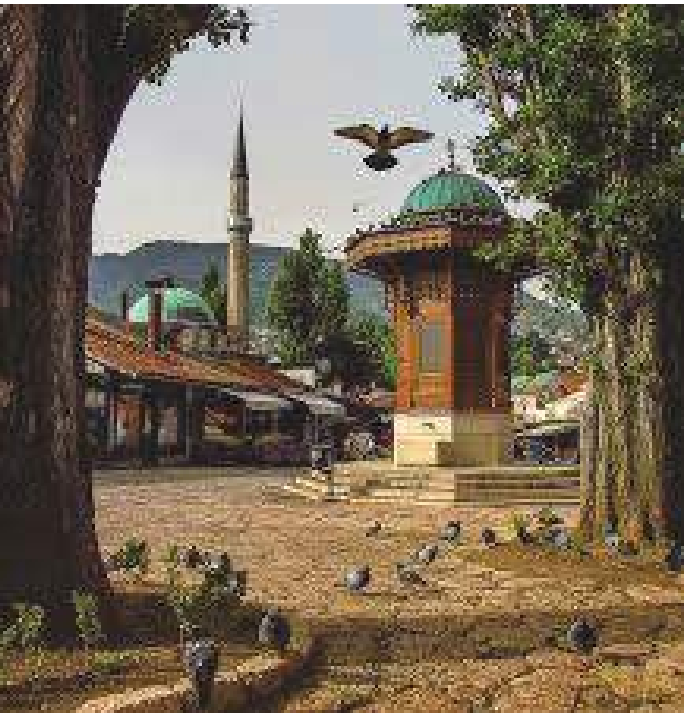

يا فارس الحجر الأشم، قصائدي
ترنو إليكَ حروفها وتقدّرُ
ما أنتَ بالطفل الصغير، وإنما
أنتَ الشجاعُ الحرّ لا يتقهقرُ

في تقديري؛ أنه لا يوجد شاعر معاصر اكتوى بأزمة «البلقان» واصطلى بلهيبها مثل عبد الرحمن العشماوي.. إذْ فاضتْ قريحته في التعبير عن مأساة البوسنة والهرسك طيلة ثلاث سنوات، وهي الحقبة الكئيبة التي دارتْ رحى الحرب فيها على المسلمين هناك، وشهدوا ما لم تشهده أوربا كلها في الحربين العالميتين! فاستمع إلى العشماوي في قصيدته «سراييفو تقول لكم»:

«سراييفو» تقول لكم: ثيابي
مُمزّقةٌ، وجدراني ثقوبُ
محاريبي تئنُّ، وقد تهاوى
على أركانها القصفُ الرهيبُ
وأوردتي تُقطّع، لا لأني
جنيتُ، ولا لأني لا أتوبُ
ولكني رفعتُ شعار دينٍ
يضيقُ بصدق مبدئه الكذوبُ
لأني لا أُجاملُ أوْ أُحابي
ولا أرضى الخضوعَ ولا أذوبُ

ليس هذا فحسب، بل استمع إليه، وهو يترجم أحاسيس ومعاناة طفل من أطفال الأقليات المسلمة، فيقول في قصيدته «رسالة شكر من طفلٍ بوسنويّ» التي كتبها سنة ١٤١٤هجرية - وفيها من السخرية اللاذعة والعتاب المرير الذي هو أشدّ من جلد السياط:

شكراً لكم يا مسلمون فقدْ بَدَتْ
لي، غَيْرةُ الأخوال والأعمام!
تهوي مآذننا على شاشاتكم
وتُمزَّق الأجساد بالألغام
وترون أُمّاً يُستباحُ عَفافها
والطفلُ يُقتل قبل حين فطام
وترون آلاف الثكالى بيننا
وترون آلافاً من الأيتام
وترون أوربا تقسّم أرضنا
جَهْراً وتُصدر حجّة استحكام
فَتُحَوْقِلُون وتُغمضون عيونكم
وأنا على جمر الصليب الحامي

أستغفر الرحمن من ظلمي لكم
فلقد مسحتم جرحنا بكلامِ
شكراً لكم يا مسلمون لأنكم
لمْ تبعثوا أحداً لجمع حُطامي
زيدوا من النوم الطويل فإنكم
سترون فيه عجائب الأحلامِ
ودعوا لنا ما نحن فيه فإننا
نهفو لعون الواحد العلامِ

لم يزل «العشماوي» يطوف حول ضفاف الجراح النازفات من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى آخر، فبعد أنْ عبر بنا من فلسطين السليبة إلى البلقان الجريحة، ها هو ذا يجرُّنا إلى القرن الأفريقي المنسيّ، لينقل لنا لوحة حزينة بائسة لطفل صومالي حائر، أنهكته المجاعات بعدما أنهكتْ بلده الحروب الأهلية الطاحنة، فيقول في قصيدته «صرخة طفل صومالي» التي كتبها سنة ١٤١٣هـ:

أنا، مَنْ أنا، في هذه الأرض التي
تشقى بسوء تعامل الأنذالِ؟
أنا، مَنْ أنا، قُل لي بربكَ يا أبي
إني أرى ما ضاق عنه خيالي؟
لمَ يقتلون أمام عيني إخوتي
لمَ يحرقون ملابس الأطفال؟
أبتاهُ، هل في الأرض قلبٌ خافقٌ
أهناك قومٌ يشعرون بحالي
رخصت دماء المسلمين، فهل مضى
زمن الإباء، وموقف الأبطالِ
ما هذه حرب القبائل بيننا
بل خُطّةُ الأعداء لاستئصالي

لا يفتأ «العشماوي» يصول ويجول هنا وهناك، متتبعاً ما يحدث لأمته، وما يُدبّرُ لها في الخفاء، فيطلق زئير شعره مدويّاً كالصواعق، ليوقظ النائم، ويذكّر الغافل... فها هو ذا شاعرنا يصحبنا معه في رحلته حول العالم، كاشفاً لنا عن مواضع أخرى من الألم الذي استبدّ بجسد الأمة، أما الوجع هذا، فليس في أفريقيا، ولا في أوربا، إنما يكمن في شبه القارة الهندية! إنه كما أسماه الشاعر (صرخة من المسجد البابري):

يا ويحكم يا مسلمون، مآذني
تهوي، وبيتُ مؤذني ينهارُ
ويئنُّ محرابي على أنقاضه
ويموتُ تحت ركامِيَ الأخيارُ
ملياركم لا خير فيه كأنما
كُتِبَتْ وراء الواحد الأصفارُ
ما جرّأ الهندوسَ إلا صمتكم
ولكم يذلُّ بصمته المغوارُ
خابتْ سياسة أمة، غاياتها
تحقيقُ ما يرضى به الكفّارُ

ومع كل هذا العطاء المتدفق من البحور الشعرية، وهذا الاسترسال الذي يكاد لا يتوقف.. إلا أننا نجد (العشماوي) كأنه يبدو حزيناً أسفاً، فيلتمس الأعذار، قائلاً: إن هذه المآسي بكثرتها وتنوعها دونها الحروف والكلمات!:

وإذا تلعثمت الحروفُ فعذرُها
أنَّ الأسى فيما تراهُ كبيرُ
كم شاعرٍ فَذٍّ رأى مِنْ حوله
عُمْقَ الجراحِ فخانه التعبيرُ!

لكن، إذا انتقلنا مع شاعرنا إلى جانب آخر، بعيداً عن الهموم والأحزان والجراح النازفات، لنعيش معه في رحلة وجدانية، وسياحة روحية في روضات الحرم الشريف، وفي أطيب البقاع وأطهرها.. نراه يجترّ أشهى الذكريات على النفس، وأوقعها تأثيراً، وأعذبها رنيناً بالآذان..

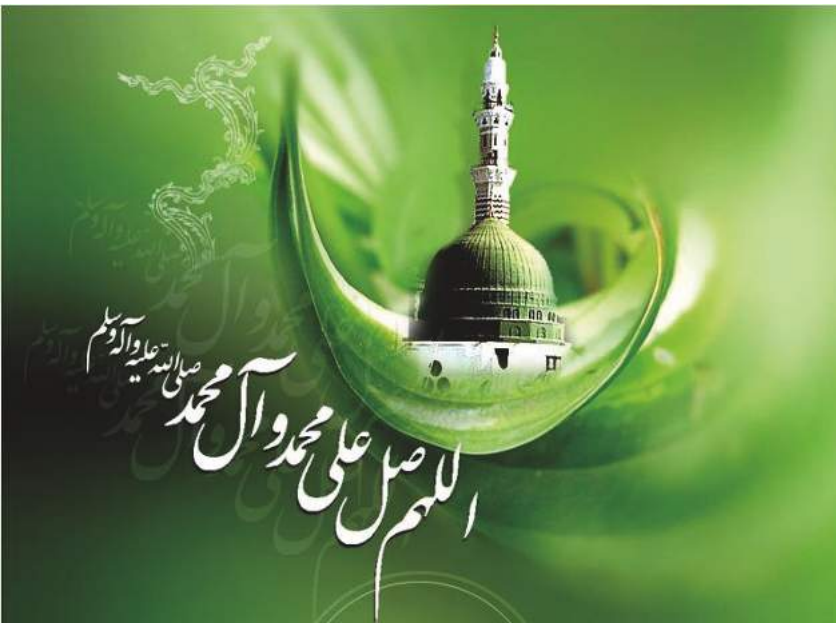

إنه يرسم بريشة فنان بارع بعض اللقطات المجيدة الخالدة.. فالشاعر يستحضر في ذهنه أجمل المواقف على الإطلاق، فها هي «القصواء» وفوقها سيد الأنام ﷺ، في حجة الوداع.. يتلو على الناس من الذكر الحكيم، ويعلمهم أمور دينهم، وها هو (الهادي البشير) حول البيت الحرام.. وها هو في مشهد عرفة وآلاف الناس من حوله ترقبه كالبدر في إشراقه. فيقول العشماوي في قصيدته (من هاهنا مرّ تاريخي):

رأيتُ ناصية القَصْواء فابتهجتْ
نفسي، وأتبعتها في لهفةٍ نظري
هشّتْ لها الأرضُ واشتاق الترابُ إلى
مسيرها، وتدانتْ شُقّةُ السفرِ
وفوقها «سيّد الأبرار» يُعلن ما
أتى به من حديث الوحي والنُّذرِ
رأيته في مطاف البيت يُسعدهُ
دعاء مبتهلٍ لله معتمرِ
رأيتُ في عرفات الله موقفه
وقد جرى حولهُ بحر من البشرِ

ثم ينتقل الشاعر بنا إلى المدينة المنورة ببراءتها ونضارتها.. فينقل لوحة بعينها ترمز لغزوة بدر الكبرى، وكأنه يبصر المؤمنين بالعدوة الدنيا، ومعسكر الشرك بزعامة أبي جهل بالعدوة القصوى، ولا يزال الشاعر يعايشنا معه في أجواء المدينة المنورة، فيصف لنا «الخندق» وكيف حمى المدينة من الغزاة، وماذا فعلت الريح بالمشركين:

رأيتُ طيبةَ والتاريخ يحملها
في راحة العز حَمْلَ الغُصن للثمرِ
رأيتُ بدراً وزَهْوَ العَدْوتين وما
لاقاه وجهُ أبي جهلٍ من العَفَرِ
رأيتُ خندقها يحمي براءتها
والريح لم تُبْقِ ديّاراً ولم تذَرِ

هذا الحب الغامر، والشوق الجارف، لتلك الذكريات العطرة، والمواقف الآسرة.. الرفيقة بالنفس والمحببة إليها؛ التي جعلت شاعرنا يستوقف التاريخ ويسائله بألم وحزن شديدين، قائلاً له:

قفْ هاهنا أيها التاريخُ خُذْ بيدي
فإنّ أمتنا باتتْ على خطرِ
قفْ هاهنا أيها التاريخُ خُذْ بيدي
واكتب لعلك تجلو الحقَّ للبصر

هذا هو الشاعر الدكتور «عبد الرحمن صالح العشماوي» الذي عشنا مع جانب من جوانب إبداعاته، من خلال تجاربه الشعرية المفعمة بالرؤى الإسلامية الصادقة، ذات اللغة العذبة، والخيال الخصب، والبيان الصافي، الذي رسم به أجمل لوحاته الفنية■

يخضرُّ ضلعيَ يا أماهُ

محمود مفلح - فلسطين

أمـاه أنـت الهوى والفل والحبق
أنـت السفينةُ والربـان والشفق

مهيضة في مهاوي الريح أجنحتي
وخطوتي فوق ثلج العمر تنزلق

وها أنا قد قطعت اليوم مجزرة
من السنين فعمري كله مزق

مدي ذراعك نحوي، جففي عرقي
إني أكاد بهذا الصيف أختنق!

وسلسلي الماء في جوفي فبي عطش
من غير كفك لا أروى ولا أثق

ردي الكوابيس عن نومي فإن يدي
مغلولة وإنائي مابه رمق

وبسملي إن درب الطفل موحشة
وإن صوتك عندي النور والحدق

أماه رغم مشيبي لم أزل ولداً
ولايزال على (دشداشتي) الدبق!!

أمـاه إن أصابعي ملوثة
وإخوتي كلهم لما رأوا شهقوا

إني برئت فلم أخرق سفينتهم
هم الذين وقد أبصرتهم خرقوا!!

كم ذا أكلت ولم أشبع لأن يداً
ليست لأميَ فيها قد وشى الطبق

كل القصائد قد قُصت قوادمها
إلا قصيدةَ أمي فهي تنطلق

أحن ألقم ثدياً كم شغفت به
كأنما شدني للحلمة الشبق

تدفق الحب فيه والحليب معاً
إن أبعدتنيَ كف عنه ألتصق

وكم أُسر إذا ما نام ملء يدي
وحين يفلت مني يعصف القلق

ولا تزال تعاني الجدب قافيتي
حتى يُصب عليها ماؤك الغدق

إذا تأخرتِ عني فالضياء دجا
وإن رجعت سريعاً فالدجا ألق

أماه صاحت ديوك الفجر وانطلقت
كل الخراف إلى الغدران تستبق

وأشعلت فرنها الطيني جارتنا
وعندنا حطب للنار أو ورق

أماه أين فطوري إن مدرستي
حانت وإن سيوف الضوء تُمتشق

أخطو وتتبعني، يا رب كن معه
وحين تبصرني قد عدت تأتلق

وحين رأسيَ ينأى عن وسادته
تمد كفا إلى رأسي وترتفق

لا تقلقي لن تضيع اليوم محبرتي
إني عرفت بدربي كلَّ من سرقوا

لا تقلقي إنني أمشي على مهل
فوق الرصيف وتمشي خلفي الطرق

يخضر ضلعيَ يا أماه حين أرى
بدراً كوجهك في الظلماء ينبثق !

ملهمتي لذكره:

«ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

د.رجاء عبيد- المغرب

كل السلبية بداخلي انتفضت وانتصبت قائمة، رجَّتني، واستوقفتني، وتنصلت لهويتها. نادت بصوت أودعته كل ما فيها من الشجن، وصرخت بحنجرة بُحت من تجرع الألم ومرارة البكاء: استفيقي.. هيا انهضي.. هبي من سبات!.

لم أجد بداً من محاورتها، فصراخها الذي تجشمت فيه مرارة الحزن بعث كوامني الدفينة، فذعرت من غفلتها، وبث في أوصالي نور اليقظة.

فقلت: لماذا ألجمتني كل هذا الزمن؟ لماذا نخرت قواي؟ لماذا عطلت حيويتي؟ كيف سكنت معك همتي؟ هلّا خرجت من قوقعتك الحزينة المظلمة وأجبتني؟

أجيبي مهما كان جوابك، وإن أدمى قلبي المثلوم، وإن ذرف له دمعي الحزين. وإن قطع أوصالي بما يحويه من وعيد، وإن أماتني ميتة شرف تحييني من جديد.

قالت مطأطئة رأسها من الخجل: وجدت فيك طيبة الأكارم فأبدلت ثوبي القاتم لأجلك، فمثلك عز مثيله، وندر وجوده.

حرك جوابها صوتي بأنين ممزوج بالألم:

الآن وبعدما وسمتني بقبيح صفاتك، وأضللتني عن مسار السائرين، وشل إحساسي برثائك الحزين، فتقرحت أجفاني من حرارة الدموع!؟

أتبكين لحالك أم لحالي!؟ أهي دموع اعتراف تغفر الاقتراف؟ أتستنهضين الهمة التي قتلها التراخي؟ أم تخاطبين النفس التي عشش في ثناياها الألم؟

كيف السبيل إلى التفاؤل؟ إلى استنشاق عبق

زهر الحياة؟ إلى رؤية جمالها بعين رضية عن كل السواد كليلة. إلى العيش في جنتها الموعودة، التي من لم يرفل في نعيمها لن يدخل جنة الآخرة.

أجابت بلهجة يساورها الأمل وبدموع الصدق تتهمر: جنة الذكر.. ألا بذكر الله تطمئن القلوب.. ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

سلبيتي أنطقها الرحمن، نطقت بمحكم القرآن. كيف لا.. وكلامه يخشع له الجبل ويتصدع!؟ كيف لا.. وكلامه أوجد الوجود من العدم!؟

سلبيتي استوحشت من ذاتها، وعلت بها همة صادقة فلاح لها بذكر الله نور العزائم، فهب نسيمه على قلبي ليروح عنه وهج الدنيا ويثمر الأنس الدائم.

ابتهجت أساريري فصدع لساني يسمعني:

ما أيقظني إلا لأنه يحبني، يا ترى هل ربي يحبني؟ لو لم يكن يحبني ما بعث إلي رسولاً يهز كياني لأفر إليه!

لو لم تسبق لي منه العناية لما ألهمني ذكره ليذكرني. لما حرك خواطري لتوقظ قلباً من غيبوبة الشجن، لما استدعاني للاعتراف بما اقترفته النفس فيما مضى من الزمن.

لو لم يكن يحبني لما محصني باختبارات المحن، لما أوقفني ببابه ليسمع صوتي في أحلك الليالي، أهمس في أذن أرضه فيصعد دعائي ليعلو الأفق فيستجيب ويكشف السوء.

لو لم يكن يحبني لما أبهج حياتي بإشراقة ذكره، لما جعل قلبي يتلهف لنوره، ويذوق لذيذ أنسه، لما ضرب فيه سرادقات المحبة، بعدما انزعج لروعة الانتباه من رقدة الغافلين.

لو لم يكن يحبني لما طهرني من غبار الغفلات، لما نقى سري من كدر الغوايات، لما نبهني لدنس الشهوات.

لو لم يكن يحبني لما تعهدتني أيادي الألطاف الخفية بالعناية، ولما سكنت أوصالي بأنس المعية، ولما اصطفاني للوقوف ببابه، والركون إلى جنابه.

آه من لذة حب الله!.. لو تغذى بها القلب لذهبت عنه بطنة الشهوات، ولو تملكته لرتع في جنة الدنيا، التي فيها من ذخائر الخير ما لا تدركه الأبصار، إنما ينشرح له القلب ويطمئن.

لو تملكته لقطع مفاوز الآخرة على بساط الامتنان مرفرفاً بأجنحة الشوق إلى الملك الديان. فالقلب إذا وضعته عند الدنيا خاب، وإذا وضعته عند العقبى ذاب، وإذا وضعته عند المولى طاب.

لمّا أشرقت خواطري بذكر ربها بعدما أدركها بالفضل والرحمة، هبت للاحتفاء بلذة الانتصار. فشمعة النصر إنما تضيء من لهب الانكسار.

لقد أسفر صبحي الجديد بنوره الساطع، فوضعت قلبي عند ربي ليطيب، أستأنس بلذيذ الذكر في ألفاظه، أسبحه بما يحبه: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

سكت لساني لحظة، فأبى قلبي، أصغى للكون من حولي يسبح، فتضج الخلائق بالتسبيح بحمده، وما أغفل الخلق عن سماعها!.

تتدلى أوراق الأشجار، تحركها نسائم الصباح لتسمعني تسبيحها، وتتسلل زقزقة العصافير إلى أذني فيهتز قلبي لتسبيحها، وترنيمة السواقي في الحقول تشي بتسبيحه كلما أسرع جريانها وصبيبها، حتى حجارة الأرض انتصبت في شموخها فجثوت على ركبتي لأتحسس صوت تسبيحها.

كل الكون يسبح وينزه المولى عما لا يليق بجلاله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

عدت إلى نفسي أحدثها: كل الخلق يسبح الرحمن، وأنت أيها الإنسان لا تدرك قيمة ما يحب مولاك.

استرجعت ذاكرتي في هذه اللحظة مشاهد حدث لم أفهمه في وقته، فقد أسمعني في أيام الحج رجل مسن ألفاظ تسبيح لله عز وجل بصوت جهوري شجي وكأنه يوجه لي الخطاب لأنتبه لقوله: سبحان الله الأبدي الأبد، سبحان الله الواحد الأحد، سبحان الله الفرد الصمد، سبحان الله رافع السماء بلا عمد، سبحان الذي بسط الأرض فأرساها بالوتد.

سبحان الذي خلق الخلق فأحصاهم عدداً، سبحان الذي قسم الأرزاق ولم ينس أحداً، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، سبحان الذي «لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد».

كلما تذكرتها أشعلت لهيب شوقي واشتياقي لدفء وقعها على قلبي، فما أفتأ أرددها في سري لتسري في أوصالي بنورها فتهيج خواطري بالتسبيح.. سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

وقع في قلبي أن ربي حال بيني وبين رقاد الغفلة، وأطلق لساني بوصف مننه، فكم من الرسائل تردنا ولا نفهم لها معنى، تسري في أعماق سرائرنا، تروم تحريك الخواطر فتجدها أرضية سفلت إلى القاع فاحتضنها الخمول، وجاورت رفات الموتى، فأبدلت نور الحكمة بموت الجهل.

فالحمد لله رب العالمين، موقظ الغافلين، ملهم عباده خواطر الإنابة التي إن هاجت تحرك لها الوجود واستسلم ■

في حضرتك

خديجة الطيب دبة- الجزائر

في حضرتك
الكلّ غابْ...
وتمثّلَ الإسعادُ في بُعدكْ
سراباً في سَرابْ!
وانسابَ سيلُ الشوقِ
في قلبي زُلالاً
ثمّ في نشواهُ ذابْ

* * *

مَكسورةً أحنيتُ ظهري
في جلالةِ حضرتكْ
قدْ عُدتُ يكسوني الحياءُ
ظلمتُ نفسي وابتعدتُ
وما جنيتُ سوى العذابْ

* * *

في حضرتكْ..
الكلُّ حولي غائبونَ
أنا وأنتَ لوحدنا
يَحلوُ الوِصالُ
والاقترابْ
قدْ عدتُ رغمَ الذنبِ
والبعدِ الذّي قد كانَ منّي
ثمّ لم أجدِ الجَفاوةَ والعقابْ
بلْ في رَحابةِ رحمَتك
وجميلِ صفحكَ يا مليكي
ذقتُ من طعمِ السعادةِ
ما استلذّ وما استطابْ

عند الطبيب

علاء سعد حميدة
مصر

جلستُ في وجل أمام مكتبه.. يفض مظروف نتيجة التحليلات الطبية في انتباه..

هي الخطوة الأخيرة في سلسلة إجراءات طبية متتالية بدأت بالفحص العام، وتتابعت إلى أنواع مختلفة من الأشعة والتحليلات.. أخذ يقرأ النتائج التي بين يديه دون أن يتخلى عن وقاره المعروف.. أشفقتُ من التركيز على وجهه في أثناء القراءة فأشحتُ بوجهي أتأمل سرير الكشف ذا الملاءة البيضاء بجواره الميزان الرقمي الدقيق، ثم عدت أتأمل جهاز قياس ضغط الدم على الجانب الأيمن من المكتب.. حتى قال الرجل الوقور بنبرته الحيادية الخالية من التعاطف أو الشفقة:

الأمر يا صديقي كما كان واضحا منذ البداية.. الإحباط الحاد زحف كما الورم على كل فراغ القفص الصدري.. غطى تجويف الصدر بطبقة أشبه بالخرسانة المسلحة.. لا مجال أمام الرئة لتبادل الهواء.. وكما ترى في مثل هذه الحالات لا يجدي أي نوع من التدخل الجراحي أو العلاجي.. كل ما نملكه المسكنات والعلاجات التلطيفية حتى ينفذ أمر الله وهو على وجه اليقين قريب.. فلا تبتئس.

أطرقت إلى الأرض مشفقا من مواجهة عينيه المحايدتين وأنا أسأل سؤالا تقليديا كأنما لأقول شيئا أي شيء أنهي به اللقاء: لا أمل إذن!؟

هتف الرجل منشرحا لأول مرة منذ قابلته قبل أسابيع: هذه الكلمة التي نطقت بها ربما دون وعي: يا صديقي هي العلاج الوحيد أو هي بداية العلاج.. كلمة الأمل.. فكلما اتسعت دائرة الأمل في نفسك تقلصت معها رقعة الإحباط حول قفصك الصدري.. وانفرجت أمام رئتيك مساحة لتبادل الهواء.. عليك وعلى الأمل..

تساءلت متغابيا: ألن تكتب لي وصفة لصرف دواء!؟..

أجاب بحسم: لا دواء.. أنت طبيب نفسك.. فداوها بما شئت..

خرجت من العيادة وأنا أحاول أن أتذكر كل المبشرات التي وعيتها صغيرا.. وأتممت: (فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا)، (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون)، «أنا عند ظن عبدي بي».

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وكلما خطوت خطوة ونطقت بجملة شعرت بخفة في جسدي، وانتظام في أنفاسي، وتمدد في رئتي أسمع له صوت تكسير الخرسانة المسلحة التي غطت صدري في الآونة الأخيرة بالإحباط الحاد ■

قراءة في قصص العددين الحادي والتسعين والثاني والتسعين

جاء **العدد الحادي والتسعون** من مجلة الأدب الإسلامي حافلاً بالنصوص الإبداعية المتنوعة، وفي هذه المقالة سأقدم قراءة سريعة لأربع قصص قصيرة منشورة في هذا العدد، هي: مذكرات مدرس مضطهد للدكتور عماد الدين خليل من العراق، وأشباح الروهنجا لإبراهيم حافظ غريب من المملكة العربية السعودية، وتلميذي القبيلي لسماح أحمد بادبيان من اليمن، والحلم الوردي للدكتور عبد الله رمضاني من المغرب.

واللافت أن القصص الأربع جاءت مختلفة ومتنوعة، من حيث بيئة الكتّاب وموضوعات القصص، وأساليب القص.

* * *

جاءت القصة الأولى **(مذكرات مدرس مضطهد)** للدكتور عماد الدين خليل معبرة عن حال معلم عجز عن التواصل مع الآخرين من طلابه وزملائه وإدارة المدرسة حتى أسرته، عاش غربة نفسية، كان عاجزاً عن إدارة الصف المدرسي، وشعر بذلك طلابه ومعاون المدير والمدير، ووصل الأمر إلى المفتش؛ مما أدى إلى نقله إلى منطقة أخرى، فاجتمعت عليه غربتان: غربة الروح وغربة الجسد، ففصل من المدرسة، وكانت نهايته مستشفى الأمراض النفسية، ومن ثم الموت.

سرد القاص أحداث قصته معتمداً على مذكرات المدرس المضطهد النزيل في مستشفى الأمراض العقلية، وذلك عن طريق تمكين الجراح – الذي اعتاد القيام بزيارات دورية إلى مستشفى الأمراض العقلية – من الحصول على تلك المذكرات، بعد أن أبدى اهتماماً بشخصية المدرس في أثناء زياراته المستشفى.

د.علي بن محمد الحمود - السعودية

استثمر القاص المذكرات في جعل الشخصية الرئيسة تعبر عن نفسها دون وساطة، كانت بوحاً عن الوحدة والغربة التي عاشها. وكانت ثنائية العجز والطيبة مفتاح القصة التي يمكن الولوج إليها من خلاله. فهناك فرق بين الطيبة والعجز، أما

الأستاذ فجمع بينهما، فكان طيباً وعاجزاً في آن واحد. وكان متمكنًا من تخصصه الرياضيات، لكن عجزه وذهوله أديا إلى فشله.

اهتم الكاتب بوصف الشخصية من الداخل، واستثمر البعد الخارجي في بعض المواضع في الكشف عن الحالة النفسية للشخصية.

وبدت القصة لوحات متتابعة، رسمت مجتمعة شخصية المدرس؛ مع غياب تفسير مباشر لسبب الحالة التي وصل إليها المدرس. أما عنوان القصة فجاء مباشراً؛ مغلقاً باب التأويل والتفسير أمام القارئ.

* * *

وجاءت القصة الثانية **(أشباح الروهنجا)** لإبراهيم حافظ غريب مبرزة الجانب الآخر من حياة المجاهدين، إذ قامت أحداثها على حدثين، الأول: ثورة الروهنجيين في بورما، والآخر قصة زواج أحد المجاهدين سردها لزميله في إحدى نوبات الحراسة في ساحات الجهاد.

وعلى الرغم من التباين الظاهر بين الحدثين فإن الكاتب عني بإبراز الجانب الإنساني لمن يُقْدم على خوض الحروب، فهناك من يظن أن الحياة لا تساوي عندهم شيئاً.

تمكن القاص من الكشف عن الجانب الآخر في حياة المجاهدين، فبطل القصة ترك أجمل شيء في حياته من أجل الجهاد، وفي ليلة، في أثناء المناوبة الليلية، سأله رفيقه كيف تزوجت؟ فسرد له قصة زواجه، خاصة النظرة الشرعية، وعُنِيَ القاص بذكر التفاصيل الدقيقة لذلك اللقاء، مبرزاً الأثر الذي أحدثه في نفسه.

كان سرد تلك التفاصيل في تلك المناوبة الليلة بعد مرور عشر سنوات من تلك النظرة الشرعية، عاش فيها السعادة. لكن مقاومة العدو الغاشم وأداء الواجب جعلاه يبتعد عمن يحب.

نقلنا الكاتب إلى بورما حيث مأساة من مآسي المسلمين، وكشف عن جانب من جوانب النفس البشرية، وصورة من صور جهاد العدو وجهاد النفس؛ مستعينا بتقانة الارتجاع الفني، التي مكنته من استحضار مراحل من حياة أحد المجاهدين؛ لإبراز صدقه وإخلاصه، إذ ترك أجمل ما حلم به في حياته؛ ليدافع عن بلاده.

* * *

والقصة الثالثة هي: **(تلميذي القبيلي)** لسماح بادبيان، وفيها قدمت الكاتبة صورة من صور معاناة اليمن، تمثلت في إقحام الأطفال في القتال، وكان بطل

القصة الطفل اليتيم سالم الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، أقحم في أتون معركة لا يعرف سببها، ولا يعرف من يقاتل، فقط يردد هو ووالدته عبارة: أعداء الدين والوطن. هذه العبارة لقنها إياه من جنده.

أما العبارة الأخرى التي ورثها من مجتمعه فكانت (إنه قبيلي) ما يخاف من الحرب، ولا يلبس حذاء.

بدأت القصة بمقتل هذا الطفل، حيث شاهد أستاذه (أبو اللغة العربية) كما كان يسميه، على صفحته في (الفيس بوك)، صورة جثة تلميذه سالم، ثم ارتد السرد إلى مراحل سابقة، أبانت عن سر تعاطف المعلم مع سالم، إذ كان يتيماً مثله، لكنه واجه يتمه بالتعليم، وتغلب على فقره. أما سالم فجندوه مقابل المال، ليساعد أهله. لقد رأى فيه المعلم حياته السابقة، جمعهما اليتم، لكن الأستاذ سلك طريق التعليم، وسالم قتل في معركة لا يعرف: لماذا قامت؟ ومن يقاتل؟

استحضرت القصة شخصية الطفل الذي يجمع بين الفقر والجهل بدقة، وكشفت عن أبعادها الاجتماعية والنفسية والشكلية، وعلى الرغم من أننا بصدد قصة قصيرة فإن الشخصية بدت مكتملة الملامح، معبرة عن أزمة مجتمع.

* * *

أما القصة الرابعة فكانت **(الحلم الوردي)** للدكتور عبد الله رمضاني، وقامت القصة على حدث واحد، تمثل في عودة مغترب إلى بلاده، فوجد كل شيء تغير، وأصبح جميلا، والأوضاع مختلفة عن السابق، حيث وجد حرارة الاستقبال وروعته ونظافة المكان والنظافة والنظام والتطور ووو..، حتى ظن أنه حلّ في وطن آخر. أفسد عليه حلمه صوت زوجته يوقظه للذهاب إلى عمله، وتذكره باحتياجات المنزل والأبناء ووو. وتعد هذه القصة من قبيل النقد الساخر للواقع.

وبدا لي أن موضوع القصة تكرر في أعمال أدبية عدة، وجاء العنوان كاشفاً عن الأحداث، فمنذ البداية يخبر القاص القارئ أن هناك حلماً. وكما هو معلوم فإن العنوان هو العتبة الأولى التي تواجه القارئ، وعلى الكاتب العناية به، ومن سماته التشويق والإشهار، وهذا ما افتقدته قصة الحلم الوردي، كما بدا لي.

* * *

أما **العدد الثاني والتسعون** فحفل بخمس قصص قصيرة، هي: (ومن يكتمها) للدكتور وليد قصاب من سوريا، و(أحبتي قتلتي) لسعيدة بشار من

الجزائر، و(إهـداء) لخالد بريه من تركيا، و(هدية الغائب) لابتسام شاكوش من سوريا، و(القرار الصعب) لعبد الرحيم شراك من المغرب.

* * *

جاء عنوان قصة **(ومن يكتمها)** للدكتور وليد قصاب كاشفاً عن مضمونها، وهي قصة اجتماعية، تحدثت عن الفساد الإداري المتفشي في بعض دوائر العمل، والضحية غالباً الضعيف. تعاور في القصة السرد والحوار في الكشف عن الشخصيات من الداخل، فاشتركا في تجسيد الصراع النفسي الذي عاشه عثمان المتردد بين الصمت عن الحق؛ خوفاً من بطش مديره، والصدع بشهادة الحق استجابة للوازع الديني. وصورة عمر المظلوم لا تفارقه، وهو يُساق إلى السجن. قرر في النهاية الصدع بالحق، وأوكل أمره وأمر أبنائه إلى الله تعالى.

الصراع في القصة هو العنصر البارز، واستثمر الكاتب الوصف الموجز في الكشف عن حالة الهلع المسيطرة على الشخصيات، فالحديث بين الشخصيات حول قضية عمر وصفه الكاتب بالهمس في مواضع عدة. لكن في النهاية قرر عثمان الصدع بالحق في قاعة المحكمة.

اتكأ الكاتب في قصته على ثنائية الصراع بين الحق والباطل، والهمس والصدع، وانتصرت الفطرة السليمة في النهاية.

* * *

والقصة الثانية **(أحبتي قتلتي)** جاءت بوحاً يعتلج في صدر امرأة غدرت بها صديقتها التي خطفت زوجها منها، بعد أن باحت لها بأدق تفاصيل حياتها الزوجية الخاصة، فطمعت في زوجها، فكانت النتيجة وخيمة عليها، حيث فقدت الزوج والصديقة، وفقدت معهما الثقة في الناس والحياة، فبدت شخصية هشة

محطمة مهزومة.

وجهت القصة بصورة فنية غير مباشرة إلى عدم إفضاء الزوج والزوجة بأسرارهما إلى الآخرين. وأتاح الكاتب لبطلة القصة حرية التعبير عن ألمها وخيبتها وتشتتها بعد فقدان الزوج. وتداخل السرد والحوار مانحين القصة تعدداً في الأصوات، صوت الراوي العليم، وصوت الألم والتشتت والانهيار الصادر عن شخصية البطلة، وتعاور معهما الوصف في الكشف عن الشخصية من الداخل.

* * *

والقصة الثالثة **(إهداء)** لخالد بريه كان مفتاحها أو البؤرة التي انطلقت منها عبارة: (لم أر للمتحابين إلا الزواج)، وهي قصة عاطفية تعبر عن مرحلة من مراحل الحياة التي يمر بها البشر، تمثلت في مرحلة المراهقة، فهناك فتاة تعلقت بشاب، ترسل له رسائل، دون أن يعرف مصدرها، وتبدأ المحادثات عبر الهاتف دون أن يعرف من تكون؛ فيعيش صراعاً بين الحلال والحرام، يقرر قطع الصلة بها، فتغادر إلى مدينة أخرى. يشعر بالحسرة على فراقها، يبحث عنها بعد مرور سنوات، ثم يجدها مصادفة في يوم توقيع كتابه بعد سنوات من الفراق.

استعان الكاتب بعنصر التشويق في بداية القصة، وذلك بإخفائه سر الرسائل عن الشاب، وفي الوقت نفسه، عن القارئ الذي يبحث عمن يبعث إليه الرسائل، من يتصل به ويغلق الهاتف بعد الاستماع إلى صوته، ويتدرج الكاتب في الكشف ذلك السر.

وبدا لي أن هناك فجوات عدة في النص، تركها القاص للقارئ ليملأها بحسب وجهة نظره.

* * *

والقصة الرابعة **(هدية الغائب)** لابتسام شاكوش نقلتنا إلى مأساة سوريا، إلى تلك المخيمات المليئة بالأحزان والمآسي والفقد الألم، يقابل ذلك الأمل بالله تعالى والصبر والبطولة.

قدمت القصة أنموذجاً لامرأة فقدت زوجها كغيرها في تلك المجازر والجرائم الإنسانية، ظلت تنتظر عودته، تؤمل في تعويضها وأبنائها عن الحرمان والألم الذي عاشته في غيبته. والكاتبة صورت بدقة مشاعر المرأة في تلك الحالة.

وعندما جاء خبر عودته عاشت لحظات الأمل والفرح بقدومه، منّت نفسها بحياة أخرى مختلفة، تعوضها وأبناءها ما فقدوه، ستجد من يحميها ويحميهم. كانت تلك الليلة ليست كالليالي السابقة. وفي

الصباح خرجت من المخيم لاستقباله، لم تعثر عليه في البداية، أشار إليها أحدهم أنه يقبع في الزاوية الأخرى، ذهبت إليه، فوجدت أشلاء رجل، بترت ساقه، حطمت أسنانه مع أحلامه وآماله، ناولته عكازه، حمدت الله تعالى، واحتسبت الأجر عند الله.

أجادت الكاتبة وصف شخصية الزوجة، خاصة في ليلة انتظار عودة الغائب. وبدت القصة صرخة مدوية عن معاناة أهلنا في سوريا، وبدت لوحات متعاقبة كشفت عن مضمون القصة.

* * *

أما القصة الخامسة والأخيرة فكانت **(القرار الصعب)** لعبد الرحيم شراك، وهي قصة ترمز إلى ثنائية العطاء والمنع، فالأب المشغول تخلى عنه أبناؤه باستثناء أحدهم الذي لازم والده، وانقطع لخدمته، وكان يبحث عن إسعاده بشتى الوسائل، لدرجة أنه كان على الاستعداد أن يمنحه جسده؛ ليتمكن من الحركة، والثمن الذي سيدفعه أن يكون هو المشلول بدلاً من أبيه.

وجد إعلاناً في إحدى الصحف يشير إلى أن هناك إمكانية نقل الجسد، فذهب إلى المشفى، وقابل الطبيب، وأبدى رغبته في نقل جسده إلى والده. ترك والده في المستشفى، وخرج ليتمشى في الطرقات للمرة الأخيرة، وحينما عاد إلى المشفى وجد إخوته حول والده الذي بدت السعادة عليه بعد اجتماع أبنائه حوله.

ترمي القصة إلى تحديد مفهوم السعادة التي ينتظرها الآخر منا، فليس شرطاً أن نمنحهم أجسادنا وأموالنا، فقط اهتمامنا وحبنا.

أكد الكاتب حاجة المريض إلى أسرته. ومشكلة القصة برزت في افتعال الكاتب في بناء حبكة قصته على حدث غير واقعي وغير منطقي، تمثل في نقل

قصة قصيرة

القرار الصعب

الجسد من شخص إلى آخر، فالتبرع يكون في عضو من الأعضاء، مثل الكلية، أما نقل الجسد فغير ممكن علمياً ولا إنسانياً، وغير مقبول شرعاً.

لامست القصة جانباً إنسانياً يعاني منه العاجزون والمرضى من كبار السن، وأبرزت حاجتهم إلى من يدخل السعادة على قلوبهم، فإن كنا عاجزين عن تغيير واقعهم الصحي، فإننا قادرون على إسعادهم بالاقتراب منهم، ومنحهم السعادة■

بَقِيتْ لِي

د. حيدر الغدير - السعودية

بَقِيتْ لي من الأماني اثْنتانِ
تَصْحباني في السِّرِّ والإعلانِ
أن يكونَ القُرآنُ ما عِشْتُ عِزّي
ومناري في شِدّةٍ ولَيانِ
وهُداهُ سَيْفي ورُمْحي ودِرْعي
واليقينُ الرضيُّ حصنَ أمانِ
وإذا الموتُ لاحَ لي فَطُموحي
أن أكونَ الشهيدَ في المَيْدانِ
طعنةٌ فابتسامةٌ فَوَداعٌ
فَلقاءٌ في جنّةِ الرحمنِ

ليلة تحت أضواء الشموع

ريح المطر- السعودية

فجأة خيَّم الظلامُ على بيتنا، كان الأمر بلا مقدمات، ولا سابق إنذار!

كشَّافات الجوالاتِ بدأت تعمل هنا وهناك، وهرعتُ إلى المحوِّل للتأكد من أن الخلل ليس تماسّاً كهربائياً!.. بينما خرج الشباب إلى الشارع ليستكشفوا الأمر، والقادمون منهم أعلنوا أن المدينة بأسرها تغرق بالظلام!! وقادمون من مدن أخرى يعلنون أن مدناً أخرى في ذات المنطقة مشلولة هي الأخرى!.

الفتيات والنساء والأطفال يهرعون متسابقين للبحث عن الشموع، أو أي مصدر للإضاءة يعمل على طاقة البطارية في كل ركنٍ من المنزل؛ بعد أن تأكد لهم أن المسألة ستطول.

وانقطعت صِلاتنا عن العالم الخارجي تماماً، فلا تلفاز، ولا جوَّالات، ولا أخبار.

المصابيح لاتعمل لأن البطاريات لم تُشحن؛ فلا مناصَ إذن من الشُّموع!.

جميع من كانوا في الأدوارِ العلوية نزلوا للدور الأرضي.. تجمعنا هناك.. وكان علينا حمل الأطفال النائمين إلى هناك أيضاً.. توفيراً لأضواء الشموع، وربما.. بحثاً عن أكبرِ قدرٍ من الأمان؛ ليس أقلَّها قصص الجنِّ والعفاريتِ التي تنشط في مخيلاتنا تحت جنحِ الظلام!!.

كان البيت أشبه بخلية نحلٍ لا تهدأ.. الكل يعمل، والكل يساعد الكل!!

بعد أن استقر الأمر، وهدأت الأمور قليلاً أخذت التحليلات بيننا تعمل عن أسباب هذا الانقطاع؛ فالأمر ربما كان سياسياً عند بعضهم؛ بينما هو خلل وسوء تنظيم عند

آخرين، وما بين الرأيين آراء أخرى يمكن أن تصل لداعش والحوثي!..

أجمل ما في الموضوع أنَّنا كنَّا نتحدث معاً، وننام معاً تحت أضواء الشموع، الصغار يسمعون للكبار، والكبار ينصتون بعضهم لبعض باهتمام، حتى الصغير يعلن رأيه بلا خوف، ولا مواربة.

كان بعض الصغار سألني: أنتم أولَ كان عندكم كهرباء؟!

وكيف كانت الحياة بلا كهرباء؟ وكيف كنتم تعيشون بلا (نت) ولا تلفاز!؟ حين حدثته ذات نهارٍ عن أديسون مخترع المصباح الكهربائي!..

لا بأس كل هذه المخترعات عالةٌ عليك يا أديسون!!

حسناً، أظن أن صغيري يعتقد أن بعضنا قادمونَ من العصر الحجري!.

وأعتقد أنه حان الوقت للصغير أن يعرف الإجابة بطريقة عملية؛ ثم بدا لي أن ألقي سؤالهُ على بعض الكبارِ بيننا الذين تسارعوا لإعلان ذكرياتهم الشحيحة؛ عن زمنٍ يرونه سيئاً ومتعباً في كثيرٍ من جوانبه؛ بينما يراه آخرون لم يعيشوا سوى طفولته، أو زهرَة شبابِهِ.. جميلاً!!.

سأل بعضهم: هل هناك في هذا العالم من يعيش بلا كهرباء؟؟ وهل يمكنُ الاستغناء عنها حقا؟؟

أجبت: الإسكيمو.. أدغال أفريقيا.. مجاهل آسيا.. قرى وهجر في كل مكان في العالم مازالت تعيش بدونها! وتُكيِّفُ حياتها بدونها!.. بل مازال بعضها فيما يسمى بالعالم الأول يرفض مجرد دخولها لئلا تفسد عليه حياته،

إذن يمكن للإنسان أن يعيش من دونها..

سألتُ بدوري: هل وجودها ضرورة في حياتنا أم ترف؟!

لماذا ننظر لاستعمالها بأنه مدنيَّة وحضارة، وانعدامها تخلّفٌ وبداوة؟ بينما هي تسرقُ منّا أجملَ ما فينا؛ تسرقُ قلوبَنا وترمي بها بعيداً؛ تسرقُ الدفء والقُربَ، حتى الأحلامَ من عيوننا... بل تسرق الحياةَ من الحياة!.. وتحولنا إلى مجردِ آلاتٍ مستهلكة.

مدنيّة خُلقت لتجعل حياتنا رائعة؛ لكنها تفسد حياتنا، وذوقنا، وإنسانيتنا، وتعكِّرُ بهجتنا بها؛ ولا نشعر معها بقيمتها أو قيمتنا.

تابعنا السمر وعرجنا على بلادٍ كثيرة من بلاد المسلمين أعيدت إلى عصورٍ مضت كبلادِ الشامِ والعراق بغير اختيارها، وهي التي كانت منارة العلوم للعالم، ذلكَ أنّ الحربَ حين تأتي تنزعُ فتيل الحياة؛ فلا كهرباءَ، ولا ماء.. فضلاً عن حقوقٍ كانوا يطالبونَ بها.. فأمسوا عراةً منها ومما هو أبسط منها.

سأل أحد الصغار: كيف يتدبرون حياتهم بلا كهرباء!؟

رد آخر: كما نتدبرُ أمرنا هذه الليلة من دونها.

قلتُ:

مع فارقٍ بسيط.. أنهم يعيشون بلا سقف، بلا دفء، بلا أمن، تحت لهيبِ النار، وفي كلِّ ليلة يفقدون بعضاً منهم، وقد يذهبُ الكُل!!.

نمنا باكراً تلك الليلة تقريباً، والمدينةُ ماتزالُ تقبعُ تحت الظلام؛ لكن سؤال أحدهم ظلَّ يرنُّ في أذُني:

متى ينتهي هذا الظلام!؟..

استيقظتُ فجراً، واستيقظ الجميع؛ لأجدَ الكهرباء قد عادت، لتعودَ معها حياتنا المألوفة!..

سألت صغيري في اليومِ التالي: إن كان يتمنى عودة ليلةِ كليلةِ البارحة؟!.

أجابني وهو ابنُ هذهِ المدنية بقضِّها وقضيضِها:

ليتها تعاد مرّة ثانية!!

لا أشُكُّ أن صغيري سيعتبرُ ليلتهُ تلك.. ذكرى جميلة.. لزمنٍ جميل■

الإبداع في الرؤية الإسلامية (*)

الإبداع في اللغة إحداث شيء جديد على غير مثال سابق.

وهو تعبير يُقصد به القدرة على عمل شيء جديد ومُبتكِر.

ويمثل الإبداع إطلاق طاقات الخلق والابتكار، دون قيد على العقل، في حدود المنهج الإسلامي، إلى الحد الذي ينال فيه المجتهد أجرًا حتى ولو أخطأ، مادام ملتزمًا بالإطار الأخلاقي الإسلامي الذي لا يحكمه الهوى، وإنما يحكمه الضمير الذي يُدرك مسؤوليته عن الإبداع بطريقة تؤكد توجيه طاقات الإبداع.

ترى، ما الدوافع إلى الاهتمام بالإبداع؟.

علي القاضي - الهند

إن الدوافع تتلخّص في الآتي:

* مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.
* ومحاولة القضاء على الملل الناشيء عن الحضارة الحديثة.
* والحاجة إلى حلول إبداعية للصراعات الدولية. والمبدِع المسلم يلتزم التزامًا داخليًا بالأخلاق الإسلامية، فهو متّصل بالله تعالى، وهو لايبتغي إلا إرضاءَ الله تعالى، وهو لذلك يحافظ على أخلاقه وعلى أخلاق الناس في الوقت الذي يكتب فيه أو يرسم أو يفكّر؛ لأنه مُلتزم بالقيم الإسلامية.

وحرّية الإبداع في الإسلام لها ضوابط، ويمكن لأيّ مسلم أن يعمل ما يريد وأن يقول ما يريد، ما دام ملتزمًا بالضوابط الشرعية.. ومن هنا فإنّنا نجد أنّ الإسلام، قد شجّع الناس على التعامل بما خلق الله تعالى في الطبيعة، من جمال السماء والأرض، وقد زَيَّنَ السماء الدنيا بزينة الكواكب، وجمّل الأرض بما خلق فيها من كل زوج بهيج، من الزهور الجميلة المختلفة، والحيوانات والطيور الجميلة المتنوّعة. ثم دعا الإنسانَ إلى أن يكون جميلاً في مظهره وفي مخبره؛ لأن الله جميل، يحبّ الجمال، فإذا لم يُتْقِنِ المسلم فنّ التجمّل والإبداع، فكيف يصنع الجميل ويسعد به؟.

ولذلك فإن مجالات الإبداع الإسلامي، هي كل مجالات الوجود، مرسومة من خلال النفس المُفْعَمَةِ بالإيمان، والتصور الإسلامي للكون. ولحياة الإنسان سِجِلٌّ حافلٌ بالإبداع، عرفته البشرية، يأخذ الوجود كله بمادياته وروحانياته ومعنوياته وكلّ إمكاناته.

والإسلام يُوَقِّعُ على الحس البشري توقيعات شتى، تهزّ الوجدان من أعماقه في توجيه القلب البشري إلى آيات الله

(*) مجلة الداعي، العدد ٤-٥، السنة ٣٢، ربيع الثاني - جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، أبريل - مايو ٢٠٠٨م. تصدر عن الجامعة الإسلامية: دار العلوم، ديوبند، يوبي، الهند.

تعالى في صفحة الكون. والإسلام وهو يربّي الروح يعمد إليها، فيثير فيها الحياة، فيقول الله تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا* ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا* وَزَيْتُونًا وَنَخْلا* وَحَدَآئِقَ غُلْبًا* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا* مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ (سورة عبس، آية: ٢٤-٣٢).

ثم يوجّه القلب البشري إلى قدرة الله القاهرة، فيقول:

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة البقرة،آية:١١٧).

ويقول:

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنعام، آية:١٠١).

ثم يوجّه القلب البشري إلى علم الله الشامل، فيقول:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَآ إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الأنعام، آية:٥٩).

الإبداع والحداثة

والحداثة بمفهومها الغربي، تدعو إلى التطرّف والعنف.

ترى، هل الإبداع مطلوب في هذا المجال؟.

ترى، ماذا يفعل الشباب، عندما يقرؤون شعرًا، يقول:

«من قال: إنّ يوسف لم يزن بزليخا..؟».

أو حين يقرأ مثلاً:

«إن لوطاً قد زنى بابنتيه».

إنّ الإبداع، هو تخيّل إنساني رفيع، يقوم الإحساس الرفيع للناس في صورة من صوره.

وحرية الفكر تسير في اتجاهين:

الأول: أن يكون الفكر، له قيمة مؤثرة في مسيرة الإنسانية، وأن يكون حافزًا للتقدم والحرية وداعيةً إلى الأخلاق الفاضلة، وهذا الفكر يحترمه الإسلام ويقدّره، وله ثوابه عند الله سبحانه وتعالى.

الثاني: أن يكون الفكر نوعًا من التكتيك، الذي يستخدمه بعض المرتزقة، بهدف إعاقة الإنسانية عن التقدم، وداعيًا إلى فساد الأخلاق والقيم.

وهذا الفكر مرفوض وصاحبه سينال جزاءَه عند الله تعالى:

ولذلك فإنّ المعيار الأساسي لتقويم الإبداع في الإسلام: أن يكون الناتج فيه جديدًا وأصيلاً، وأن يكون ذا قيمة بتأثيره في المجتمع في الوقت ذاته.

والإسلام فيه حرية الفكر، الموسومة بالانضباط والتوازن الكامل من القيم الأخرى، وهو الحاكم دائمًا على الحضارات الأخرى والأمم المختلفة في مفهوم الإبداع والفن والأخلاق، ولم يكن في يوم من الأيام خادمًا لأهواء الناس ولا مُبَرِّرًا لانحرافهم.

والقرآن الكريم، كان واضحًا في تثبيت هذا المفهوم في نفوس المسلمين حتى يقوموا بدَعوتهم إلى الله على بصيرة، يقول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (سورة الحج، آية:٧٨).

والإبداع الفنّيّ في الإسلام، يُصوّر الإنسان على صورته المزدوجة قبضةً من طين الأرض، ونفخةً من روح الله تعالى، وفي طريقة التسجيل، تلتقط لحظة الهبوط على أنها كذلك، لا على أنها لحظة بطولة تستحق الإعجاب؛ بل إن لحظة الإعجاب هي لحظة الإفاقة من الهبوط التي يطلبها الإسلام، حيث يقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٣٥-١٣٦).

فالدافع الحقيقي، هو الارتفاع فوق الواقع وهو حقيقة إنسانية، قد تكون قليلةً ولكنّها موجودة وتستحق التسجيل كلحظات تفتح الزهور.

ترى، ألم تكسب البشرية من تسجيل لحظات تفتح الزهور؟ كذلك لحظات المشاعر وثمرات النفوس.

الجانب الوجداني

والجانب الوجداني، أدخَلُ الجوانب في الإبداع الفني، وعنصر التأثير، هو العنصر البارز في الفن والإبداع. وأقرب رسائل التأثير، هي تصوير الوجدانات البشرية في صورة جميلة موحية، تؤثّر في الوجدان، والذي يحدّد ذلك طريقة تناول الموضوع.

والجنس مثلاً، يأخذ مساحةً واسعةً في النفس الإنسانية، لا يأخذها في عالم الحيوان، مشاعر وعواطف وفنون من الغزل وشوق الجنس، ومودّة في الإلف ورغبة في القرب؛ ولكنه لاينقلب من كونه وسيلةً إلى كونه غايةً، إنه وسيلة لحفظ النوع وترقيته، وذلك لا يطغى على مساحات مخصّصة لغيره، ولا

يفسد تكوينها الطبعي المترابط، ولا ينفصل بذاته عن بعض المشاعر، فهو ليس جنسًا خالصًا، لا علاقة له بمتعة النفس التي يوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم، آية:٢١).

فالسّكن هو الهدف من الزواج في عالم الإنسان، وليس مشغَلة الفكر والبال، ولا النُّصب والعذاب والقلق والاضطراب واللهفة الدائمة التي لا ترتوي.

والفن الإسلامي، يتحدّث عن المشاعر التي تربط بين الجنسين في حدود نظيفة.

وقصة موسى – عليه السلام – مع ابنة شعيب – عليه السلام – التي ذُكرت في سورة القصص، فيها عرض لعواطف أنثى نظيفة تجاه رجل.

عواطف الإعجاب بقوّته وشهامته، ثم أمانته المتمثّلة في محافظته عليها وعلى عِرضها في الطريق إلى الدار.

والأب يُقرّ ذلك ويُزوّج ابنته لموسى، ويُقرّ القرآن الكريم هذه العواطف، فيؤدّيها في تقرير وصراحة.

وقصة يوسف – عليه السلام – تمثّل قصة الهبوط الجنسي عند امرأة العزيز، ومع ذلك، لا نجد أمارة التلذّذ بالجنس والإعجاب، لحظة الهبوط والمتعة بالمشاعر المنحرفة.

إنّها أمانة في الوصف بلا إثارة نفسية ولا تلذّذ ولا إفساد أخلاق.

والحبّ طاقة من طاقات النفس؛ ولكنه حبّ شامل للوجود كلّه بما فيه ومن فيه. والحبّ الإلهي وحدَه هو الذي يمكن أن يستوعب فنًا قائمًا بذاته، وحب الأم والولد، لا تدخله غايةُ الجنس.

والقصة في القرآن الكريم نظيفة؛ إذ إنّها حين تُلمّ بلحظة الضعف البشري؛ فإنّها لا تصنع منها بطولة؛ بل عرضًا فقط، ثم يسرع ليسلّط الأضواء على لحظات الإفاقة والتغلّب على الضعف البشري.

وحين يعرض الفاحشة فإنه لايعرضها للتلذّذ بها؛ بل إنه يعرضها ليفسح المجالات لأحداث الحياة العليا العديدة، ويفسح المجال للتصور الإيماني الكبير للكون والحياة والإنسان.

والمُبْدِعُ المسلم، له ذوق خاص ينفرد به؛ لأنه ينطلق في عمله بثقة، لا نهاية لها في العدل الإلهي، ويندفع إلى القرب إلى الله تعالى.

وما دام الفنّان المبدع أمينًا صادقًا؛ فإنه لا يدعي لنفسه شيئًا غيرَ معقول ولا مقبول؛ ولكنه يرجع ذلك إلى المنّة الإلهية والتوفيق الرباني.

الإبداع في الأدب

ينشأ الإبداع في الأدب من الإحساس بالجمال في صورة كلمة تتناسق عناصرها وتتآلف ألوانها، وتنسجم علاقات أجزائها، فتُعطي انطباعًا متميزًا بالرضا والفرح. والأدب الإسلامي في جوهره، أدب الاستشراف، والتسامي بالنفس الإنسانية. وقمّة الحرية تكون في قدرة الإنسان على الالتزام، وكل شيء في الإسلام، له هدف، ويعين المسلم على أداء وظيفته التي خلقه الله تعالى من أجلها.

ومن المنظور الإسلامي فإن دعوى الفن للفن، والإبداع للإبداع، ما هي إلا خرافة.

ونلاحظ أن إسلاميات «أحمد شوقي» قد سمتْ بشعره إلى آفاق أسمى وأرحب من الآفاق المعروفة في ذلك الوقت، وإسلاميات «إقبال» كان فيها حريصًا على الإبداع والارتقاء بالصورة الفنية، وذلك لأنهما التزمَا بالإسلام وهو الدين الحريص على سلامة المضمون، وضرورة التعبير عن الفكر الإسلامي الصحيح، وعلى الانطباع

الصادق، أو التساند البنائي لدى المتلقي.

وهكذا نرى أن الإسلاميين، أحرص على الإبداع الفني؛ لأنهم يوظّفونه توظيفًا ساميًا في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وهم حريصون على إيصال كلمة الحق إلى البشر كافة، وهم يدخلون إلى الإبداع من الطريق الصحيح متسلّحين بالوعي والإيمان والحب والخير، وذلك لكي تكون الكلمة رحمةً وخيرًا للعالمين ولا تكون عاملاً من عوامل الهدم والضياع والغموض والتسيّب.

والإبداع الفنّي في الإسلام، يصوّر الإنسان على صورته المزدوجة قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله تعالى.

وفي طريقة التسجيل، تلتقط لحظة الهبوط على أنها لحظة هبوط، لا على أنها لحظة بطولة، تستحق الإعجاب والتصفيق.

والذي يستحق ذلك، إنما هو لحظة الإفاقة من الهبوط التي يطلبها الإسلام من المسلم، وفي ذلك، يقول الله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ × وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ (سورة الزمر، آية: ٥٣-٥٤).

فالدافع الحقيقي، هو الارتفاع فوق الواقع، وهو حقيقة إنسانية موجودة، وتستحق التسجيل، حتى وإن كانت قليلة، وبذلك تكسب البشرية من ذلك كله.

الإبداع الفني

والإبداع الفني في الإسلام، يسمو في وصف الطبيعة المحدودة ليحوي كلَّ شيء في هذا الكون، معبّرًا عن إيمان عميق عن بدائع خلق الله تعالى.

وحسب المسلم أن يستخدم موادّه الفنية عن الطبيعة بذوق وقدرة على التشكيل، ليخرج منها بأشياء نافعة وجميلة وتتمثل في الخطوط وغيرها.

ويعالج الإبداع الفني موضوعات الكتابة والخطوط والنقش والعمارة من خلال منظار إسلامي جمالي، يستوحي أصوله من حجج الله البالغة بآياته البيّنات، ويظهر ذلك في عمارة الأبنية والمساجد، وصناعة الأواني والبساط، وتدرج فنون الكتابة والخطوط، كما يظهر في جمال أداء العبادات، ومن ذلك الصفوف المتساوية في الصلاة.

والإبداع الإسلامي، يشمل كل ما في الحياة، وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة، ووفق وظيفة الإنسان التي خلقه الله تعالى من أجل تحقيقها في هذه الحياة، وهو لا يزيف حقيقة، ولا يخلق وهمًا فاسدًا، ولا يحابي ضلالاً، ولا يزيّن نفاقًا، ومن ثم فهو ينهض بعزائم المستضعفين، وينصر قضايا المظلومين، ويبشّر بالخير والحق والجمال.

ومن هنا فإنّنا نجد أن الإبداع في الإسلام، ما هو إلا إبداع

الضمير الحي، والوجدان السليم والتصور الصحيح، والخيال البناء، والعواطف المستقيمة. وهو لا يتّجه إلى انحراف نفسي، ولا إلى اعتلال شعوري، أو إلى مرض فلسفي؛ بل إنه يقوم بتأصيل القيم الجمالية، والمضامين الفكرية الأصيلة، وهو وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية المعاصرة في جميع المجالات.

والمبدع المسلم، لا يكمن فيه الخلل الداخلي، ولا الخلط الأهوج بين الوسائل والغايات، ولا سوء النية ولا العداء العجيب لكل شيء في الكون، وهذا ما يعيش الغرب فيه بسبب الخواء الروحي، وقد دفعهم ذلك إلى التهكّم من القيم، وإنكار العقيدة الدينية.

والمبدعُ المسلم مُرتبِط ارتباطاً وثيقًا بالقرآن الكريم والمنهج الإلهي، ويساعده على ذلك الالتزام الداخلي، وهو البعد الآخر للصدق.

والالتزام في الإبداع، معناه القناعة الإيمانية والسلوك المطابق لكل ما يتعلق بها، ويكون في إطار المسؤولية الإيمانية، فالميزان من صنع الخالق سبحانه وتعالى، والمبدع المسلم يُحسّ بأنه محاسب على ذلك في الدنيا والآخرة.

وبذلك يكون الإبداع في المنهج الإسلامي وسيلةً من وسائل التربية، وله تأثيره المتميّز على نفسية المتلقي وفكره حتى وإن لم يُدركه.

والمبدع المسلم يعيش عقيدةً وفكرًا وسلوكاً من نوع خاص، وذلك يؤثّر في مكوّناته النفسية والعقلية، وفي قدراته الإبداعية.

وهكذا يكون الإبداع في الرؤية الإسلامية إبداعًا، له هدف يُعِيْنُ المسلم على تحقيق وظيفته في الأرض، وبذلك ينتظر الجزاء من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وهذا ما يهدف إليه كلُّ إنسان في هذه الحياة، ولمثلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العاملون■

شوق إلى الوطن

بدر الحسين- سورية

عسى النسمات تأتيني بذكرى
فتروى الروحُ من شوق إليه
وأسأل عنه من ألقى كطفل
تعثرت الدموع بمقلتيه
أسافر ملء إحساسي لعلي
أحط بجنح إحساسي عليه
حكايات تردَّدُ في فؤادي
وأشواقٌ ترفُّ بجانبيه
يطوف بي الخيال طوال ليلي
ولا أملٌ لديَّ ولا لديه
أمنِّي النفس أن ألقاه يوماً
أشمُّ العطر من كلتا يديه
أحدثه عن الصبح المندّى
وعن حقل يموج بضَفَّتيه
وعن سحر الأصيل يبوح شعراً
إذا ما الشمس ضمَّت منكبيه
عن الدفء الذي في الروح يسري
وعن كحل يذوب بناظريه
فما أحلاه من وطنٍ وأبهى
علامات الجمال بوجنتيه
فبلغ يا نسيمَ الصبح شوقي
إلى وطني الحبيب ومَنْ عليه
عسى ألقاه يوماً ثم آسو
مواجعَه وأمسحُ دمعتيه

من الذي يبدأ!؟

كانا جارين بالوراثة، فأبو سالم كان جاراً لأبي كريم، وكانا يجلسان كل يوم تقريباً يتسامران حتى ينتصف الليل، وفي إحدى الأمسيات قال سالم:

كثير من الناس في هذه الأيام - وبسبب الحصار - لا يحصلون على ما يكفيهم من الطحين.

قال كريم في نفسه: (يا الله! أظن أن سالماً بحاجة إلى الطحين، وخجل أن يخبرني مباشرة)، ثم رفع صوته مجيباً:

ما تقوله صحيح! فأنا أعتقد أن كثيراً من الناس في حاجة ماسة إلى الطحين، ولكن يخجلون أن يذكروا ذلك.

قال سالم في نفسه يظهر أن كريماً بحاجة ماسة إلى الطحين، وهذا ما ظهر من كلامه.

نحن في بعض الأحيان نحتاج إلى أن نرفع الكلفة فيما بيننا، فالذي يحتاج إلى شيء يطلبه مباشرة من أخيه، فنحن إخوة وجيران، يعني أصبحنا أهلاً.

ضحك كريم من كلامه وقال: نحن جيران لأكثر من مئة سنة، ولكن يا سالم! لم يعد هناك الكثير الذين يراعون حق الجيرة، فالدين والحمد لله هو الذي جعلنا إخوة، ونراعي حق الجيرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم، وصانا بالجار، ثم إنه كره أن تخرج رائحة الطعام إلى الجار، فالكثير مثلاً يشوي لحماً، ويتعمد أن تخرج رائحة الشواء ليفاخر بها على جاره.

قال سالم في نفسه: (لقد شوينا اللحم هذا اليوم، ولا بدّ أنه شم الرائحة، ويخجل أن يطلب منا)، ثم رفع صوته قائلاً: كلامك صحيح فهذا يحصل كثيراً، وأنا في رأيي ألّا يخجل الجار من إرسال شيء لجاره، كما أن على الجار الآخر ألّا يخجل من أخذ شيء من جاره، وهذا ما أراده رسول الله لنا.

قال كريم في نفسه: (نسيت أني شويت لحماً هذا اليوم، وكان من المفروض أن أرسل منه لجاري، والله إنها غلطة)، ثم قال: يا أخي سالم! رأيت قسماً من الجيران يرمي قشور الفاكهة في الباب، ليراه جاره.

قال سالم: وكثير من الجيران يرسل أولاده إلى الشارع يحملون الحلوى ليراها أولاد جاره، وهذا كله حرام أليس كذلك!؟

سكتا قليلاً.. ثم قال سالم في نفسه: (علي أن أقوم مبكراً لأستطيع جلب الطحين والحلوى والباقي من الشواء لجاري كريم).

وقال كريم في نفسه: (علي أن أقوم مبكراً لأجلب الطحين والفاكهة والباقي من الشواء لجاري سالم!).

د.عمر محمود الراوي- العراق

قاما معاً.. وقالا معاً: أتسمح لي!؟ فإن لي عملاً مستعجلاً أود القيام به..

وضحكا معاً.. وخرجا معاً..

قال سالم لزوجته: اقسمي الطحين الذي لدينا، وأعطيني ما بقي من الشواء، وما بقي من الحلوى، فنحن قد أخطأنا في حق جارنا كريم.. فلم نذكرهم في شيء منه.

قالت زوجة سالم: وهذا حرام علينا، فقد مضى على الحصار عام كامل، والله إننا نستحق عقاب الله لنا.

وقال كريم لزوجته: جهزي لي نصف الطحين، وما بقي من اللحم والفاكهة، فإننا قد قصرنا في حق جارنا سالم.

قاطعته زوجته: والله.. كلامك صحيح! وأنا فكرت في ذلك اليوم، فقد شاهد أولاد سالم أولادنا وهم يحملون فاكهة، وفي مثل هذه الأيام الفاكهة نادرة.

إذاً أسرعي ياعزيزتي حتى لا نتأخر.

في الليل خرج كريم يحمل الطحين على ظهره وهو مطرق، واتجه إلى بيت سالم وتبعته زوجته..

وخرج سالم وهو يحمل الطحين على ظهره وهو مطرق، واتجه إلى بيت كريم، ولشدة سرعتهما كادا أن يصطدما رأساً برأس، فضحكا حتى ألقيا ما على ظهورهما في الأرض وجلسا عليه في الشارع.. وبعد لحظات وصلت زوجتاهما، وضحكوا جميعاً.

قالت زوجة سالم: هناك سبعة جيران، فما خرج لله لا يرجع إلى بيوتنا. فسارا معاً وزوجتاهما خلفهما.

قال سالم: أتعرف أنك تشبه عمر بن الخطاب وهو يحمل الدقيق إلى الفقراء في الليل!؟

قال كريم: وإنك ياسالم تشبه سالماً الذي كان يسير مع عمر بن الخطاب!..

فياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ■

موقف جميل ..

صورية مروشي - الجزائر

صباح أحد الأيام قصدت محلا لبيع النظارات الطبية، فقد بلغت عمرا بدأت الرؤية تنقص فيه وكان لابد مما ليس منه بد... كنت جالسة أنتظر دوري حين دخلت امرأة في خريف العمر ملتحفة بملاءة سوداء ونقاب أبيض فلا يرى الرائي منها غير عينيها. فهمت من طريقة استقبال صاحب المحل لها وسؤاله عن أخبارها أنه يعرف بعضهم بعضا من قبل. اشترت المرأة شيئا، أرادت أن تدفع، لكن البائع رفض بشدة على الرغم من إلحاح المرأة. تأسفت ثم رضخت في استحياء ؛ إذ يبدو أنه يخجلها بكرمه في كل مرة، ممتنة طلبت منه أن يسلم على أهله. همت بالخروج فقال بعفوية لم يحسب حسابها: إنه رزق بمولود، لفرحته به أخبرها بذلك! فرحت بدورها للخبر السعيد، هنأته بحرارة، ثم فتشت في حقيبتها وأخرجت مبلغا وتوجهت إليه ووضعته بين يديه. رفض بشدة فألحت بقوة قائلة: إنها تعبر عن فرحتها بالمولود، وأنه من عاداتنا أن نعبر عن الفرحة بأن نكرم أحد الوالدين بما نستطيع.. رضخ مستسلما أمام إلحاحها القوي، ثم خرجت المرأة تاركة الشاب في ذهول... تبعها إلى الباب، قال يحدثني والعبرات تخنق صوته: إنها امرأة فقيرة جدا، أرملة تكفل أيتاما وتعيش ظروفا لا يعلمها إلا الله لكنها من الذين لا يسألون الناس من التعفف... فتح يده ليرى المبلغ الذي أعطته... أضاف بحسرة: أنا متيقن أنها كل ما تملكه.. ثم قال متحسرا يلوم نفسه: إنها غلطتي، لماذا أخبرتها بالمولود؟ لماذا؟؟؟... واشتد عليه لومه لنفسه حتى قفزت عبرات خلف زجاج نظارته! ■

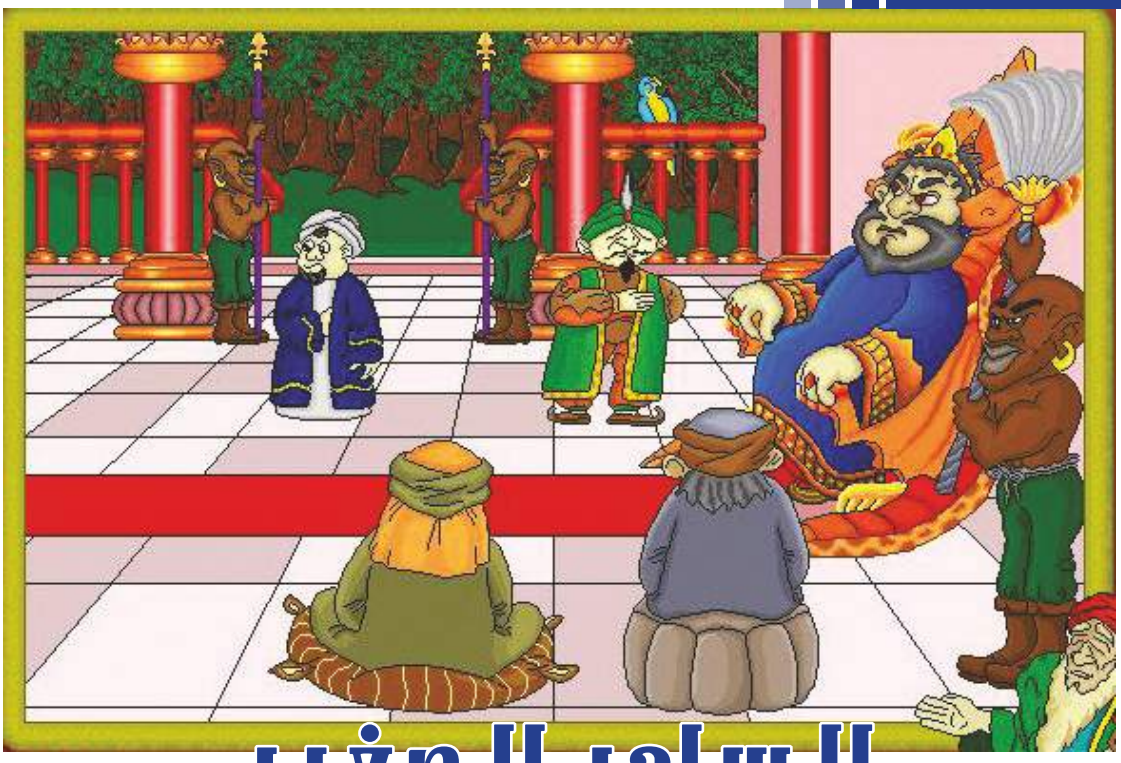

الساحر الصغير

محمود كحيلة-مصر

الشخصيات:

الملك، جليس الملك، الوزير، الحاجب، الساحر العجوز، الساحر الصغير، الجلاد، عابد، عبيد مستعبدون، متعبدون مؤمنون.

المشهد الأول

(قصر الملك - قاعة العرش)

(بقعة ضوئية مركزة على رأس ملك عملاق يرتدي ثيابا ذهبية لامعة، يتسع الضوء ليشمل كاهنا يؤم جماعة من المصلين يعبدون الملك؛ بينما جليس الملك ووزيره يتأملان ما يجري في خشوع مصطنع.)

الجليس: (**إلى الملك**) كلما أعملتُ عقلي وتأمَّلتُ ما يجري ازددت كفراً بما يعبد هؤلاء الناس ورفضاً لما يفعلون. (يعني عبادة الحاكم) لا زلت لا أعتقد بتلك القدرة الخارقة التي يدعيها، ولذلك أرى أننا.. أعني أنا وأنت وكل أقراننا ممن يتعاملون مع الملك ويعرفون أنه بشرٌ عادي مثلنا.. كلنا نظلم أنفسنا عندما ندعي تصديق ما يدعيه من تأله.. إننا بادعاء عبادته ندعوه إلى مزيد من استعبادنا.

الوزير: (**خائفا**) إنه ملك إله يسخر الكون لمشيئته.

الجليس: كلا.. هذا غير صحيح وأنت تعلم.. للكون إله يرعاه. ربما نشعر به وإن لم نره.. إله حاكم عادل.. إله قادر، ليس منا نحن البشر.. نحن لا نقدر علي رعاية أنفسنا فكيف نرعى الآخرين!؟

الوزير: (**خاشعا للملك**) يا ربي المعبود (ثم هامساً

للجليس بخوف) لماذا اخترتني من بين كل البشر لتردد على مسامعي كلماتك تلك المهلكة التي قد تؤدي بك وبأهلك وبمن يسمعك الذي هو أنا (مشيراً لنفسه) إلى الهلاك.. أنت تعرف أن الملك مطلع على كل ما يجري على أرضه وتحت سمائه، وأن له آذانا في كل مكان. **(يعبر خلفهما رجل يتلصص)**

الجليس: القول الحق أن عيونه تنتشر في كل مكان..

الوزير: أعلم، ولذا أعلن **(بصوت عال)** أني بريء مما تقول.

الجليس: إننا من شدة الخوف نطلعهم على ما نبطن.. أنا وأنت أكثر منه علما كما تعلم، وإنه.. لو علم بما أردده يومياً منذ أعملت عقلي في تأمل الكون لقتلني وقتلك لسكوتك عني، لكنه لم يفعل ولن يفعل لأن ما يعلمه ليس أكثر مما نعلم كما تعلم فقد تلقينا العلم ثلاثتنا أنا وأنت وهو علي يد نفس المعلم.

الوزير: كنت أظن أن كلينا أبعد الناس عن الاعتراض والامتعاض لأننا أقرب الناس إلى الملك، وننعم بوده وصداقته وقربه وبكل ما يتمناه الآخرون.

الجليس: لكن ينقصنا أمر واحد وهو الأهم.

الوزير: ما هو؟

الجليس: الحرية.. نحن لا نملك حرية اختيار ما نعبد..

(يدخل الملك محاطاً بآيات التقديس والتكريم، وما أن يستقر في مجلسه حتى يومئ برأسه إيماءة بسيطة للوزير فيتقدم نحو مدخل القاعة - يومئ الملك مرة أخرى فيجلس الجليس)

الملك: **(آمراً)** الساحر.

الوزير: **(آمراً)** الساحر.

الحاجب: **(مناديا)** ليمثل الساحر الكبير بين يدي مولانا الملك الإله.

(يومئ الملك موافقاً)

الوزير: هات ما عندك أيها الساحر الكبير.

الساحر: ما عدت كبيراً إلا في السن يا ملك الزمان.

الجليس: حدثنا عن الجديد.

الساحر: ما لدي لم يعد بجديد.

الوزير: لا يغني الكلام عن العمل.

الساحر: **(معتذراً)** ما عدت أقدر على العمل يا مولاي.

الملك: **(غاضباً)** هذا هراء، ومن غيرك يبتكر لنا خوارق ومعجزات!؟

الساحر: عجز ساحركم عن السحر يا مولاي.

الملك: إن كان كذلك فلترحل إذن.

الساحر: أمر مولاي **(يهم بالخروج)**.

الملك: أعني أن ترحل عن الدنيا إلى العالم الآخر.

الوزير: أيها الجلاد.

الجلاد: **(داخلا)** أمر الملك.

الوزير: **(معلنا)** أمر مولانا بموت الساحر..

الساحر: **(مستسلما)** أمر مولانا نافذ.

(يحكم الجلاد قبضته على الساحر، ويتحرك به إلى خارج القاعة)

الملك: **(آمراً)** انتظر..

الساحر: اغفر لي وسامحني يا مولاي.. على كل ما ارتكبت من ذنوب وآثام.

الملك: **(بتكلف)** سامحتك وغفرت لك.

الوزير: أنت عظيم القدر، واسع القدرة.. تركته يعيش أكثر مما يستحق.

الملك: أنا أحيي وأميت، ولا رادّ لمشيئتي إلا بمشيئتي.

(للجليس) هل تؤمن بهذا يا جليسي العزيز؟!

الجليس: كل الإيمان يا ملك الزمان! **(بخشوع مفتعل)** لا رادّ لمشيئتك إلا بمشيئتك.

الكاهن:(**الذي يصلي بالناس في خلفية المجلس**) لا رادّ لمشيئته إلا بمشيئته.

الجميع:(**يرددون**) لا رادّ لمشيئته إلا بمشيئته.

الملك:أيها الجلاد.. عليك أن تقبض روح هذا الساحر العزيز هنا وأمامي والآن.

الجلاد:أمر مولاي.

الملك: أود أن أطمئن على سلامته بنفسي.

(**يعد رأس الساحر العجوز للقتل مع تأثيرات مناسبة**)

الساحر:(**بصعوبة يلتقط أنفاسه**) هل يمكن أن أقول كلمة قبل رحيلي؟

الملك: قل ما تشاء أنت مفضل عندنا.

الجلاد: (**بإجلال**) بأمر الملك.

الملك: (**للجلاد**) أمته ميتة طبيعية بلا سيف أو خنجر.

الجلاد: لا أعرف غيرهما يا مولاي.

الساحر: (**يتدخل**) أعلم أن قدرات جلالتكم لا حدود لها، وأن إرادتكم لا سبيل لردها، ولكني أدعوكم مؤمنا برحمتك أن تدعني للعيش في ملكوتك حتى أعلم من يحفظ للسحر مكانته من بعدي.

الملك:إذن تطلب عمراً إضافياً كي تكمل رسالتك (**يفكر**) لصالح الوطن ولأهمية السحر الذي تمارسه.. أوافق.

الوزير: اذهب الآن أيها الجلاد.

الجلاد: (**خارجاً**) أمر مولاي.

الجليس: قضاء مولانا نافذ، ومشيئته أياً كانت كائنة.

الملك: فلم لا تتقرب إلي بقربان من أبنائك؟

الوزير: يفعل يا مولاي.. إن أمرت.

الملك: ها أنا أمرت.

الجليس: لكن يا مولاي.

الملك: تتردد في تنفيذ أمري.. وأنت موقر عندي.

الجليس: لا.. إنما.

الملك: أنت لا تؤمن بي.

الجليس: مولاي.

الملك: لو كنت استجبت لكنا أعفيناك (**مبتسما**) أبتليك إذاً بما هو أيسر من ذبح ولدك.. تقرباً إليّ (**يفكر**) نقطع ذراعك أو ذراعيك.. أو نقطع أنفك.. لا.. لا هذا ولا ذاك.. أبتليك بفقد البصر على أن تبقى صورتي وأنا أبتسم هكذا (**يشير إلى التمثال**) انظر ابتسامتي

ستكون آخر ما تراه قبل أن أسلبك بصرك.. لتختبر ببصيرتك قدراتي، وتجدد إيمانك الذي كان نقص بمولاك.

الجليس: يا مولاي لماذا أفقد بصري بلا ذنب أو مرض؟

الملك: هذه مشيئتي التي لا رادّ لها إلا بمشيئتي. أنت قلت ذلك منذ قليل، أم تراك من المنافقين الذين يرددون ما لا يفعلون!؟ وحتى تتأكد من قدراتي على فرض إرادتي ونشر إلهاماتي حتى

على أقرب الناس إليّ.. وهو أنت.. (يشير الملك فيدخل الكاهن الأكبر وأتباعه في صمت مهيب) جئت في موعدك أيها الكاهن الأكبر.. هيا افعل ما أمرت به.

(يقترب الكاهن من الجليس الذي يقيده مساعدوه، ويضع قطرات سائلة في عينيه ليشعر بعدها بألم شديد فيهما)

الجليس: آه عيني!.. فقدت البصر ما عدت أرى غير الليل والظلام.. لم تفعل بي ذلك؟

الملك: إن كنت غاضباً أعطيناك المزيد.

الجليس: لا، بل راض.. يكفي هذا.. هذا يكفي.

الملك: أردت إطلاعك على قدراتي غير البشرية في التعامل مع البشر، أنا إله.. أفعل ما لا يقدر عليه بشر، أحكم عليكم فتطيعون، وأعطيكم فتشكرون.. فلتتنبه لخطواتك في قادم الأيام، واعلم أني أعمل لصالحك، فكفر كهذا يمكن أن يطيح بك وبأسرتك.. أنت لا تعرف جزاء الكافرين!.

الجليس: يا إلهي خفف عني هذا الألم، وارحمني من هذا العذاب.

الملك: **(يومئ للكاهن فيعطيه شراباً)** إليك هذا الترياق (يشرب)، بعد قليل ستنام في هدوء، وتصحو من النوم في دارك وعلى فراشك وبلا ألم. **(يشير للحارس فيخرج بالجليس)**، قادر أنا على كل شيء وأي شيء. وما أشقى من يكفر بي!.. هذا الرجل أفقدناه بصره ليُعْمِل بصيرته **(للساحر)** فرغنا لك.. يا ساحرنا الكبير.

الساحر: مولاي.. كبرت سني، ووهن العظم مني، وولت طاقتي، وخارت قوتي فاضطربت ذاكرتي، وهدّتني الشيخوخة، ولم أعد أقدر على العمل. اؤمر لي يا مولاي بغلام من رعاياك، نبيه وذكي يأخذ عني السحر قبل الموت الذي أنتظره، وأفضله بعد هذا العمر الطويل بعد رحيل الزوجات والأبناء ومعهم عافيتي وصحتي.

الملك: لو شئت رددنا عليك ما فقدت.

الساحر: بل شبعت يا مولاي من هذه الحياة التي بلا نشاط، وأرغب صادقاً في الخروج الآمن منها.

الملك: وأي غلام تريده ليخلفك؟

الساحر: أعرف غلاماً ذكياً وفطناً يا مولاي، لكنه من

أسرة رقيقة بسيطة. تضيق به وبنشاطه الزائد وقدراته الفائقة.

الملك: فما يمنعك من استخدامه إذاً؟

الوزير: أمر مولاي.

الملك: أمرت.

الساحر: **(راكعا)** الحمد لك لك.. والشكر لك لك.

(بؤرة ضوء على تمثال الملك بردائه الذهبي مع تعتيم باقي عناصر المشهد)

المشهد الثاني

(بيت الساحر)

(تتسع البؤرة الضوئية مجددا ليظهر الساحر متعبدا إلى تمثال الملك، وخلفه الغلام الذي سرعان ما يفلت فور يقينه باستغراق الساحر.. الذي يخرج عن طقوس عبادته ويبحث عن الصبي حتى يراه)

الساحر: أعطني هذه العصا الغليظة، واقترب مني أيها الغلام الفاسد الضال الشقي!.

الغلام: العصا لمن عصى، وأنا لم أعصك يا سيدي.

الساحر: ولكنك عصيت الملك ولم تخلص في عبادته.. وأنا في الواقع أفضل أن أضربك على أخطاء لم تخطئها إذ لا جدوى من الضرب بعد ارتكاب الذنب.

الغلام: ولكنك تؤذي جسدي بضربك القاسي الموجع.. الذي لا يناسب سنك.

الساحر: العصا التي تؤذيك تلك هي أول أدوات الساحر وأهمها، نحن بالحبل والعصا نصنع المعجزات.

الغلام: لو لم أكن مهووسا بالسحر لما تحملت معاملتك الغليظة.

(طرقات بالباب يدفع بالغلام ليفتح الباب فيذهب باكيا)

العابد: (**داخلا**) لم تبكي يا غلام؟

الساحر: صديقي العابد.. أهلا ومرحبا بك.

العابد: لماذا أبكيت غلامك؟ أيها الساحر الغليظ.

الساحر: أربيه وأعلمه (**هامساً للعابد**) لا تعره اهتماما.

العابد: لا أقدر على رؤية طفل يبكي (**للغلام**) ماذا بك يا غلام؟

الغلام: ضربني الساحر الشرير بلا سبب.

العابد: ولم فعل ذلك؟

الغلام: يقول: إنه يعلمني.. ألا تعليم بلا ضرب يا سيدي؟

العابد: بلى! يوجد طبعاً.

الساحر: وكيف أعلمه إذاً؟

العابد: بالحب.. بالود والتفاهم.. الحب يصنع المعجزات.. أصلح ما بينك وبين غلامك.. تربحه ويحبك.

الغلام: أنا لا أحب هذا الساحر.

الساحر: (**غاضباً**) وأنا أيضاً لا أحبك (**يخرج غاضباً**).

العابد: إن كنت لا تحبه حقاً فلمَ تصاحبه؟

الغلام: ليتني أقدر أن أتركه.

العابد: ما أجبرك على البقاء؟

الغلام: شروني من أهلي الفقراء واستعبدوني بالمال.

الساحر: وتم هذا بمباركة الملك الذي لا صد لأوامره ولا رد.

العابد: (**للغلام**) اعلم يا ولدي أن الملك مخلوق مثلنا ومشيئته كمشيئتنا تماماً، ولا قدرة لأحد أمام

مقدرة الخالق.. إلهنا الأعظم الذي أوجد كل شيء في الأرض والسماء.

الساحر: كيف تجرؤ على قول ذلك أمام حدث كهذا تحرضه على الكفر بالملك!؟

العابد: ما الملك يا صديقي إلا مخلوق خلقه خالقي وخالقك وخالق كل شيء.

الغلام: هل تعني يا سيدي أننا نستطيع الخروج عن قدر الملك؟

الساحر: لو هربت من قدره فإنما تهرب إلى قضائه.

العابد: أوشكت أن تقضي أيها الساحر الكبير ولا زلت تردد هذه الخرافات.. **(للغلام)** أعمل عقلك يا بني وتحيز إلى ما تدلك عليه فطرتك الذكية النقية.

الغلام: كيف أفعل؟

الساحر: كلامك هذا يحرض غلامنا علينا، ويعرضنا لغضب الملك.

العابد: الملك الإله!؟.

الساحر: **(يصرفه بلطف)** إذاً غادرنا بلا مطرود الآن.. ولا تعطلنا عن العمل.

العابد: اسمع يا صديقي الصغير! تفكر ما استطعت في ملكوت الله، وإن أردت مزيداً من العلم فلك عليَّ حق التعليم مما علمني ربي.

الغلام: هل تعلمني السحر!؟

العابد: لا، بل أعلمك ما هو أعظم من أي سحر.

الغلام: وهل يوجد ما هو أهم من السحر؟

الساحر: في السحر صالحك يا بني.. السحر يمنحك الجاه والمال والقوة والنفوذ، وبه تفوز برضا سيدي وسيدك وسيد الكون.. ملك البلاد.

العابد: السحر يا ولدي ضرر ومفسدة..

الساحر: **(بخوف)** غادر بيتي من فضلك فوراً.

العابد: سمعاً وطاعة أيها الساحر الصديق السابق.

(يخرج العابد هادئاً)

المشهد الثالث

(الطريق إلى المدينة)

(بؤرة ضوء على تمثال الملك ذي اللباس الذهبي، وإظلام على باقي عناصر المشهد. وعندما تعود الإضاءة نكون قد انتقلنا إلى طريق المدينة حيث وحش عظيم يسد الطريق والخوف والهلع مرسومان على وجوه الناس)

الغلام: **(يسأل أحدهم)** ماذا يجري هنا يا سيدي؟

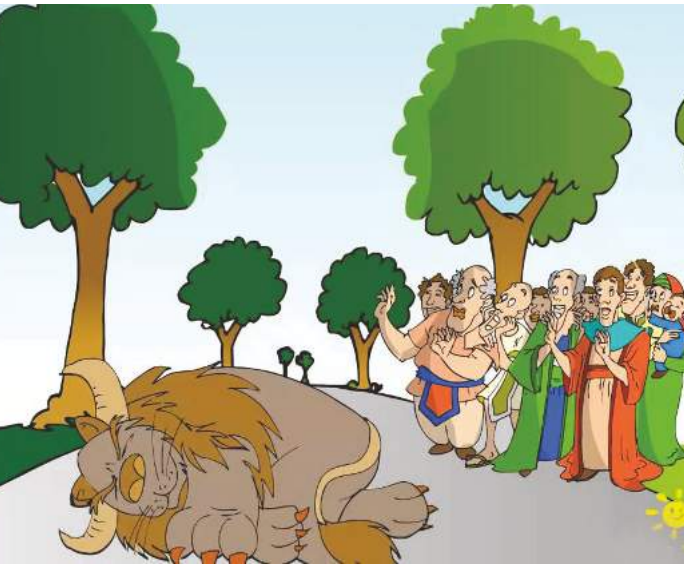

رجل١: إنها دابة عملاقة تسد الطريق فتمنعنا من التنقل.

رجل٢: الدابة تخيف الصغار وترهب الكبار.

رجل٣: ولا ندري بم نردها؟

رجل١: كلما مر الوقت زاد خطرها.

الغلام: **(لنفسه)** أميز الآن بين العابد والساحر (يتناول حجرا من الأرض ثم يدعو الله): اللهم إن كان أمر الساحر أحب إليك من

أمر العابد فاقتل الدابة بهذا الحجر! **(يلقي حجراً على رأس الدابة فيخطئها، فيتناول حجرا آخر).**

اللهم إن كان أمر العابد أحب إليك من أمر الساحر فاقتل الدابة بهذا الحجر! **(يلقي الحجر على رأس الدابة فيصيبها ويقتلها، فيردد بهمس):** آمنت برب العابد.. رب العابد هو ربي **(تسيطر الدهشة على الغلام وعلى كل من حضر من الناس، ولاسيما الشباب)**

شاب١: يا للعجب! لقد قتل الدابة الكبيرة بحجر صغير.

شاب٢: نعم رأيته بعيني قتلها بحجر.. أمر مدهش.. إنه ساحر.

شاب٣: نعم هو ساحر صغير.

رجل١: هو غلام ساحر الملك.. أعرفه.

شاب١: أحسنت أيها البطل!.

شاب٢: أحسنت أيها الساحر!.

الجميع: سلمت يداك!.

الغلام: **(ناظرا إلى السماء)** الآن اطمأن قلبي وعرفت طريقي.. طريق الرب الحق الذي أجابني لما سألته، وسمعني عندما دعوته والذي أشهد أنه إلهي الذي هداني فأحببته.

شاب٣: انظر.

شاب١: ترى ماذا يحدث؟

رجل٢: لا تبال بما يفعل، ولا تدهشك أفعاله، فإنما هو غلام ساحر، وللسحرة في أفعالهم أحوال يصعب أن يدركها العامة.

(بؤرة ضوء على تمثال الملك بلباسه الذهبي مع إظلام باقي العناصر، وعندما تعود الإضاءة نكون انتقلنا إلي خلوة العابد)

المشهد الرابع

(خلوة العابد بالصحراء)

الغلام: كيف أصبحت سيدي العابد؟

العابد: كما أصبح وأمسي دائما.. حامداً خاشعاً شاكراً الله على كل شيء.. راضياً، **(ملاطفاً)** ظننتك شغلت وانصرفت عني؟

الغلام: بل زهدت في السحر وعلومه، وصرت معك إلى النهاية، وصلت بإيماني إلى نقطة اليقين.

العابد: علمت بما حدث يا بني.

الغلام: استعنت بالإله فأعانني فأذهب عني كل الريب.

العابد: إذاً فقد حدث ما حدثني به قلبي.. منذ قابلتك وأنا أشعر يا بني بأن معجزة لم يحققها الكبار.. ستجري على يديك.. لحكمة لا يعلمها إلا الله.

الغلام: حقا يا سيدي.

العابد: نعم حقا يا بني! أنت اقتربت من الله بما

عملت لصالح الناس، ولم تنعزل عنهم وتتعبد منفرداً مثلي ومثل غيري من العباد.. لكن اعلم أنك ستبتلى بفعل ذلك، ولذا أسألك ألا تخبر عني ما استطعت، فانا رجل هرم لا أقدر على تحمل العذاب.

الغلام: أعدك أن أفعل ما استطعت.

(بؤرة ضوء على تمثال الملك بثوبه الذهبي، وبينما كل شيء مظلم، ننتقل إلى منزل الجليس، ثم تعود الإضاءة)

الحارس: الساحر الصغير يا سيدي.

الجليس: أدخله فوراً (**ينهض ويستقبله**) مرحبا بك.

الغلام: أمرك يا سيدي.

الجليس: اعلم يا ولدي أنني في أمس الحاجة إلى علمك لإعادة نور بصري الذي سلبني إياه الملك الظالم.

الغلام: حقا هو من فعل ذلك؟

الجليس: نعم هو من فعل ذلك.

الغلام: (يتألم لما يرى) هذا شنيع يا سيدي!.

الجليس: هو كذلك (**هامساً**) إنه بلاء.. أرجوك أن ترفعه عني.

الغلام: سأبذل ما استطعت يا سيدي.

الجليس: أنقذني إذاً أيها الساحر الصغير.

الغلام: ما أفعله ليس بسحر، وإنما هو فضل من الله مكنني منه أساعد به من يطلبه لأمر لا يعلمه إلا هو.

الجليس: ماذا قلت!؟

الغلام: قلت: إن ما يجريه المولى على يدي من معجزات لا دخل للسحر بها.

الجليس: أعد لي نور بصري أعطك ما طلبت من المال.

الغلام: ما لي وللمال.

الجليس: أعبدك إلى الأبد.

الغلام: لا عبادة لعبد من عباده.. أنا أحوج منك إليه.

الجليس: ألست فاعل المعجزات؟

الغلام: حاشا لله أن أكون أنا المسكين الضعيف إلى الله.

الجليس: الله؟! أتعبد إلهاً غير الملك؟

الغلام: نعم أعبد الله العليم الحكيم.. ربي وربك ورب الملك.. إله الناس.

الجليس: أإلهاً غير الملك تعبد؟ أين وجدته؟

الغلام:هو رب السماوات والأرض لا يخلو منه مكان ولا زمان.. إله خالق واحد حي لا يموت.

الجليس: أرني إياه.

الغلام: تراه بصيرتك، ولا يدركه بصرك..

الجليس: ألأني لا أبصر!؟

الغلام: كلنا نراه ولا نراه.. هو خالق كل شيء.. يميت ويحيي وهو حي لا يموت.

الجليس: أصدقك أيها الغلام.. وأشهدك أنني أؤمن بربك إيمانا لا شك فيه ولا عودة عنه متى رد إلي بصري.

الغلام: اللهم إن كنت تعلم أن عبدك هذا صادقٌ في عزيمته، مؤمنٌ بك، موقن من قوتك؛ فرد عليه بصره!.

(مؤثرات تصويرية مناسبة مع بقعة ضوء مكثفة على تمثال الملك بلباسه الذهبي. تتحرك بعد لحظة البؤرة الضوئية إلى الجليس الذي يفرك عينيه بشدة ثم يصرخ سعيدا لعودة الإبصار)

الجليس: لقد أبصرت! شكراً لك يا بني.

الغلام: بل اشكر الله الذي شفاك.

الجليس: شكرا لله.

(يخر الجليس ساجداً أمام تمثال الملك، ثم ينتبه لما يفعل! فيستدير بسرعة معطيا ظهره للتمثال ويسجد ناظرا إلى السماء، ويرتكز الضوء مجدداً على تمثال الملك بلباسه الذهبي حتى إذا عادت الإضاءة كاملة نكون قد انتقلنا إلى قاعة العرش)

المشهد الخامس

(قاعة العرش)

الملك: (**غاضباً**) ما تقص عليّ مروع.. كيف تجرؤ أنت أو غيرك أن تنتقل إلى عبادة غيري دون إذن مني أو أمر.

الجليس: الله غير البشر يا مولاي، هو خالق، هو واحد، هو أحد، هو ربي ورب كل الناس، هو خالق كل شيء في الأرض وفي السماء.

الملك: ما عرفت لكم من إله غيري.. أنا رب الناس.. إله الناس.. ملك الناس.

الجليس: أنت يا مولاي الملك.. إنسان مثلنا تولد وتموت شأن كل ما خلق الله.

الملك: من أخبرك بهذا؟

الجليس: لن تصدق! إنه غلام أرشدني وأرشد كثيراً من الناس إلى طريق الحق.

الملك: أي غلام تعني؟

الجليس: الغلام الذي كان يتعلم السحر عند كبير السحرة يسمونه الساحر الصغير.

الملك: لكنه طفل صغير.

الجليس: نعم سيهز عرشك العظيم هذا.. طفل صغير.. لكنه أرشدني إلى طريق النور، وأضاء ظلمات حياتي.

الملك: واضح أن العمى انتقل من بصرك إلى بصيرتك.

الجليس: (**بتحدٍ**) لقد رأيت نور الحق، ومن عرف نوره لا يخشى الباطل أيا كان.

الملك: (**ينادي غاضباً**) أيها الجلاد التعس.

الجلاد: (**يدخل راكعاً**) أمر مولاي الحاكم الإله.

الملك: (**يمهله**) هل ترجع أم تموت ميتة لا يتمناها وحش جبار لعدوه؟

الجليس: اعلم أنك لن تضرني إلا بشيء قد كتبه الله عليّ.

الملك: إذاً أيها الجلاد خذه إلى المنشار الكبير، اجعله قطعاً وابدأ بالأقدام.. مرحبا بك في فريق الكافرين الخارجين علينا والمارقين.. يلقى

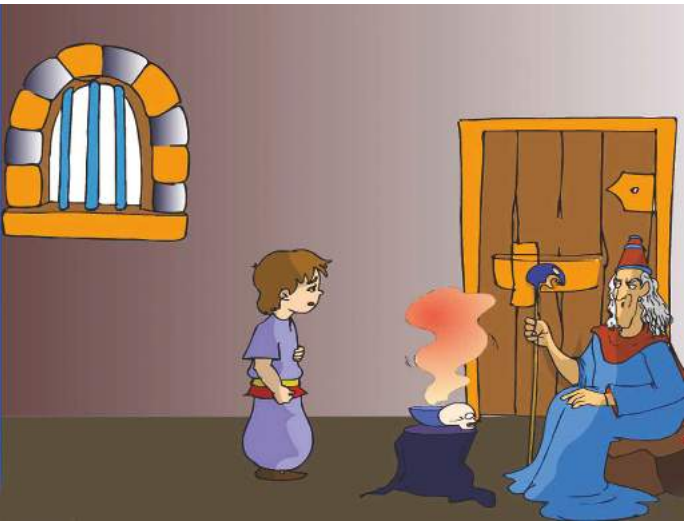

للكلاب الضالة في ساحة المدينة، ويذكر ما أصابه لكل الناس ليكون عبرة لمن يعتبر.

الجليس: اقض ما أنت قاض، والذي أمري بيده لا تقبل أن تعود إلى الظلام عيون رأت نور الله.. نور السماوات والأرض.

الملك: هيا أيها الجلاد، اذهب فوراً.

الجلاد: سمعاً وطاعة يا مولاي.

الملك: (**ينادي غاضباً**) أيها الحاجب.

الحاجب: (**يدخل**) أمر مولاي الملك.

الملك: أحضر غلام الساحر فوراً.

(يواجه الملك تمثاله ويجري بينهما هذا الحوار)

الملك: إن كنت من البشر.. إن كنت كذلك حقاً.. فلم حرمت طيلة حياتي من العيش مثلهم، آكل كما يأكلون، وأشرب كما يشربون، وأتصعلك في الطرقات كما كنتم تفعلون!؟ لم عزلت عن الناس وأبعدت عنهم ما دمت منهم!؟ وإن لم أكن إلهاً بعد كل هذه المعاناة فما أكون!؟ ولم ضاع عمري في هذا الخداع والزيف!؟ ومن ضيعه!؟ من أكون؟

التمثال: أنت إله.

الملك: لكني أمرض.. إله يمرض!؟

التمثال: أنت إله من نسل إله.. أبوك إله وأمك إلهة.

الملك: لكنهم ماتوا وسأموت.. أيموت الإله!؟

التمثال: أنت إله.

الملك: أأنا إله وأبي إله وجدي إله و...!؟

التمثال: لا إله إلا أنت اليوم.. كن إلهاً؛ تكن إلهاً.

(يدخل الحاجب وبصحبته الغلام)

الحاجب: مولاي الملك.. غلام الساحر.

الملك: **(للغلام مبادراً)** إذا لم تصدقني القول سأمزق جسدك كما فعلت بالجليس.

الغلام: المؤمن لا يكذب.

الملك: من الذي دعاك إلى الإيمان بغيري والكفر بي؟ قلت: إنك لن تكذب.

الغلام: إنه رجل عابد.

الملك: **(بلطف كأنه وجد رأس الأفعى)** أين يقيم؟

الغلام: لن أخبرك بذلك.. وعدته ألا أخبر عنه.

الملك: سأعذبك ثم أقتلك.

الغلام: اقض ما أنت قاض، فالموت أحب إليّ من هذه الحياة الفانية.. أحب لقاء الله..

الملك: إذا أنت سعيد في حضرتي.

الغلام: أنت عبد مثلي يا سيدي، إنني أتحدث عن إله حق خلقني وخلقك، وخلق كل شيء في الأرض والسماء، ولا فضل لأحدنا على الآخر إلا بتقوى الله وخدمة عباده.

الحاجب: **(يدخل ومعه العابد)** ها هو مصدر الفتنة يا مولانا، وجدناه يعيش وحيدا بكوخ صغير بأطراف المدينة.

الغلام: لم أخبر عنك سيدي العابد.

العابد: أعلم يا بني.. لكنها إرادة الله الذي لا ترد له إرادة.. وقد ملأ قلبي بالرضا والصبر كما لم أكن أتوقع.

الملك: أنت من يدعو إلى الإيمان بإله غيري ابتغاء الفتنة.. تحرض عبادي وتفتنهم؟

العابد: دعوت إلى الحق.

الملك: هل تستمر وأنت ميت؟

العابد: جسد من صنع الله بذل في سبيل الله.

الملك: تعني أنه لا سبيل لتوبتك.

العابد: هداني ربي من زمان..

الملك: **(صارخاً)** أيها الحاجب اقتلوه فوراً، واقتلوا معه الغلام.

الحاجب: **(هامسا)** مولاي الملك! الغلام صغير على العقاب، وقد اشتهر أمره، وكثر أتباعه، خصوصاً ممن هم في مثل عمره إلى حد أنه يحتاج إلى ميتة مناسبة.

الملك: سأقتله.. ولو اضطررت إلى قتل الناس جميعا.

(يستدير الملك نحو تمثاله، وتتركز الإضاءة عليهما، بينما يهم الحاجب أن ينصرف بالغلام؛ يثبت المنظر ونسمع صوت الملك)

الملك: **(بتحد)** إذاً اصعدوا بالغلام إلى أعلى جبل بالمدينة، واسألوه أمام الناس أن يعود إلى

عبادتي، فإن عاد فبها، وإن ظل صابئاً فألقوه من قمة أعلى جبل.

العابد: **(للغلام)** أشم ريحاً زكية.. ما أزكاها يا بني!.. هل تشعر بها؟.. ريح الجنة!.

الغلام: من بعيد يا سيدي، من بعيد جدا، يبدو أنه لا زال أمامي بعض الوقت.

(ترتكز الإضاءة كما هو متبع على تمثال الملك، ثم تنتشر الإضاءة من تمثال الملك فنرى الغلام عائدا بلا حراسة)

الغلام: كما ترى أيها الملك، لقد كفاني ربي شرك وشر رجالك الأشرار، سقطوا من فوق الجبل.. وعدت سالماً.

الملك: ألا زلت تعتقد بإله غيري!؟

الغلام: نعم أؤمن بالله الذي أمر الجبل أن يمنع عني الموت ليحطم إرادتك.. مظهر قوتك وفخرك أمام الناس.

الملك: **(ينادي غاضباً)** يا حراس.

حارسان: أمر مولانا الحاكم الإله.

الحاكم: ألقوا الغلام في البحر، اقتلوه هذه المرة غرقاً.

(إظلام تدريجي مع بقاء البقعة الضوئية على الملك وتمثاله)

صوت الملك: سنرى هذه المرة ما يمنع البحر من التهامك.. سأغرق في الماء هذا الكابوس العظيم.. من غير المعقول أن أنتبه فجأة لأجدني متجردا من هذه الصفات العظيمة.. أنا إله أعرف ذلك.. أنا أحيي وأميت، وأرزق وأمنع.

صوت الغلام: **(يدعو)** اللهم نجني من القوم الظالمين.

(يغمر النور المكان)

الغلام: **(داخلا بثقة ويقين)** أغرق الله حاشيتك ونجاني منك.. لست قاتلي.

الملك: بل أنا قاتلك أيها العاصي الخارج **(صارخاً)** هاتوا سيفاً.

الحارس: هاك سيفي يا مولاي.

الملك: استقبل الموت يا غلام.

(يحاول الملك تحريك السيف فلا يتحرك فينظر حوله في خجل وريبة)

الغلام: لن أموت إلا بإذن الله.

الملك: كيف!؟

الغلام: إن أردت موتي.. فاجمع الناس.

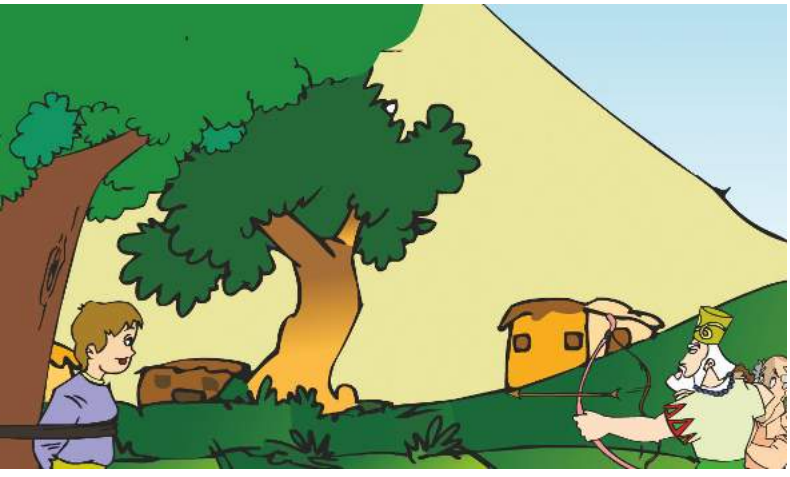

الملك: وهل ستقتل إن جمعت الناس؟

الغلام: نعم.

الملك: وكيف أصدقك!؟

الغلام: لأنني لم أكذب عليك من قبل.

الملك: **(مؤمناً)** نعم سأقتلك حفاظا على ملكي، **(مستفسراً)** سأقتلك بالسيف!؟

الغلام: بل بالسهم وأمام جميع الناس وحسبما أملي عليك.

الملك:**(لنفسه بعد أن ترتكز بقعة الضوء عليه مع**

تمثاله) سأفعل أي شيء من أجل السلطان.

(ينادي الحاجب) أيها الحاجب اجمع الناس بالميدان.

صوت المنادي: أيها الناس الملك الإله يأمركم جميعاً بالتجمع بالميدان.

(يتكرر النداء، بينما تنحصر الإضاءة على وجه تمثال الملك بثوبه الذهبي، ومع عودتها يرى الملك والغلام وحولهما حراس وحشد من الناس)

الملك: **(بحذر)** لقد احتشد الجميع لرؤية موتك.

الغلام: **(بلطف)** نعم، هيا إذاً نبدأ العمل.. لتأخذ سهماً وتضعه في القوس.

الملك: **(يجهز السهم)** ها هو السهم.. وها هو القوس!

الغلام: الآن.. ولكي لا تخيب ظن هؤلاء الناس فيك؛ عليك قبل أن ترميني بالسهم أن تقول.. بسم الله..

الملك: أي إله؟!

الغلام: رب الغلام.

الملك: **(مستنكراً)** أنا أقول!؟

الغلام: نعم **(مؤكداً)** بسم الله رب الغلام.. وإلا شهد هذا الحشد بأنك لا تستطيع قتلي.. فكفروا جميعا بك.

الملك: **(بعد لحظة تفكير طويلة يتمتم)** بسم الله.

الغلام: ارفع صوتك.

الملك: باسم الله رب الغلام. **(يطلق السهم)**

الغلام:**(بألم جميل ورضا ويقين)** أشهد أنه أنت ربي، لا إله إلا الله، لا إله إلا أنت.

(يموت الغلام فيسقط تمثال الملك بلباسه الذهبي)

الجميع: **(يرددون)** لا إله إلا الله.

(يتكرر حتى يتحول إلى أصوات عظيمة مع انحصار الإضاءة على الملك وتمثاله)

الملك: هل جننتم!؟ كيف تؤمنون بإله غيري!؟ لقد كفرتم بي أيها العبيد الرعاع وجزاء الكفار الموت.. أيها الحراس!..

(تعود الإضاءة)

الحراس: أمر الإله الملك.

الملك: احبسوهم في الأخدود.

صوت القرآن: قتل أصحاب الأخدود.

الملك: وأشعلوا فيهم النار.

صوت القرآن: النار ذات الوقود.

الملك: **(يقعد)** وأنا قاعد هنا.

صوت القرآن: إذ هم عليها قعود..

الملك: أشهد عذابهم بنفسي.

صوت القرآن: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود.

(يردد الملك كلماته دون أن نسمعها وعلى شاشة عرض كبيرة نشاهد تجسيداً لتفسير هذه الآيات الكريمة. ينتهي بالتصديق)

- ستار الختام-

شعر حيدر الغدير.. دراسة أسلوبية

رسالة ماجستير

الباحث: محمد فيصل الودعاني

إن خدمة الأدب الإسلامي مهمة شريفة وسامية يتطلع إليها المرء، راجياً أن يقدم في هذا السياق شيئاً ولو قليلاً يكشف عن جماليات هذا الأدب، ومن هنا نشأت في ذهني دراسة شعر شاعر يتمثل الروح الإسلامية في شعره، ويتبنى القيم التي حث عليها الشارع الحكيم، ويحمل هم أمته المكلومة، غير مغفل للجوانب الجمالية التي تصنع شعرية الشعر، وتحلق به في سماء الإبداع، فوقع الاختيار على الشاعر حيدر الغدير الذي وجدت في شعره ما يحرك كوامن النفس، ويثير الإعجاب. ولئن كانت هذه المهمة السامية هي الباعث الأساس لهذه الدراسة فإن ثمة بواعث أخرى أسهمت في استثارة همتي لارتياد هذا البحث، منها:

أولاً: غزارة الإنتاج الشعري للشاعر حيدر الغدير، حيث بلغ شعره نحو ستة آلاف بيت، وبلغت قصائد دواوينه المطبوعة نحو مئتي قصيدة، غير قصائده المنشورة في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية، وقصائده المخطوطة.

ثانياً: عدم وجود دراسات أكاديمية سابقة تعنى بنتاج الغدير الأدبي في حدود اطلاعي.

ثالثاً: بروز خصائص أسلوبية لم يتطرق لها باحث من قبل.

رابعاً: أن هذه الدراسة سوف تفتح الباب أمام الباحثين لتناول هذا الشاعر بتفصيل أكثر، فالشعر الوطني والديني وغيرهما موضوعات ثرة في شعر حيدر الغدير استغرقت مئات الأبيات من شعره وتستحق الدراسة المنفصلة المتعمقة.

أخيراً: أهمية المنهج الأسلوبي في دراسة نتاج الشعراء.

وقد سرت في هذا البحث وفاق خطة اقتضتها طبيعة الدراسة، فجاءت مقسمة إلى أربعة فصول مسبوقة بتمهيد؛ فأما التمهيد فكان أشبه بالعتبة التي سألج منها إلى فضاءات البحث، فتحدثت فيه عن الشاعر، وأهم العوامل المؤثرة في شعره. وبعد التمهيد شرعت في فصول البحث الأربعة.

جاء **الفصل الأول** خاصاً بالمستوى الصوتي، واقتضت المنهجية تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين هما: موسيقا الحشو،

وموسيقا القافية، وما يندرج تحتهما من أقسام.

أما **الفصل الثاني** فقد تناولت فيه المستوى اللفظي، وقسمته كذلك إلى مبحثين الأول عن العلاقات الدلالية، والثاني يخص الحقول الدلالية، وقد سعيت إلى وصف هذه العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وحاولت الكشف عن طبيعة الألفاظ التي تشيع عنده والدلالات التي تقترن بها، فضلاً عن علاقات مكونات كل حقل بعضها مع بعض مما يمكن أن يفضي إلى جوهر المعنى.

وجاء **الفصل الثالث** خاصاً بالمستوى الأفقي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

الأول جعلته عن الانزياح التركيبي، ويشتمل على التقديم والتأخير والالتفات والحذف.

والثاني تحدثت فيه عن التناص بقسميه الداخلي والخارجي.

والثالث أفردته لدراسة الأساليب: الجمل الإنشائية، والجمل الخبرية.

وآخر الفصول كان **الفصل الرابع** الذي جاء تتويجاً للفصول السابقة من خلال تصديه لدراسة المستوى التصويري في شعر الغدير، الذي يمثل جوهر الشعر، وأهم وسائط الشاعر في نقل تجربته والتعبير عن واقعه.

وقد اقتضت طبيعة هذا الفصل أن يقسم إلى صور مستقلة قصيرة، ويقابلها صورٌ مركبةٌ أطول منها، وأخرى طويلة ممتدة تتعدد فيها الصور أكثر من سابقتها حتى إنها تشمل جزءاً كبيراً من القصيدة، بل قد تشمل القصيدة كلها مما يمكن أن يطلق عليه «القصيدة اللوحة أو المشهد».

الباحث: محمد فيصل الودعاني

وقد ذيلت الدراسة بخاتمة لخصت فيها أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وأشعر أنها جديرة بالاهتمام من قبل الباحثين في سياق الدراسات الحديثة.

وقد عولت في بحثي هذا على المنهج الأسلوبي، لكونه منهجاً نقدياً نصياً يدرس الظواهر اللغوية جميعها، من أدنى مستوياتها الصوت المجرد؛ إلى أعلاها وهو المعنى، ثم هو يدرسها في حالة البساطة، وفي حالة التركيب، ويسعى إلى الموضوعية في الحكم على النصوص الأدبية، ويحلل النصوص بمستويات لغوية مختلفة، بغية اكتشاف جماليات النص، وإبراز السمات الأسلوبية.

وبعد: فقد كانت هذه الدراسة محاولة لاكتشاف شيء من الأبعاد الجمالية والدلالية في شعر الغدير انطلاقاً من المنهج الأسلوبي، وما محاولتي هذه إلا خطوة يسيرة ضمن خطوات أخرى في خدمة الأدب الإسلامي ورواده راجياً ألا تتوقف.

وحري بي أن أعترف وقد وصلت إلى نهاية المطاف بأنني كنت المستفيد الأول من هذه الدراسة فقد أسهمتْ في رفع مستوى إدراكي المعرفي والجمالي.

نتائج وتوصيات:

وقد خرج البحث بنتائج وتوصيات أراها مهمة وأثبتها في خاتمة هذا البحث منها:

أولاً: تكمن في الخطاب الشعري ملامح فنية، وسمات أسلوبية، تنقل الخطاب إلى حيز التميز والإجادة، وعلى الباحث الأسلوبي الوقوف عند هذه الملامح لإبراز سماتها الدلالية، والصوتية،

وبيان مكانتها ضمن الصياغة الشعرية.

ثانياً: تمكن الشاعر من تطوير المفردة الملائمة للحالة الشعورية، بالإضافة إلى أدائها المعنوي السليم، على أن الصخب الخطابي والتقريرية المباشرة كاد يستأثر بشعر الشاعر، ومرد ذلك إلى الواقع المؤلم، والمعاناة المِضة الناتجة عن عنف المواجهة، وتجاوزات الاحتلال لديار الإسلام وتحدياته.

ثالثاً: لا زال شعر الغدير بحاجة إلى مزيد بحث ودراسة من خلال اعتماد المناهج النقدية الحديثة، فأقترح أن يدرس شعره دراسة حجاجية بوصفه شعراً يدافع عن قضايا، ويتبنى وجهة نظر، فقد يتوصل الباحث إلى نتائج جديدة تتعلق بالشاعر وشعره.

شكروعرفان:

وخليقٌ بي في نهاية كلمتي هذه أن أعترف لأهل الفضل بفضلهم، إذ لم يكن يتأتّى لهذا البحث أن يرى النور لولا فضل الله ومنّه وتوفيقه، ثم جهود نفر من الذين أنفقوا الوقت والجهد والشعور الصادق من أجلي، وإني مدين لهم بالشكر والعرفان، وعلى رأسهم والداي الكريمان اللذان أمطراني بدعواتهما الصادقة وتشجيعهما المستمر، كما أشكر كلية اللغة العربية ممثلة بقسم الأدب، الذي وفر لي أجواءً مثالية للبحث والاستزادة من خبرات منسوبيه الكرام.

وأشكر أيضاً أستاذيَّ الكريمين اللذين شرفاني بالتصدي لهذا البحث وقبول مناقشتي فيه، وأفاداني بملحوظاتهما القيمة التي

أقامت أود الدراسة، د.عبدالكريم بن عبدالله العبدالكريم، ود.حسن النعمي.

أما الرجل الذي رعى هذا البحث جنيناً، وغذاه مولوداً ويافعاً، ولم يكن يبخل على صاحبه بالتوجيه والإرشاد، باذلاً وقته وجهده وعلمه في سبيل ذلك، فإنني أعلم أنه لا ينتظر مني شكراً ولا ثناءً، فقد كان تمام هذا البحث أبلغ كلمة شكر يتلقاها، ومع هذا فأراني ملزماً يدفعني الاعتراف بالجميل إلى شكر أستاذي د.محمود عمار على ما قدم لي من عون وتوجيه طيلة عملي، سائلاً الله عز وجل أن يجعل ذلك في صحيفة أعماله. ولا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل والدعاء الخالص لمن وضع يدي على جماليات الأدب الإسلامي، وحبب إلي هذا الطريق النبيل، أستاذنا الدكتور وليد قصاب جزاه الله عني خير الجزاء.

وبعد، فقد كانت هذه الرسالة جهد المقل، واجتهاد من يُتوقعُ خطؤه قبل صوابه، وأسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه متوجاً ذلك كله بشكر الله على عونه وتوفيقه.

وقد نوقشت الرسالة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بتاريخ ١٤٣٧/٧/١٤هـ، وتألفت لجنة المناقشة من الأساتذة: د. محمود عمار مقرراً، ود. حسين النعمي عضواً، ود. عبدالكريم العبدالكريم عضواً، وقد منحت الطالب محمد بن فيصل الودعاني الماجستير بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية ■

أُنسُ الوطن

وطنٌ غدونا بعدَهُ أغرابا ... ما غابَ عن أحداقِنا ما غابا

لا نرتضي إلاهُ يوماً موطناً ... فمُقامنا إلا به ما طابا

أشهى النعيمِ بغيرِه لا يُشتهى ... فبغيره نجدُ النَّعيمَ عذابا

ذرَّاتُ تُربتِهِ جُسومُ جُدُودِنا ... فهو الأحبُّ منابتاً وترابا

لا يعتبنَّ على محبَّةِ أرضنا ... أحدٌ، ففيها لا نُقِرُّ عِتابا

لولا محبَّةُ كلِّ حرٍّ أرضَهُ ... لرأيتَ أرضَ العالمينَ يبابا

هي حكمةٌ للهِ حبَّبَ أرضَهُ ... لعبادِهِ فغدوْا بها أحبابا

وأحبُّها للحرِّ مهبِطُ رأسِهِ ... فهي المُقيمةُ فيه مهما غابا

ناجَتكَ يا ربَّاهُ روحي ترتجي ... من بحرِ جودِكَ للشآمِ إيابا

هلا إليها يا إلهي نظرةٌ ... أكرمْ بها بعدَ الغيابِ ثوابا

فأُمرِّغُ الخدَّينِ عندَ بيوتها ... ومن التُّرابِ أُكحِّلُ الأهدابا

أولستَ واهِبَ كلَّ داعٍ سُؤلَهُ ... وسواكَ ربِّي لا أرى وهَّابا

حاشاكَ ربِّي أن تَرُدَّ توسُّلي ... فاجعلْ مآبي للشآمِ جوابا

مصطفى عكرمة- سورية

إعداد: شمس الدين درمش

لاهور- القاهرة- د.سعد أبو الرضا:

المؤتمر العالمي لشاعر الشرق والإسلام محمد إقبال

عقد بلاهور في دولة باكستان يومي السبت والأحد ٢٩- ٣٠ أكتوبر ٢٠١٦م، الموافق ٢٨- ٢٩ محرم ١٤٣٨هـ، المؤتمر العالمي للشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال.

الجهات المشاركة في المؤتمر:

وقد أسهم في إقامته المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بباكستان بالتعاون مع حكومة البنجاب إحدى الأقاليم الأربعة لدولة باكستان، والجامعة الأشرفية بلاهور.

المشاركون في المؤتمر:

وشارك في هذا المؤتمر كثير من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية والإسلامية من باكستان، ومن خارجها مثل مصر، والأردن، واليمن، والجزائر، وجنوب إفريقيا، والهند، وماليزيا، وقد بلغ عدد البحوث المقدمة بالعربية واحداً وعشرين بحثاً، ومثلها تقريباً من أهل باكستان والهند بالأردية.

وقد تناولت هذه البحوث جهود محمد إقبال في خدمة الإسلام والمسلمين، ودراسة دواوينه الشعرية، واهتمامه بالقضايا السياسية والاجتماعية والفنية، والإنسانية بصفة عامة للمسلمين.

جلسات المؤتمر:

وقد تم ذلك خلال تسع جلسات، جلسة الافتتاح التي بدأت بالقرآن الكريم، ثم بعض الابتهالات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وحضرها مسؤولون من حكومة البنجاب، ومن لاهور، ورئيس جامعة الأشرفية الشيخ فضل الرحيم، وهو نفسه رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي

العالمية بباكستان، كما حضرها كثير من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وغيرهم من أنحاء العالم، ومن أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية والإسلامية، ثم تتابعت الجلسات الثماني في يومي المؤتمر، اثنتان في الصباح ومثلهما في المساء، بالنسبة للرجال، وعقدت جلسات مماثلة للنساء، وقد تم ذلك في تواز وتوازن تام مما أغنى نشاط المؤتمر وفاعلياته.

الترجمة.. الترجمة!!

وبرغم عظمة هذا المؤتمر وقوة فاعليته في عرض فكر إقبال وتأثيره في الحياة، لكن ما كان أحوجه إلى مترجم من الأردية إلى العربية، والعكس! هذا برغم معرفة بعض الباكستانيين للغة العربية، وحرصهم على التجاوب مع ضيوفهم ممن جاؤوا من خارج باكستان من الدول العربية والإسلامية. وقد انتهى هذا المؤتمر

الناجح بتكريم بعض الشخصيات الباكستانية والعربية، ممن لم يكرموا خلال جلسات المؤتمر.

◁◁ زيارة حاكم إقليم البنجاب:

وقد استضاف حاكم إقليم البنجاب أعضاء المؤتمر في قصره، والذي رحب بهم جميعاً، وأشاد بالجهود الإسلامية في توحيد المسلمين، وحثهم على مواصلة الجهود من أجل قوة المسلمين واتحادهم وتمسكهم بقيم الإسلام، لتحقيق النهضة والتقدم، كما قدم للزائرين هدايا تذكارية، أعقبها العشاء، ثم ودعهم شاكرين له كرمه وحفاوتهم بهم.

◁◁ اللقاء الخاص في يوم ٣١ من أكتوبر ٢٠١٦م، الموافق ٣٠ من محرم ١٤٣٨هـ:

وفي اليوم الثالث، وبإشراف الشيخ الحافظ فضل الرحيم، رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامية العالمية بباكستان، ومدير جامعة الأشرفية بلاهور، وفي مقر جامعة الأشرفية عقد لقاء ضم أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية من الضيوف القادمين من مختلف الدول العربية، وبعض الأعضاء من باكستان، وقد تحدث فيه على التوالي: د. سعد أبو الرضا، ود. صابر عبدالدايم، ود.عبدالقادر الرباعي، ود. منجد مصطفى، ود.عبدالكريم جرادات.

ومن السيدات تحدثت: نوال مهنى، ونبيلة الخطيب، ونافذة الحنبلي، وقد تدارس الجميع أمور المؤتمر والرابطة، وأوصى: بوجوب توثيق الروابط بين مكاتب الرابطة في أنحاء العالم، ودعم التواصل بينهم، واقتراح بعقد مؤتمر إقبال دورياً. وأن يكون هناك مترجمون فوريون في مثل هذه المؤتمرات. وإرسال جميع التوصيات التي تعلن في نهاية كل مؤتمر إلى جميع مكاتب الرابطة.

هذا وقد شهد الضيوف كرم الشيخ الحافظ فضل الرحيم، وعنايته شخصياً وحفاوته بهم، وتعاون كل أعضاء المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان من أجل راحة الضيوف، والاهتمام بشأنهم خاصةً الشيخ عابد القريشي الذي يجيد اللغة العربية وغيرها، جزى الله الجميع كل خير ووفقهم ورعاهم.

◁◁ قرارات وتوصيات مؤتمر العلامة محمد إقبال العالمي:

وصدر عن المؤتمر قرارات وتوصيات مهمة نوجزها فيما يأتي:

ضرورة عقد اجتماع سنوي لمجلس أمناء الرابطة كما كان يعقد، وباستمرار في الماضي، لأهمية التشاور حول تفعيل دور الرابطة محلياً وإقليمياً ودولياً.

إدخال كتاب شامل يحتوي على فلسفة العلامة محمد إقبال الإسلامية وفكرته حول ضرورة استقلال وتأسيس باكستان، في مقررات المنهج التعليمي في باكستان، وفي مقررات المناهج التعليمية للعالم الإسلامي ليصبح جزءاً من الثقافة التاريخية في المناهج التعليمية التربوية.

إقامة (نادي العلامة محمد إقبال الثقافي)، في جميع المؤسسات التعليمية، والثقافية في باكستان؛ للتعريف بالعلامة إقبال وفكره وأدبه على المستوى الطلابي والعام، بشكل مستمر.

وجوب توجيه وإرشاد وسائل الإعلام بشكل عام، والتواصل الاجتماعي بشكل خاص، وجهة صحيحة حول فكر محمد إقبال وفلسفته، ومكافحة الدسائس التي تقوم بنشر أشعار كاذبة، وأفكار خاطئة وضالّة باسم العلامة محمد إقبال، وكشفها.

يطالب هذا المؤتمر الكبير أصحاب السلطة تنفيذ حكم المحكمة العليا اعتبار إلزامية اللغة الأوردية في جميع الدوائر الحكومية والقطاع الخاص.

تقرر بالإجماع اتخاذ العام الميلادي (٢٠١٧م) عام احتفال بفلسفة الذاتية؛ وإقامة دورات نافعة، ومنتديات مفيدة، وإعداد برامج متنوعة بهدف توعية

الشباب والفتيات لفلسفة إقبال الحكيمة والنيرة حول معرفة الذاتية وتثمينها، وذلك بالتعاون مع أكاديمية إقبال (اقبال اكاديمي)، والمؤسسات الأدبية الثقافية الأخرى ذات الصلة.

التوصية بحظر جميع الكتيبات واللافتات والأقراص المرنة التي تمس أساسيات الإسلام، وفلسفة العلامة محمد إقبال، رحمه الله تعالى.

وختاماً أعرب المشاركون جميعاً في هذا المؤتمر الدولي بالغ شجبهم واستنكارهم العدوان الحوثي المتمرد الآثم على بلاد الحرمين، باستهداف الحرم المكي الذي جعله الله آمنا، والوقوف بالإجماع بجانب خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود وحكومته الرشيدة والشعب السعودي النبيل في كل سراء وضراء.

هذا، وقد وجه المؤتمر أسمى آيات التهاني والتبريكات، والشكر والتقدير لجميع ضيوف المؤتمر الذين حضروا من داخل باكستان وخارجها. وقدم الشكر والعرفان لحكومة البنجاب، ومصلحة الأوقاف، والجامعة الأشرفية، لرعايتهم هذا المؤتمر العالمي، بجميع المستويات الأمنية والثقافية والعلمية والخدمية. ووجه الشكر إلى وسائل الإعلام، المقروءة والمسموعة والمرئية؛ الذين قاموا بمتابعة ونشر فعاليات المؤتمر.

شكر وتهنئة:

هذا؛ وقد وجه د.عبد الباسط بدر نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس مكتب البلاد العربية رسائل شكر وتهنئة بنجاح المؤتمر، إلى كل من فضيلة الشيخ الحافظ فضل الرحيم رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان، ورئيس الجامعة الأشرفية بلاهور، ومعالي رئيس وزراء حكومة البنجاب، ميا محمد شهباز شريف، ومعالي أمين دائرة الأوقاف لحكومة بنجاب نوازش علي خان، وتلقى رسائل شكر وتقدير.

طباعة أعمال المؤتمر:

وكان مكتب البلاد العربية قد تولى تحكيم البحوث المقدمة إلى المؤتمر باللغة العربية، واجازت لجنة التحكيم واحداً وعشرين بحثاً، وقصيدة طويلة للمشاركة، في المؤتمر، وقد شاركت تسعة بحوث، والقصيدة بالحضور، ولم يتمكن أصحاب البحوث الأخرى حضور المؤتمر، وقرر المكتب الإقليمي للرابطة المنظم للمؤتمر، والجهات المتعاونة في باكستان، طباعة بحوث المؤتمر سواء باللغة الأوردية، أو بالعربية، وفيما يأتي عناوين البحوث العربية، وأسماء أصحابها:

البحوث المجازة والمشاركة في المؤتمر:

- إقبال والفن في «ديوان ضرب الكليم»: لمحمد إقبال، د.سعد أبو الرضا، كلية الآداب، جامعة بنها، مصر.

- قدسية المكان عند إقبال: قراءة تحليلية جمالية، أ.د.عبد القادر رباعي، جامعة اليرموك، الأردن.
- مكانة محمد إقبال وأثره في الفكر والأدب الفارسي، د.عبدالكريم جرادات، كلية الآداب، جامعة آل البيت الأردنية، الأردن.
- تأثير البيئة الزمانية والمكانية في حياة شاعر الإسلام محمد إقبال، نافذة حنبلي، جامعة الزيتونة الأردنية، الأردن.
- أوّاهُ إقبال، شعر، نبيلة الخطيب، رئيسة المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن سابقاً، الأردن.
- دعوة المسلمين للنهوض ومقاومة الاستلاب الفكري الغربي في شعر إقبال وفلسفته، نوال مهني، نائبة رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في مصر.
- الشعر الوطني في ديوان «صلصلة الجرس: بان درا»، للعلامة محمد إقبال دراسة تحليلية، د.ولاء السيد، كلية الدراسات الإنسانية، فرع البنات، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
- الرمز الديني في شعر إقبال: ديوان «الأسرار والرموز» أنموذجاً، د.خنساء الجاجي، قسم اللغة العربية، جامعة بيشاور، باكستان.
- إقبال الأديب والشاعر في ميزان الدكتور عبد الوهاب عزام، د.رانيا سيف النصر، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
- الصورة الشعرية في منظومة «مسجد قرطبة» للعلامة محمد إقبال، د.تغريد السيد، قسم اللغة الأردية وآدابها، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

◁◁ البحوث المجازة للطبع في كتاب مؤتمر محمد إقبال:

- استدعاء شخصيات الموروث الديني في ديوان «بال جبريل» لمحمد إقبال، د.جلال الحفناوي، كلية الآداب جامعة القاهرة، مصر.
- الإشارات التاريخية في شعر «محمد إقبال «دراسة للخلفية والمضمون، د.جميلة الرجوي، كلية التربية، جامعة صنعاء، اليمن.
- قضية تحرير المرأة في شعر إقبال، أ.د.حسن الأمراني، أمين مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي، ورئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب.
- بين الذاتية والإنسانية في شعر محمد إقبال، د.سعاد الناصر، جامعة عبد المالك السعدي، نائبة رئيس المكتب الإقليمي للرابطة، المغرب.
- الحوار الحضاري بين محمد إقبال والغرب قراءة في ديوان رسالة المشرق، د.سكينة قدور، كلية الآداب، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر.
- آثار محمد إقبال الأدبية.. دراسة وصفية، صورية مروشي، قسم الهندسة المعمارية، جامعة باتنة، الجزائر.
- محمد إقبال في عيون الشعراء العرب، د.عادل العدل، كلية الآداب، جامعة بنها، مصر.
- مصادر الصورة الفنية في شعر إقبال، أ.د.عبد الملك بومنجل، كلية الآداب، جامعة محمد لمين، دباغين، الجزائر.
- التيارات الفكرية في أدب محمد إقبال، د.محمود عبد المقصود، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر.
- كبوة الأمة ونهضتها في شعر محمد إقبال.. الرؤية والأداة، د.مصطفى أبو طاحون، كلية الآداب- جامعة المنوفية- مصر.
- الترجمات العربية لأدب إقبال قراءة في التلقي الحضاري والإشكاليات، د.مصطفى عطية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكويت، الكويت.
- نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال، د.هاني محمد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة غيرسون، تركيا.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

مهرجان الشعر في المولد النبوي

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان أمسية شعرية بمناسبة المولد النبوي الشريف، مساء السبت الموافق ٢٠١٦/١٢/١٠م، الذي يوافق الثاني عشر من ربيع الأول كل عام، بحضور رئيس مكتب الرابطة د.عدنان حسونة وجمع من المثقفين، بإدارة الشاعر د.سليم ارزيقات الذي قدم للأمسية ومناسبتها، كما قدم الشعراء مع سيرة ذاتية من حياتهم.

وشارك في الأمسية الشاعر علي فهيم الكيلاني، أحد مؤسسي الرابطة، بإنشاد ثلاث قصائد هي: قصيدة «كلهم ضدي»، وقصيدة «الحق منبلج»، والأخرى تحدث فيها عن زيارة قام بها إلى مكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة. وتلاه الشاعر الشيخ صالح البوريني بثلاث قصائد: «البشارة»، و«الضيف الحبيب»، و«نبراس المعالي» وهي من ديوانه «مشاعل». وأنشد الشاعر عبد الرحمن مبيضين السباعية التي شارك بها

في المعلقة الخضراء بالمبادرة الجزائرية «يا سيد الخلق»، وأخرى رداً على قصيدة لعبد المنعم الرفاعي بعنوان «يا سيدي يا رسول الله».

وأنشد الشاعر محمد عبدالله أبو عواد قصيدة «يا رسول الله عذراً»، وتلاه عضو الرابطة الشاعر فايز عليان بقصيدة «كيف ألام!؟»، وكانت الخاتمة بإنشاد الشاعر محمود عبدالعزيز، ليختتم د.سليم ارزيقات الأمسية شاكراً الشعراء على ما أفاضوا من جميل شعرهم بالمناسبة الشريفة، والجمهور الكريم على حضوره وتفاعله.

في ذكرى الهجرة النبوية

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بعمان يوم السبت ٢٠١٦/١٠/١٥م، مهرجاناً شعرياً عابقاً بالمعاني الأصيلة للهجرة النبوية، فقد صاغ نفرٌ من الشعراء ما ارتبط بوجدانهم من معانٍ تتواءم وقيمة هذه المناسبة العظيمة، فارتقى المنصة ستة من الشعراء المجيدين بقصائدهم المؤثرة، هم على التوالي: الشاعر علي فهيم الكيلاني، والشاعر سليم الصباح، والشاعر بسام زكارنة، والشاعر فايز عليان، والشاعر فريد قاعود التميمي، والشاعر محمود محمد إبراهيم.

أدار المهرجان الأديب عضو الرابطة الأستاذ علي سلامة مستعرضاً المعاني الرائعة من حادثة الهجرة، ومدى أهميتها لتكون نقطة انطلاق للتأريخ لأمة الإسلام، مضيفاً على أجواء الأمسية شيئاً من خفة

الروح وعمقاً بالعرض. وفي محضر تقديمه لكل شاعر ألقى عليهم سؤالاً عن الأسباب التي حركت وجدانهم لكتابة قصائدهم بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية بالذات متخذين من حادثة الهجرة ملامح تبرز معانيها وحبهم لرسول الله،٣ فكانت إجاباتهم عميقة ومتفاعلة عاطفياً لأن هذه الحادثة هي الأهم بالتاريخ الإسلامي كونها نقطة التحول العظمى.

فن الكتابة للأطفال

ألقى عضو الرابطة الدكتور ناصر جابر محاضرةً في مكتب الرابطة في عمان مساء السبت الموافق: ٢٠١٦/١٢/١٧م. وكانت بعنوان: «فن الكتابة للأطفال»، وأوضح المحاضر أن هذا اللون من الكتابة وإن لم يظهر إلا في فترات متأخرة؛ إلا أن الساحة الأدبية في الأردن قد حفلت بالعديد من القامات التي يشارُ إليها بالبنان، والتي أسهمت في تطوير أدب الطفل والارتقاءِ بأدواتهِ ووسائله ومضامينه مما ساعد على ترسيخ القيم الإيمانية والأدبية والجمالية في نفوس وأذواق متلقيه من الناشئة والأطفال.

وقد أدار اللقاء عضو الرابطة الدكتور علي سلامة، والذي أفسح المجال للحضور الذين امتلأت بهم جنبات المكان لكي يغنوا المحاضرة بأسئلتهم وتعقيباتهم. وقد شارك العديد من الحضور في هذه الأسئلة والتعقيبات. ومنهم رئيس مكتب الرابطة الدكتور عدنان حسونة، وأمين سر المكتب الدكتور عبدالله الخطيب، والدكتور بلال كمال رشيد، وغيرهم.

عربية أسماء الأنبياء

وفي قاعة رابطة الأدب الإسلامي في عمّان كان أعضاء الرابطة وضيوفها على موعد مساء السبت الموافق: ٢٠١٦/١٠/٢٢ م؛ مع الباحث الأستاذ عبد المجيد العرابلي لإلقاء محاضرة بعنوان «عربية أسماء الأنبياء» عليهم الصلاة والسلام، حيث بدأ المحاضر باسم النبي «آدم» مبيناً أن اسمهُ من «الأديم» بمعنى «الجِلد»، فكان ضعفُ جِلده مقارنة مع جلود الحيوانات من حوله مصدر قُوة له.

وأوضح بأن اسمه لا يتصرف ليس لأنه «أعجمي، وإنما لأنه علمٌ، ولأنه على وزن فِعل المشاركة «فاعل»، وذاكراً أبرز الآيات الكريمة التي وردت في هذا النبي الكريم. ثم تتبع المحاضر أسماء بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمنهجية ذاتها مبيناً الحِرَف والمِهَن والصفات والسمات التي اشتهر بها كل واحدٍ منهم. وقد استمع للمحاضرة لفيفٌ من أعضاء الرابطة ومن ضيوفها، وقد أدار المحاضرة عضو الرابطة الأستاذ الدكتور جميل بني عطا الأستاذ في جامعة الزرقاء الأهلية.

الإعجاز العددي في القرآن الكريم

وفي مساء يوم السبت الموافق ٢٠١٦/٩/٢٤م، قدم المحاضر المهندس عماد العمد في المكتب الإقليمي للرابطة بعمان محاضرة حول دراسات وأبحاث عددية أنجزها في سور وآيات ومفردات القرآن الكريم على مدى زمن غير قليل وضعته على عتبة من عتبات تحري الإعجاز العددي لكتاب الله الشريف، ليتأكد أن معجزات الله بكتابه لا تقف عند حدود.

وأرفق المحاضر جداول بمصفوفات عددية وتماثلات رقمية وعلاقات ظاهرة بين الأرقام تجعل المتأمل يشعر أن هذه العلاقات لم تأتِ بهذا الكم جزافاً، ولم تخل من الكسور مصادفة.. فسبحان الله إذ جاء الخالق بكتابه معجزاً بكل شيء.. رغم تأكيد المحاضر أن علاقة الأعداد بالتنبؤ بالقادم من المستقبل غير حقيقية فلا يعلم الغيب إلا الله.

والملاحظ أنّ عنوان المحاضرة واسم المحاضر شدّ أعداداً كبيرة من الحضور أوجب معها زيادة عدد المقاعد بالقاعة.. وأثارت محاضرته جدالا كبيرا بالأخص مع وجود عدد من علماء الإعجاز القرآني المتبحرين المنتمين إلى الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة، والأكاديميين المهتمين وعدد كبير من السيدات الأديبات والدارسات المهتمات.

جمال البيان في القرآن الكريم

ويوم السبت الموافق٢٠١٦/١١/١٢م. كان مكتب الرابطة في عمان على موعدٍ مع الأستاذ الدكتور المهندس محمد زكي خضر للاستماع إلى محاضرته التي كانت بعنوان: «جمال البيان في القرآن الكريم»، حيث أوضح المحاضر الجمال الكتابي لنص القرآن عبر نسخ المصاحف التي أظهرت جمالاً في إظهار حروف معينة أو كلماتٍ محددة.

والمحور الثاني الذي تطرق إليه المحاضر هو الحديث عن النسق الذي تظهر فيه كلمات القرآن الكريم، بالرجوعِ إلى جذر الكلمة، فقد احتوت المحاضرة على عشرات من صيغ تكرار الجذور في النص القرآني بصورة استحوذت على اهتمام الحاضرين ومتابعتهم، ودفعت بعضهم لإثراء المحاضرة عبر أسئلة واستيضاحاتٍ متعددة تفضل المحاضر مشكوراً للإجابة عنها. وقدم المحاضر وأدار الأمسية الدكتور الشاعر مأمون فريز جرار الرئيس الأسبق لمكتب الرابطة في الأردن.

القدس وعلاقتها بالتين والزيتون

استضاف المكتب الإقليمي للرابطة بالأردن يوم السبت الموافق ٢٠١٦/١٠/٨م، الأستاذة المحامية فايزة شقور، بمحاضرة قيمة بعنوان: «القدس وعلاقتها بالتين والزيتون.. وعلاقة التين والزيتون بالعقيدة». وأدارت الأديبة السيدة هيام ضمرة الأمسية الثقافية، وقدمت المحاضِرة فارسة المساء.

وتحدثت الأستاذة فايزة شقور عن معنى بيت المقدس وأسباب تقديس البيت وما حوله، وأن الله اختار القدس لمعراج رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وكانت القبلة الأولى في بدء رسالة التوحيد.

وأشارت المُحاضِرة إلى أن سورة (التين) تعالج موضوعين أساسيين هما: تكريم الله تعالى للإنسان، وموضوع الإيمان بالحساب في الآخرة. فالله تعالى أقسم بالتين، والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين. (طور سينين المقصود بها طور سيناء، والتين والزيتون المقصود بها القدس، والبلد الأمين المقصود بها مكة)، ثلاثة أماكن بعث فيها رسل من أولي العزم بشرائع للبشرية.

وقد بينت المُحاضِرة شقور أن في سورتي النور والفرقان ذاتَ العلاقة، كون القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً. وأنهت مديرة الأمسية الموضوع بما استخلصته من المحاضرة عن علاقة القدس بالتين والزيتون.

مدارس المناهج الأهلية في رابطة الأدب الإسلامي

زار أعضاء النادي الأدبي في القسم المتوسط بمدارس المناهج الأهلية في الرياض، رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض، بإشراف الأستاذ هاشم فتحي مدرس اللغة العربية، والمشرف على النادي. وذلك صباح الثلاثاء ٢٩ صفر ١٤٣٨هـ، الموافق ٢٠١٦/١١/٢٩م.

وقد استقبل الطلبةَ الزوارَ الأستاذ شمس الدين درمش أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة، وسكرتير تحرير مجلة الأدب الإسلامي، وشرح فكرة الأدب الإسلامي، ونشأة الرابطة، وعرفهم بشخصية الشيخ أبي الحسن الندوي مؤسس الرابطة، ثم أعطى الطلبة فكرة عن إصدارات الرابطة من الكتب للكبار، والناشئين، ومجلة الأدب الإسلامي، والموقع الإلكتروني، والمجلة الإلكترونية الشهرية.

وزار الطلبة مكتبة الرابطة واطلعوا على ما فيها من كتب أدبية ونقدية عامة، وكتب الأدب الإسلامي الخاصة، وكتب ثقافية إسلامية وعامة أيضاً.

ومن المكتبة انتقل الطلبة إلى قاعة المحاضرات، فكانت جلسة استراحة، ومشاركة من الطلبة، إذ قدم طالبان مشاركة إنشادية جميلة تنم عن موهبة فنية واضحة نالت الإعجاب، فأنشد الطالب حسن العسكر (سيفان في غمد الزمان)، وأنشد الطالب عبدالله عسيري (يا أمي طال الليل)، والنشيدان من إبداع الأستاذ هاشم فتحي، وقرأ الطالب أحمد محد سعد من محفوظه شعراً للمتنبي. وكان الطلبة متفاعلين في اللقاء، بنباهة واضحة، وقدموا أسئلة ذكية، وإجابات مقاربة لعدد من الأسئلة، تدل على التنشئة والتربية التي تؤهلهم للحوار، وحسن التواصل. وهو ما يستوجب الشكر لمدارس المناهج الأهلية.. وفي الوداع قُدِّم للطلبة كتيب التعريف بالرابطة، ونسخ من مجلة الأدب الإسلامي، وكتب أخرى.

مكتب الرياض - محمد شلال الحناحنة

العشماوي وقصاب والبدراني في أمسية شعرية بالرابطة

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في الرياض أمسية شعرية ثلاثية ضمت الشعراء د.عبدالرحمن العشماوي، ود.وليد قصاب، ود.حيدر البدراني، وذلك مساء الخميس ٢٦ محرم ١٤٣٨هـ، الموافق ٢٧أكتوبر ٢٠١٦م. بحضور عدد من الأدباء ومتابعي ندوات مكتب الرابطة في مقره بشارع العليا بالرياض.

وأدار الأمسية وقدم الضيوف الشعراء الأستاذ الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين، الأستاذ بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ونائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض، فقرأ السيرة الذاتية الموجزة للضيوف الثلاثة.

وقدم الدكتور العشماوي قصيدتين، الأولى بعنوان: وَمضَةٌ من تاريخ مُرَّاكُش، إذ كان في مؤتمر للندوة العالمية للشباب الإسلامي، والثانية كانت أبياتاً من رائعته (ملحمة خيول الفجر) التي تغنى بها أصوات الفنانين في مهرجان الجنادرية لعام ١٤٢٣هـ.

وكانت القراءة الثانية للشاعر د.وليد قصاب فقدم مجموعة من المشاركات الشعرية، بدأها بمعارضته للنشيد المعروف (بلاد العرب أوطاني)، وقصائد أخرى فيها الطرافة، والرمز في ثوب قصصي حواري، منها قصيدته عن مكالمة خاطئة بالهاتف الجوال من امرأة تظنه (سعيداً)، وهو (وليد)، وقصيدة (الفيل يطير) وهي رمزية قصصية أشبه بتمثيلية من مشهدين.

وكان الضيف الثالث في الأمسية هو الشاعر د.حيدر البدراني، فبدأ بقصيدة معارضة للشاعر شريف القاسم، ثم نقل كلمة متفائلة عن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وألقى د.حيدر البدراني قصائد أخرى عن معاناته في فراق أهله.

وشارك في الأمسية الأستاذ الشاعر محمد كمال بكلمة تقويمية ناقدة عن القصائد التي ألقيت، والشاعر فهد العبودي بقصيدة عن عاصفة الحزم التي تقودها المملكة العربية السعودية في مواجه الإرهابيين في الداخل والخارج.

وفي نهاية الأمسية شكر الدكتور ناصر الخنين الضيوف على ما قدموا من قصائد أمتعت الحاضرين، وشكر الحضور المتابع لمشاركتهم وتجاوبهم مع شعراء الأمسية.

تجربتي في كتابة قصص الأنبياء

استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض في الملتقى الأدبي الشهري محاضرة قدمها الروائي الدكتور عبد الله العريني في حديث ممتع بعنوان (تجربتي في كتابة قصص الأنبياء)، وذلك مساء الخميس ١٤٣٨/٢/٢٤هـ. وقد أدار اللقاء الناقد الدكتور وليد قصّاب الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحضره جمع من الأدباء والمثقفين ومتابعي الأدب الإسلامي ورواده.

وتناول الدكتور العريني قصة إصداراته في سلسلة قصص الأنبياء بعناوين: اسكن الجنة (آدم عليه

اللغة العربية
ومكانتها الإسلامية والحضارية

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض مساء الخميس (١٤٣٨/٣/٣٠هـ، الموافق ٢٠١٦/١٢/٢٩م) ندوة بعنوان (اللغة العربية ومكانتها الإسلامية والحضارية)، استضاف فيها الأستاذ الدكتور وليد إبراهيم قصاب، والأستاذ الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين، الأستاذان بكلة اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأدار الندوة الدكتور محمد سعيد اللويمي، عضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة، وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام.

وقد تحدث الدكتور ناصر الخنين عن أهمية اللغة العربية، فتعلمه دين، لأن نصوص الوحيين باللغة العربية، ولا يمكن معرفة أحكام الإسلام، وفهم كتاب الله، ومعرفة سنة رسوله إلا باللغة العربية، ومن هنا نجد أن الشعوب الإسلامية غير العربية تعنى باللغة العربية. وقد أفاض في الحديث انطلاقا من هذه الرؤية الشرعية.

ومن جهته تحدث الدكتور وليد قصاب عن المكانة الحضارية للغة العربية، وكونها إحدى اللغات العالمية المعترف بها دوليا، وأعرب عن أسفه لإهمال العرب لغتهم في هذا العصر، والعناية باللغات الأجنبية، في كثير من الأسر، وفي المدارس الخاصة. ودعا إلى تلقين البناء اللغة العربية في البيت صغارا، وعرض تجربته الخاصة في ذلك، ثم ألقى قصيدة عن اللغة العربية.

وقد شارك في المداخلات والأسئلة عدد من المهتمين، ومنهم الأستاذ عبدالكريم سمك، ود.حيدر البدراني، ومحمد شلال الحناحنة، وشمس الدين درمش، وخليل الصمادي، وألقى الشاعر فهد العبودي قصيدة عن اللغة العربية ومكانتها.

وفي الختام شكر الدكتور اللويمي الضيفين الكريمين، والحضور لمشاركاتهم بالأسئلة والمداخلات.

السلام)، النار الباردة (إبراهيم عليه السلام)، شاطئ الوادي الأيمن (موسى عليه السلام)، لست إلهاً (عيسى عليه السلام)، أجمل رجل في العالم (يوسف عليه السلام)، الملك النبي (داود عليه السلام)، قاهر الجن (سليمان عليه السلام)، صلاة في بطن الحوت (يونس عليه السلام)، حدائق الصبر (أيوب عليه السلام)، لا تمسوها بسوء (صالح عليه السلام). وقد حرص الكاتب في قصصه ألا تعارض نصاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وألا تقدح بعصمة الأنبياء. وعلى غربلتها من الإسرائيليات الموجودة في قصص الأنبياء في التفاسير.

وتحدث الأديب د.العريني عن معاناته في اختيار العناوين لتكون غير مباشرة، وأن تتصف بالجمالية، وحرصه على البدايات والنهايات.

وأثارت المحاضرة العديد من الأسئلة والحوارات التي أجاب عنها الأديب الروائي الدكتور عبد الله العريني، وشارك فيها محمد شلال الحناحنة، ود.ناصر الخنين، وخليل الصمادي، ود.خضر عبد الباقي، وإبراهيم يوسف العطار، وإبراهيم الزهراني، ومنصور عبد الله، والدكتور وليد قصاب.

مكتب القاهرة- اللجنة الإعلامية :

شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

في يوم الاثنين ١٠ أكتوبر، ٢٠١٦م، كان لقاء مع الدكتور حسن خليل مدير تحرير مجلة منبر الإسلام عما كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوثيق كل ذلك، وأن هذه الخصوصية لم تتوافر إلا لشخص الرسول، ثم أقيمت أمسية شعرية شارك فيها عدد من شعراء الرابطة، أدار الندوة والأمسية الشاعرة نوال مهنى.

العطاء الفكري والأدبي لعبد الوهاب عزام

وفي يوم الاثنين الموافق ٢٤ أكتوبر، ٢٠١٦م، كان اللقاء مع الدكتور عوض الغباري والدكتورة غرّاء مهنا عن العطاء الفكري والأدبي للدكتور عبد الوهاب عزام، أدار الندوة الدكتور صابر عبد الدايم، رئيس المكتب.

السيرة الذاتية لعُكّاز

وفي يوم الأربعاء الموافق ٢٣ نوفمبر، ٢٠١٦م، كانت ندوة لمناقشة كتاب (السيرة الذاتية لعُكّاز، للشاعر أحمد حسن أبو إل ياسين)، فقد ناقش الكتاب الدكتور حسام عقل، والدكتور إبراهيم عوض، والدكتور خالد فهمي.

مناقشة ديوان «عند الثمانين بدأت شعري» للدكتور حسن الشافعي

في ليلة مشهودة من ليالي الشعر والأدب، ليلةَ الاثنين ٢٨ من صفر ١٤٣٨هـ، ٢٨/ ١١ / ٢٠١٦، احتفت رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب مصر، بضيفها الكبير، العلَّامة الأستاذ الدكتور حسن الشافعي، رئيس مجمع اللغة العربية، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف؛ لمناقشة ديوانه «عند الثمانين بدأت شعري».

وقد شهدت الندوة حضوراً أدبياً وإعلامياً وأكاديمياً، مصرياً وعربياً، كبيراً، وتحدث الأستاذ الدكتور حسن الشافعي عن تجربته الشعرية، وبعض قصائد ديوانه الأول، وأعلن عن قرب صدور ديوانه الثاني، وأن رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب مصر ستحتفي به مثلما احتفت بديوانه الأول.

وناقش الديوان الأستاذ الدكتور صابر عبدالدايم رئيس مكتب الرابطة بمصر، والأستاذ الدكتور سعد أبو الرضا، والشاعرة نوال مهنى. وأدار الندوة الشاعر زينهم البدوي، رئيس اللجنة الإعلامية بمكتب مصر، وكانت مداخلات الحضور ثريَّة، بدا فيها احتفاؤهم بالضيف الكبير.

رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

أقيم يوم ثقافي كامل، يوم الأربعاء ١٦ /١١ / ٢٠١٦م، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، بجامعة الأزهر فرع دمنهور بمحافظة البحيرة. وتضمن جلسة افتتاحية بدأت بكلمة ترحيب من أ.د.مفيدة إبراهيم عميدة الكلية أثنت فيها على دور الرابطة في ترسيخ القيم الإسلامية لدى جماهير الأمة، وأكدت على ضرورة التعاون بين الروابط والمؤسسات الأدبية والثقافية لصالح الجمهور، وتحدث أ.د.صابر عبدالدايم، رئيس مكتب الرابطة في القاهرة، أشاد فيها بجهود رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مصر والعالم العربي والإسلامي، وبين أهداف الرابطة وشرح معالم رسالتها، وأهم المؤتمرات والندوات التي عقدتها.

وأقيمت بعد ذلك أمسية شعرية شارك فيها شعراء الرابطة وهم أ.د.زهران جبر، ونوال مهني، ومحمد حافظ، وياسر غريب، ومحمد عبد العال، وناصر رمضان، وإسماعيل بخيت، ومحمد الشرقاوي، ونادية كيلاني، ووفاء السيد. وشارك من شعراء الكلية د.عبد الوهاب برانيا، ود.محمد الطباخ.

وفي الختام كانت فقرة التكريم فوزعت الدروع وشهادات التقدير. وقدم الندوة والأمسية أ.د.محمد عبد الله سلام.

كتب وصلت

- ضريح الكمانات، رواية، تأليف أسامة الزيني، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، دار النسيم للنشر والتوزيع، والروائي الزيني صاحب كلمة أدبية تأسر قارئه حتى لا يفك نفسه إلا بالانتهاء من قراءة ما بين يديه. فاز بعدد من المسابقات الأدبية وحصد جوائز مهمة.

- فيض الرعود، شعر د.مطلق محمد شايع عسيري، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ. وهو الديوان الثاني للشاعر، رتب قصائد زمنياً، وتمثل مرحلة تاريخية مشرقة من مراحل حياته.

- صدر في سلسلة دعوة الحق، عن رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، إدارة الثقافة، مكة المكرمة:

- الانحرافات العقدية وأثرها في زعزعة الأمن وسبل مواجهتها، تأليف د.محمود بن عبد الهادي دسوقي، العدد ٢٦٩.

- وقفات تربوية ودعوية، تأليف د.عبد الرحمن بن سعيد الحازمي، العدد ٢٧٠.

- سياحة الفكر: مقالات في التفسير، تأليف بسام جرار، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م، صدر عن مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، البيرة، فلسطين.

حسني أدهم جرار
الأديب الكاتب الداعية وداعاً

ودعت رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الأستاذ الأديب الكاتب الداعية حسني أدهم جرار؛ فقد وافاه الأجل في عمان بالأردن مساء السبت ١٤٣٨/٣/٤هـ، الموافق ٢٠١٦/١٢/٣م.

والأديب الراحل أحد الأعضاء العاملين البارزين في الرابطة، والساعين بجد ونشاط في الدعوة إلى الأدب الإسلامي، بالتعريف بأعلامه في الشعر في العصر الحديث، وجمع نماذجه الشعرية المتنوعة (١٠ أجزاء) بالاشتراك مع صديقه الراحل الأستاذ أحمد الجدع رحمه الله، ومستقلاً عنه أيضاً.

وقد ولد حسني أدهم محمود جرّار؛ في قرية صانور التابعة لمحافظة جنين بفلسطين، عام ١٩٣٥م. حصل على ليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بيروت العربية، والدبلوم العامة في التربية وعلم النفس، والدبلوم الخاصة في التربية وعلم النفس من جامعة قطر.

عمل مدرساً في التعليم العام بالأردن، والسعودية، ودولة قطر.

وعمل مع دار البشير للنشر والتوزيع بعدة مهام.

ومن أبرز إنتاجه الأدبي والفكري: قصائد إلى المرأة، وقصائد إلى الأم والأسرة، وقصائد وأناشيد إلى الفتاة، وقصائد وأناشيد للانتفاضة، وشاعرات معاصرات، ومداد قلم، وغيرها.

وفاة الأديب الكاتب
الدكتور بلال كمال رشيد

توفي بعمان عضو الرابطة الكاتب الأديب.. أحد أعلام اللغة العربية د.بلال كمال رشيد وذلك يوم الأحد ٢٠١٦/١٢/١٨م.

ولد د.بلال كمال رشيد في نابلس، بفلسطين، بتاريخ ١٩٦٦/٩/٢٣م. حصل على بكالوريوس لغة عربية من كلية الآداب، بجامعة صلاح الدين، في أربيل بالعراق. ودبلوم تأهيل تربوي من الجامعة الأردنية. ودكتوراه لغة عربية، من كلية الآداب، في الجامعة الأردنية.

وهو كاتب وناقد أدبي. عمل في التعليم العام، وعضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو بجمعية البحوث والدراسات الإسلامية بعمان، وعضو المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

من مؤلفاته المطبوعة: تلازم المرأة والبحر في أدب حنا مينة الروائي، سلسلة كتاب الرياض، وكتاب (كمال رشيد بأقلام محبيه وعارفيه).

رحيل الشاعر الإسلامي
والمعلم فيصل الحجي

توفي بالرياض يوم الأحد ١٩ ربيع الأول ١٤٣٨هـ، الموافق ١٨ كانون الأول ٢٠١٦م، الشاعر والمعلم والداعية فيصل الحجي، وهو من مواليد عام ١٩٣٥م، في بلدة قارة التابعة لمحافظة دمشق بسورية، حصل على الإجازة الجامعية (البكالويوس) من كلية الشريعة، ومن كلية الآداب قسم اللغة العربية، ومن كلية التربية من جامعة دمشق.

عمل في التعليم العام في سورية، وفي المملكة العربية السعودية، له عدد من الدواوين الشعرية: مسرحية شعرية: ظمأ الأجيال، وفارس لا يترجل، ودموع الرجال، وقصائد معلم، وملحمة الصحوة الإسلامية (من شعر التفعيلة)، وفي حديقة الحيوان، وديوان: إخوانيات. رحمهم الله، وأسكنهم الفردوس الأعلى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن واجب الدعوة إلى الله عز وجل عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة، والسعي إلى تعزيز الأدب الإسلامي وانتشار الأدب المتزن في العالمين العربي والإسلامي، كل ذلك وما بعض الأدباء الإسلاميين إلى التفكير في إنشاء رابطة تجمع صفوفهم وتشدُّ كل واحد منهم بعضد أخيه، وترفع صوتهم، وتقفهم على واجبهم في التأصيل للأدب الإسلامي، ونقد المذاهب الأدبية العالمية ومناهج النقد الحديث، وإيضاح ما فيها من إيجابيات وسلبيات

هذه الرابطة ليست وليدة الساعة!

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فحرصا مني على أن لا يبقى إلا الصالح من أعمالي كلها أقوم بالمراجعة والفرز والتصحيح من وقت لآخر حتى أميز الغث من السمين فيما تم إنجازه حتى الآن ولا يزال حبيس الأدراج ومنه هذه القصيدة، فما كان صالحا احتفظت به وما ليس كذلك نفضت يدي منه، وليس ببعيد أن يأتي اليوم الذي تجمع فيه تلك المقالات في كتاب مستقل تحت نظر الرابطة وإشرافها.

إنني أشيد بكم في هذا المقام لأخذكم بيد كل راغب إلى مدارج الكمال، وأشيد بالرابطة وإنجازاتها وما لها من جهود تذكر فتشكر.

وكلنا نشهد بما شهد به القاصي والداني، فهذه الرابطة وإن كانت حديثة إلا أنها ليست وليدة الساعة، بل هي امتداد لعصر النبوة.. العصر الذهبي للدعوة الإسلامية، مروراً بعصر الفتوحات الإسلامية، إلى عصر الانفجار العلمي الذي كثرت فيه العلوم، وقلَّتْ بركتها ..في هذا الجو المعتكر، والبحر المتلاطم، في عصرنا هذا طغت المادية واستشرى الباطل.

هنا يبرز دور الرابطة، وتتضح للعيان معالمها وجهودها الجبارة في الذود عن حياض الأدب الأصيل في مشارق الأرض ومغاربها، فقد أصبح للرابطة ممثلون وحملة مشاعل في حلبات السباق وفرسان قلم لهم كلمة مسموعة، وصار لهم صولات وجولات أثبتوا جدارتهم فيها بكل حكمة واقتدار في كل ميدان. لم لا!؟ وهم لا تنقصهم الشجاعة الأدبية... ولا القدرة على ارتياد الآفاق، كأنهم من الرعيل الأول من سلف هذه الأمة.

أدباء الرابطة هم الطليعة بين أدباء العالم لا يحدهم زمان ولا مكان، طاروا بالكلمة الطيبة كل مطار، هم قادة الفكر ليس في العالم الثالث فحسب! لهم باع طويل، وتجربة لا تقل شأنا من أي تجربة أخرى في العالم.

فهنيئا لكم بالمكانة الرفيعة التي تبوأتموها، وهنيئا لحكوماتنا وشعوبنا؛ تهنئة خالصة إلى كل من يحمل هم القلم في كافة أرجاء المعمورة .

محمد حمادو أحمد - النيجر

العربية أيام زمان

زيغريد هونكه

استطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون سفيرا وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد. فكسب بذلك لدينه عددا وفيرا لم تكن أية دعوة مهما بلغ شأوها لتستطيع أن تكسب مثله.

وكان من الواجب على كل من يعتنق الإسلام عن اختيار ورغبة أن يقرأ كتاب الله ويتلوه، وأن يكتب ويتكلم لغة القرآن التي هي لغة السادة الفاتحين ولغة شعراء العرب الأقدمين.

وبهذه المناسبة وجب علينا أن ننتبه أن متكلمي هذه اللغة لم يكونوا هم الطبقة الحاكمة القليلة العدد فحسب، بل من الفلاحين والعمال وذوي الحرف من المتعلمين والمعلمين والموظفين، واندمجوا جميعا وامتزجوا بالشعوب فعربوها وطبعوها بطابعهم القوي المتميز.

وكان من الطبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة للإدارة والسياسة والقانون، بل لغة للتجارة والمعاملات وجمهور الناس. ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة إسبانيا بمرارة. فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف. حتى إن اللغة القبطية، مثلا، ماتت تماما. بل إن اللغة الآرامية، لغة المسيح، قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد. كما أنه وجب ترجمة بيانات البابا وقرارات المؤتمرات المسيحية في القرن التاسع إلى العربية للأقلية المسيحية في الأندلس التي لم تعد تفهم اللغة اللاتينية. وحتى، بعد احتلال المسيحيين ثانية للأندلس، فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين، بعد تحررهم، إلى اللغة العربية.

وهكذا تحولت لغة قبلية في خلال مئة عام إلى لغة عالمية. ليست اللغة ثوبا نرتديه اليوم لنخلعه غدا. لقد وجدت اللغة العربية تجاوبا من الجماعات وامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها. فكونت تفكيرهم ومداركهم، وشكلت قيمهم وثقافتهم، وطبعت حياتهم المادية والعقلية فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجهاً واحداً مميزاً.

حتى السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار عندما وصلوا إلى الحكم ظلوا بقلوبهم رعايا مخلصين للثقافة العربية ولغتها، بل ولأساليب الحياة العربية وفكرها.

حقاً إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب لرائعة! ■